وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية
قسم اللغة العربية

النّصُّ المَحكيُّ فِي القرآنِ الكريمِ
دِراسةٌ تَداوليةٌ

اطروحة مقدّمة إلى مجلس كلية العلوم الإسلامية/ جامعة كربلاء، وهي من متطلبات نيل شهادة الدكتوراه في فلسفة اللغة العربية/ لغة القرآن وآدابها/ اللغة

كُتبت من قبل الطالب

حسنين عماد جاسم شبع

بـــإشـــــــــراف

أ.م.د معالي هاشم أبو المعالي

كانون الثاني- 2024م **رجب - 1445هـ**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠
أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾

صدقَ اللهُ العليّ العظيم

[الكهف: 34]

إقرار المشرف

أشهد أنَّ إعداد هذه الاطروحة الموسومة بـ(**النص المحكي في القرآن الكريم دراسة تداولية**) التي قدّمها الطالب (حسنين عماد جاسم شبع) قد جرى تحت إشرافي في كليّة العلوم الإسلامية – جامعة كربلاء، وهي من متطلبات نيل درجة الدكتوراه فلسفة في اللغة العربية/ لغة القرآن وآدابها.

الإمضاء:

الاسم: أ.م.د.معالي هاشم أبو المعالي

التاريخ: ٣/ 1 /2024

بناءً على توصية المشرف والمقومين العلميين أُرشّح هذه الاطروحة للمناقشة.

الإمضاء:

الاسم: أ.م.د. حامد شهاب الربيعي

رئيس قسم اللغة العربيّة

التاريخ: 25/ 2 /2024

ترشيح اطروحة للطبع

نظـــرًا لإنجـــاز فصـــول ومباحـــث الاطروحـــة الموســـومة

بـ(الـــنَّص المحكـــيّ في القـــرآنِ الكـــريمِ دراســـةٌ تداوليـــةٌ)

التـــي قـــدَّمها الطالـــب (حســـنين عمـــاد جاســـم شـــبع)، وهـــي مـــن متطلبـــات نيـــل درجـــة الـــدكتوراه فلســـفة فـــي اللغـــة العربيـــة/ لغـــة القرآن وآدابها؛ فإنّي ارشّحها للطبع.

الإمضاء :

المشرف: أ.م.د. معالي هاشم أبو المعالي

مكان العمل: جامعة كربلاء/ كلية العلوم الاسلامية

التاريخ: ٤ / 1 /2024

إقرار لجنة المناقشة

نشهد نحن رئيس لجنة المناقشة واعضاؤها أننا اطلعنا على هذه الأطروحة الموسومة بـ**(النص الحكي في القرآن الكريم دراسة تداولية)** وناقشنا الطالب/ة **(حسنين عماد جاسم شبع)** في محتوياتها، وفيما له علاقة بها، ونعتقد أنّها جديرة بالقبول بتقدير (**جيد جدًا**) لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة العربية/ لغة القرآن وآدابها.

الإمضاء:

الاسم : أ.د صبيحة حسن طعيّس

عضواً

التاريخ : / 2024/4

الإمضاء:

الاسم : أ.د زينب عبد الحسين بلال

رئيسًا

التاريخ : / 4 /2024

الإمضاء:

الاسم : أ.م.د خالد عباس السيّاب

عضواً

التاريخ : / 2024/4

الإمضاء:

الاسم : أ.م.د مشكور حنون الطالقاني

عضواً

التاريخ : / 2024/4

الإمضاء:

الاسم : أ.م.د فائزة ثعبان منسي

عضواً

التاريخ : / 2024/4

الإمضاء:

الاسم : أ.م.د معالي هاشم علي

عضواً ومشرفاً

التاريخ :١٦/ 4 /2024

صُدّقت من مجلس كليّة العلوم الإسلامية - جامعة كربلاء

الإمضاء:

الاسم : أ.د. محمد حسين عبود الطائي

عميد كليّة العلوم الإسلامية

التاريخ : ١٧/ 4 /2024

الإهداء

يا أمير المؤمنين، جئتك ببضاعتي هذه ، فأوفِ ليَ الكيلَ، وتصدّقْ عليَّ ... إنَّ الله يجزي المتصدقين ...

لعلَّها تكونُ بسمةً ... ورحممةً ... لكَ

أبي (رحمهُ الله)

إلى التي أطمعُ في رضاها ... ودعائها ...

أمي (حفظها الله)

إلى التي عانت ما عانت معي ... فما قابلتني إلا بابتسامةٍ ...

زوجتي الغالية

إلى عيوني التي أرى بها كلَّ شيءٍ جميلاً ...

اولادي (علي، وفاطمة، ومَلَك)

الشكر و العرفان

تقلُّ كلماتي في البيان، ويعجز اللسان عن شكر من كانت له اليد البيضاء في إخراج هذا العمل إلى النور، وباكورة الشكر للأستاذ الدكتور أمجد حميد الفاضل أستاذي الذي رشَّحَ لي هذا الموضوع للدراسة.

امتدادًا لشكر الخالق، واجبًا وعرفانًا أنْ أشكر أساتذتي في قسم اللغة العربية، كلية العلوم الإسلامية، جامعة كربلاء على ما شملوني به من رعاية وتعليم وإرشاد، وأشكر السيد عميد الكلية ومعاونيه العلمي والإداري المحترمين؛ لتعاونهم، وكل من قدّم لي يد العون والمساعدة لإنجاز هذا البحث.

وأشكُر زملائي في الدراسات العليا قسم اللغة العربية، وأخصّ بالذكر الأخ المخلص الاستاذ علي حبيب غضبان، والدكتور عادل حريجة الخفاجي إذ قدّموا لي يد العون في هذا البحث؛ فكانوا نعم الأخوة المخلصين الناصحين.

والشكر موصول إلى زملائي في مركز أمير المؤمنين (عليه السلام) للترجمة التابع للعتبة العلوية المقدسة، لما قدّموه لي من ترجمة النصوص لبعض المصادر الأجنبية ذات الصلة بموضوع بحثي.

وأخــصُ كــذلك بالشــكر والتقــدير اســتاذي الخطــاط الــدولي الحــاج عدنان قزاز لما زيّنت به أنامله الجميلة عنوان هذه الدراسة.

والشــكر موصــول إلــى والــديَّ واخــوتي، وزوجتــي التــي صــحبتني فــي رحلتــي مــع هــذه الدراســة، تمضــغ الصــبر وتجــدد الأمــل، فأشــكرهم علــى مســاندتهم لــي فــي إكمــال هــذا المشــوار العلمــي، وأعتــذر لمــن فاتني ذكره.

والحمــد لله ربِّ العــالمين علــى توفيقــه وســداده، ومــا يقينــي إلاّ بــالله الواحــد الأحــد، فهــو وحــده مُيسّــر الأمــور، ومُرشــد العبــاد لمــا فيــه من خيرٍ، وتوفيقٍ، وسداد.

الخلاصة باللغة العربية

سعيت في هذه الأطروحة إلى دراسة موضوع (النص المحكي في القرآن الكريم دراسة تداولية) إذ بيّنت فيها مفهوم النص المحكي بوصفه أحد أهم الوسائل الخطابية القرآنية للتواصل بين المتلقين؛ إذ تقوم على بيان أهمية مفهوم النص المحكي في القرآن الكريم وأثره في إقامة الحجة وإظهار الأدلة التي تؤيد الحق وتقرره، وتتنوّع اشكال النص المحكي وألوانه بحسب اختلاف مقتضى الحال ففي بعض النصوص القرآنية طويلة ومفصلة، وفي مواضع أخرى نجدها موجزة ومختصرة، وقد تتجه النصوص المحكية إلى مخاطبة العقول وطرح التساؤلات العقلية الخاصة في المسائل التي تتعلق بالعقيدة والإيمان.

ويعتمد النص المحكي في بعض حالاته على جملة مقول القول وجملة الحكاية، بمعنى أنّه نقل النص الذي يتألف من جملة واحدة أو أكثر من جملة يقع بعد فعل القول المقدّر أو الظاهر، أو ما في معناه مهما كان عدد الجمل التي يحويها مع الأخذ بالحسبان أنّه لابدَّ للكلام لكي يسمى نصًا محكيًا أن يكون قد تُلفظ به قبل زمن الحكاية، وهذا النص لا يكتسب مزيته إلّا من خلال السياق الذي يرد فيه.

فهرس المحتويات

الـــمـــوضـــــوع	رقم الصفحة
الآية الشريفة	أ
الإهداء	ب
الشكر والعرفان	ت– ث
الخلاصة باللغة العربية	ح
فهرس المحتويات	ج– ذ
المقدمة	1–8
الفصل الأول التمهيدي: التعريف بمفاهيم البحث ومصطلحاته	10- 75
– المبحث الأول: النّص والخطاب والفرق بينهما	11
المطلب الأول: النّص	11
أولًا: مفهومه ومصطلحه	11
ثانيًا: معاييره	12
ثالثًا: تطبيقاته	14
المطلب الثاني: الخطاب	34
أولًا: مفهومه مصطلحه	34
ثانيًا: مضمونه	39
ثالثًا: أركانه	40
رابعًا: أنواعه	41

خامسًا: سمة الخطاب القرآني	45
– المبحث الثاني: النّص المحكي وحدوده	51
المطلب الأول: النّص المحكي	51
المطلب الثاني: جملة مقول القول	52
المطلب الثالث: النّص المحكي والحوار والفرق بينهما	64
أولًا: مفهوم الحوار	64
ثانيًا: الحوار القرآني وغرضه	65
– المبحث الثالث: التداولية مفهومها ووظيفتها	67
المطلب الأول: مفهومها	69
المطلب الثاني: وظيفتها	73
الفصل الثاني: أفعال الكلام في النّص المحكي	76– 156
توطئة	76
– المبحث الأول: الفعل الكلامي مفهومه وتطبيقاته	78
المطلب الأول: مفهومه	78
المطلب االثاني: تطبيقاته	81
– المبحث الثاني: النّص المحكي بفعل القول	84
المطلب الأول: الأخباريات في النص المحكي	85
المطلب الثاني: التوجيهيات في النّص المحكي	97
المطلب الثالث: التعبيريات في النّص المحكي	103
المطلب الرابع: الوعديات في النّص المحكي	107
المطلب الخامس: الإعلانيات في النص المحكي	112
– المبحث الثالث: النّص المحكي بغير فعل القول	116
المطلب الأول: الإخباريات في النص المحكي	119
المطلب الثاني: التوجيهيات في النص المحكي	130
المطلب الثالث: التعبيريات في النص المحكي	134
المطلب الرابع: الوعديات في النص المحكي	138

المطلب الخامس: الإعلانيات في النص المحكي	143
– المبحث الرابع: التراكيب التي حملت معنى القول	146
المطلب الأول: التراكيب التي تألفت من كلمتين	148
المطلب الثاني: التراكيب الثلاثية وما زاد عليها	154
الفصل الثالث: التلويح الحواري الحِجاجي في النّص المحكي	157- 208
توطئة	157
– المبحث الأول: الإطار النظري لمقاصد عنوان الفصل	159
المطلب الأول: التلويح الحواري	159
المطلب الثاني: الحِجاج مفهومه ووسائله التداولية	164
أولًا: الحِجاج عند القدماء	165
ثانيًا: الحِجاج عند المحدثين	168
– المبحث الثاني: الحِجاج فعلًا كلاميًا	176
المطلب الأول: مفهومه	176
المطلب الثاني: تطبيقاته	179
– المبحث الثالث: الحِجاج فعلًا قصديًا	191
المطلب الأول: مفهومه	191
المطلب الثاني: قوانين السلّم الحِجاجي	200
المطلب الثالث: تطبيقاته	201
الخاتمة	209-211
ثبت المصادر والمراجع	213- 242
الخلاصة باللغة الانجليزية	A

المقدمة

المقدمة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الحمــدُ لله الحــاكي بصــنعهِ عــن قدرتــهِ خــالقِ الأجنــاس مُــداولِ الأيــامِ بــين النــاس، والصــلاةُ والســلام علــى ســيّدنا محمــدٍ خــاتم الأنبيــاء والمرسلين المبعوثِ رحمةً للعالمين، وعلى آلهِ الغرِّ الميامين.

أمّا بعدُ:

فــإنَّ مــن دواعــي التوفيــقِ والسّــدادِ والهَــدْي إلــى الرشّــادِ خدمــةَ القــرآنِ الكــريمِ، وهــي الشــرفُ الــذي لا يعلُــو عليــه شــرفٌ ولا يتعــدّاه، ومِـنْ هنـا جـاءت هـذِه الدراسـةُ **(الـنّصُّ المحكـيُّ فـي القـرآنِ الكـريمِ دراسـةٌ تداوليّــة)**، لتُعَمِّــقَ هــذِه الرابطــةَ الوثيقــةَ بكتــابِ اللهِ ثُــمَّ لتكشــفَ جانبًــا مــن جوانــبِ أبعــادِ هــذا الــنصّ الــذي كلّمــا تقــادَمَ الزمــانُ كَشَــفَ لنــا عــن مَزِيّــةٍ انفــردَ بهــا عــن ســائرِ النّصــوصِ، وهــذا مــا ثبّــتَ لنــا صــدوُرهُ عــن ذاتٍ مُتقنةٍ يَعجزُ البشر عن مجاراتِها أو النسجِ على مِنوالِها.

وقــد تكفّلــت هــذه الدراســةُ ببيــانِ الــنصّ المحكــيّ الــواردِ فــي القــرآنِ الكــريمِ، وهــو أحــدُ الأســاليبِ الكلاميــةِ الحكيمــةِ فــي الــدَّعوةِ إلــى اللهِ تعــالى، إذ شــملتْ تلــك الأســاليبُ أصــنافًا عديــدةً، مــنَ المــؤمنينَ والكــافرينَ، والمنــافقينَ، واليهــودِ، والنصــارى، وشــملَ يــومَ القيامــةِ، والبعــثَ والنشــورَ والجنــةَ والنــارَ والشــياطينَ؛ وكــذلك عــمَّ هــذا الأســلوبُ

الحيوانـــاتِ والنباتـــاتِ والجمـــاداتِ والســـمواتِ والأرضَ، وغيرهـــا مـــن مظاهرِ الطبيعةِ المختلفةِ.

فـالنّص القرآنـي فيـه سـعة كبيـرة ومسـاحة واسـعة لحمـل المعـاني والأفكـار للوصـول إلـى ماهيّـة المعنـى والسـياق القرآنـي للأحـداث والقصـص التـي يعرضـها القـرآن الكـريم، ففيـه تُقـامُ الحُجـجُ والأدلـةُ للوصـولِ إلـى المقصـد القرآنـي، ولعـلَّ الـنّصَّ المحكـيَّ لـمْ ينَـلْ نصـيبهُ من الاهتمامِ في المناهجِ التداوليةِ الحديثةِ.

أولاً: اشكالية البحث:

يسعى هذا البحثُ لتحقيقِ الأهدافِ الآتية:

1- الوقـوفُ علـى مفهـومِ الـنصّ المحكـيّ، وذلـكَ ببيـانِ ماهيتـهِ ومُصطلحهِ.

2- محاولـةُ الكشـفِ عـن الوجـوهِ التداوليّـةِ فـي الـنّصّ المـدروسِ، وهـذا يُسـهِمُ فـي إثـراءِ الأبحـاثِ اللسـانيةِ التطبيقيـةِ المتعلّقـةِ بالقرآنِ الكريم.

3ـ الوقـوفُ علـى أسـاليبِ التداوليّـةِ وآلياتَهـا فـي الـنّصّ المحكـيّ القرآنيّ، والوقوفُ على دقائقهِ وجمالياتهِ.

4- النظرُ في دلالةِ السّماتِ الخاصّةِ للنّصّ المحكيّ.

ثانياً: منهجيّةُ البحث:

لقد اعتمدَ الباحثُ بصورةٍ اساسيةٍ على المنهجِ الوصفيّ التحليليّ مبنيًا على القواعدِ التي وضعها عُلماءُ البلاغةِ والألسُنيّةِ في دراسةِ الآياتِ القرآنيةِ وتحليلِها وبيانِ أساليبها التداوليّةِ، وكذلكَ للكشفِ عن وجوهِ إعجازها. ولا بُدّ من الإشارةِ إلى أنّ البحثَ قد استعانَ بآراءِ المفسرينَ هنا من بابِ التعضيدِ اللغويّ ليسَ أكثر، من دون مسٍّ بالأحكامِ الفقهيّةِ أو التوجهاتِ العقديةِ، ذلكَ أنَّ البحثَ لا يُعنَى إلّا بالظواهرِ اللغويةِ التي وردت في النصوصِ المحكيّةِ في القرآنِ الكريم.

ثالثاً: الدراسات السابقة:

ولا بدّ أنْ أشيرَ إلى البحوثِ والدراساتِ السابقةِ أو القريبةِ التي سبقتْ هذه الدراسةَ وأخصُّ منها بالذكر:

-نظامُ القولِ في العربيةِ: الخصائصُ التركيبيةُ والدلاليةُ/ د. منصور مبارك ميغري.

-الجملة المحكية في القرآنِ الكريمِ للباحثة وئام يوسف ناصر (رسالة ماجستير) جامعة بغداد/ كلية التربية للبنات.

-مقولُ القولِ وما في معنَاه في سورةِ الكهفِ – دراسةٌ نحويةٌ دلاليةٌ / د. اسامة محمد سليم.

-أنمـــاط جملـــة مقـــولُ القـــولِ بـــينَ الوظيفـــةِ والدِّلالـــةِ: محمد عبـــد الرحمن الريحاني

وهــذه الدراســاتُ جميعُهــا عرضــت للبحــثِ فــي جزئيــةٍ مــن جملــةِ مقــولِ القــولِ، أمّــا هــذا البحــثُ فكــانَ أعــمَّ وأشــملَ؛ لأنَّ ميدانــهُ هــو الــنّصُّ المحكــيُّ، وعليــهِ يفتــرقُ هــذا البحــثُ عــن تلــكَ البحــوثِ بكونــهِ أوســعَ مــن جملــةِ مقــولِ القــولِ، وغيرهــا مــن الجُمــل الأخــرى التــي حملــتْ معنَــى القــولِ مجــازاً، وكــذلكَ مــا فــرّق هــذا البحــثَ عــن غيــرهِ مــن البحــوثِ والدراســاتِ الســابقةِ هــوَ مــا اعتنــى بــهِ مــن دراســةِ الــنصِّ المحكــيِّ دراســةً تداوليةً.

رابعًا: أهم المصادر المعتمدة في البحث:

أمّــا المصــادرُ والمراجــعُ التــي اعتمــدتُ عليهــا، وأفــدتُ منهــا فــي البحثِ فكانت كثيرةً، ومتنوعةً، أهمّها:

- التداوليةُ من أوستن إلى غوفمان: بلانشيه، ترجمة: د. صابر الحباشة.
- التداوليةُ عند العلماء العرب: د. مسعود صحراوي.
- مدخلٌ إلى اللسانيات التداولية: الجيلالي دلاش، ترجمة: محمد يحياتن.
- المقاربةُ التداوليةُ: فرانسواز أرمينكو، ترجمة: سعيد علوش.
- التداوليــةُ اليــومَ، علــمٌ جديــدٌ فــي التواصــل: آن روبــول، وجاك موشلار، ترجمة: سيف الدين دعفوس ومحمد الشيباني.
- الوظائفُ التداوليةُ في اللغة العربية: أحمد المتوكل.

- بعضُ كتبِ التفسيرِ مثل: التفسير الكبير للرازي، التبيان في تفسير القرآن للطوسيّ، وتفسير التحرير والتنوير لابن عاشور وغيرها من التفاسير الأخرى.

خامسًا: خطّةُ البحث:

جاءتْ هذهِ الأُطروحةُ مؤلّفةً من ثلاثةِ فصولٍ متفاوتةٍ في عددِ صفحاتها لضروراتٍ تطلّبَها البحثُ وطبيعةُ الموضوعِ، تقدّمَ عليها مقدمةٌ وتمهيدٌ، ثمَّ تلتهَا خاتمةٌ فيها أهمُّ النتائجِ المتوصّلِ إليها بالبحثِ، فقائمةُ المصادرِ والمراجعِ هذا إجمالُ محتواها أمّا تفصيلُها فهو الآتي:

– الفصلُ الاولُ جاءَ فصلًا تمهيديّاً بعنوان (التعريفُ بمفاهيمِ البحثِ ومصطلحاتِه)، واشتملَ على ثلاثةِ مباحثَ، الأول: النصُّ والخطابُ والفرقُ بينهُما، والثاني: مفهومُ النصّ المحكيّ، والمبحث الثالث عُنِي بإيضاحِ التداوليةِ –مفهومُها ووظيفتُها.

– أمّا الفصلُ الثاني فقَد كان بعنوانِ (أفعالُ الكلامِ في النّصّ المحكيّ)، وقد عرضتُ في المبحثِ الأولِ منهُ النصَّ المحكيَّ بفعلِ القولِ، والمبحث الثاني عرضتُ فيهِ النصَّ المحكيَّ بغيرِ فعلِ القولِ.

– والفصلُ الثالثُ اعتَنى بـ(التلويحِ الحواريّ الحِجاجيّ في النّصّ المحكيّ)، إذ حوى المبحثُ الأولُ منهُ مفاهيمَ ومصطلحاتٍ

تعريفيةً، والمبحثُ الثاني كانَ معقودًا للحِجاجِ فعلًا كلاميًا، وكانَ الثالثُ منها مختصًا بالحِجاجِ فعلًا قصديًا.

سلكَ البحثُ طريقَ الانتقائيةِ في عرضِ النماذجِ والإفادةِ منها للتوجيهِ التداوليِّ في النّصِّ المحكيِّ، فأينما رصَدَ الباحثُ مَلمحًا تداوليًا وضعَ يدهُ عليهِ، ومن ثمَّ تناولهُ بالعرضِ والتحليلِ مع بيانِ الأبعادِ التداوليةِ التي تكتنفهُ.

سادسًا: أسباب اختيار الموضوع:

وما دعاني لاختيارِ هذا الموضوعِ أنّي لمْ أجِدْ- بحدودِ اطلاعِي- دراسةً اشتملت على مفهومِ أو عنوانِ النّصِّ المحكيِّ، فحاولتُ البحثَ في ذلكَ المفهومِ للوقوفِ على دراسةِ الارتباطِ الضروريِّ لعمليةِ التواصلِ في اللغةِ الطبيعيةِ بينَ المتكلمِ والسامعِ بالمقامِ اللغويِّ، وبالمقامِ غيرِ اللغويِّ، ثمَّ بيانِ طرقِ الاتصالِ بينَ المتكلّمِ والمتلقي معَ ظروفِ المقالِ أو المقامِ، والغايةِ التي كانَ يطلبُها القرآن الكريم من ذلكَ النّصِّ، وهذا ما لمْ أجدهُ في الدراساتِ التي بُحِثَ فيها.

وربّما كانتْ مدةُ إنجازِ هذهِ الإطروحةِ من الصعوباتِ التي واجهتُها في استيعابِ المادةِ العلميةِ للبحث؛ ذلك بأنَّها لمْ تسمح لي باستقصاءِ ما جاء متصلًا بموضوعِها في القرآنِ الكريمِ كلَه، فضلاً عن قلة وجودِ دراساتٍ سابقةٍ نظّرتْ لمفهومِ النّصِّ المحكيِّ في القرآنِ الكريم.

لقد اعتمدَ الباحثُ في هذهِ الدراسةِ بصورةٍ أساسيّةٍ على المنهجِ الوصفيّ التحليليّ؛ لأنّه يشملُ جميعَ المستوياتِ اللغويّةِ والبلاغيّةِ، وهذا ما تذهبُ إليهِ الألسنيّةُ في دراسةِ الآياتِ القرآنيةِ وتحليلها وبيانِ اساليبِها التداوليّةِ، وخُتمَ البحثُ بخاتمةٍ شملتْ أهمَّ النتائجِ التي توصلَ إليها.

وها قَد استوَت فصولُ الأطروحةِ وظهرتْ للنورِ، أرَى مِن دواعِي الوفاءِ والالتزامِ تقديمَ جزيلَ الشكرِ، وعظيمِ الامتنانِ لأستاذَتي الفاضلةِ المشرفةِ على هذهِ الأطروحةِ الأُستاذ المساعد الدكتورة **معالي هاشم أبو المعالي**، لمَا بذلتهُ من جهدٍ ومتابعةٍ وتقديمِ عونٍ، ولاسيّما ما أمدتنِي به من مصادرَ رئيسةٍ قامتْ عليها فصولُ الأطروحةِ. وعجزاً عن الشكرِ ألوذُ بالدعاءِ للهِ – تبَارك وتَعالى – بأنْ يمنَّ عليهَا بالعافيةِ وتمامِها وشمولِ السلامة ودوامِها.

ونشيرُ أخيرًا إلى أنَّ وقوفَنا على المباحثِ التداوليةِ للنصّ المحكيّ في القرآنِ الكريم، لا يَعني الادّعاءِ أنّنا أحَطنا بكلِّ المباحثِ، فهذا طموحٌ كبيرٌ يلزمُه تضافرَ دراساتٍ لاحقةٍ، نأملُ أن تجدَ في هذه الدراسةِ منطلقًا للقيامِ بها، غايتُنا في هذه الدراسةِ وضعُ لبنةٍ في سبيلِ بناءِ حدودِ هذا المفهومِ، فإن بَلغنا هذا الطموحَ ربَحنا ثَواب الأجرَينِ من اللهِ تعالى، وإذا تعذَّر فالأجرُ الواحدُ يَكفينا، والنيّةُ الخالصةُ لجعلِ المباحثِ التداوليةِ في خدمةِ الكتابِ العزيزِ وبيانِ جماليتهِ ومقاصدهِ، ولا أدّعي الكمالَ فهوَ لهُ وحدَه، وأسالُ اللهَ أنْ

يَنفعنـــا بِمَـــا عملنَـــا، وأنْ يعلّمَنـــا مـــا جَهلنـــا، وآخـــرُ الـــدعاءِ أنْ الحمـــدُ للهِ ربِّ العالمين.

الباحث

الفصل الأول التمهيدي

التعريف بمفاهيم البحث ومصطلحاته

- **المبحث الأول: النص والخطاب والفرق بينهما**

المطلب الأول: النص

المطلب الثاني: الخطاب

- **المبحث الثاني: النص المحكي وحدوده**

المطلب الأول: النص المحكي

المطلب الثاني: جملة مقول القول

المطلب الثالث: النص المحكي والحوار والفرق بينهما

- **المبحث الثالث: التداولية مفهومها ووظيفتها**

المطلب الأول: مفهومها

المطلب الثاني: وظيفتها

الفصل الأول التمهيدي

التعريف بمفاهيم البحث ومصطلحاته

لا ريب في أنَّ أي تواصل لغوي لا يتحقق بين المُرسل والمستقبل إلّا بالمفاهيم، وعند اتصال الإنسان بغيره اتصالاً لغوياً بغية التعبير عن ذاته، ونقل أفكاره وانفعالاته، فهو إمّا أن يكون متحدثا، أو مستمعاً، أو كاتباً، أو قارئاً، وفي كل هذه الحالات وغيرها يمر الإنسان بعمليات عقلية تكون اللغة منها هي مادة الإفصاح والأداة التي تتم بها عملية الإتصال.

ومن هنا تكفل هذا الفصل بإيضاح عنوانات الدراسة وذلك ببيان مفاهيمها والتعريف بمصطلحاتها. وهي على وفق الآتي:

المبحث الأول

النّص والخطاب والفرق بينهما

المطلب الأول: النّص:

أولًا: مفهومه ومصطلحه:

عند البحث في الدراسات الألسنية الحديثة يظهر لنا مصطلح كثيرا ما تردد ذكره وفرض نفسه بقوة وهو (النّص) لما بينه وبين الخطاب من ترابط ونوع من الخلط والالتباس في المفهوم، ولما لهذا التداخل في فهم المصطلحين كان لابدَّ من الوقوف عند مصطلح النّص بغية الحصول على فروق بينه وبين الخطاب إنْ كانت هناك فروق وإلّا حددنا مدى التطابق بينهما إن لم نجد فروقًا تذكر؛ ومن هنا نجد ضرورة في البحث للوقوف والتفريق بين هذين المصطلحين لما وجد بينهما من خلط عند الباحثين.

وللنّص عند القدماء من نحاة وفقهاء ومفسرين وبلاغيين معانٍ تختلف عما هو عليه اليوم في الدرس اللغوي الحديث التي تتعامل مع النّص من جوانب معرفية ونظرية، فضلاً عن المناهج المتعددة، ومن هذا الأمر فإنَّ النص في المناهج الحديثة هو ((شبكة من المعطيات اللسانية والبنيوية والأيدلوجية تتضافر فيما بينها لتكوّن خطاباً، فإذا استوى مارس تأثيراً عجيباً من أجل إنتاج نصوصٍ اخرى، فالنّص قائم على التجددية بحكم مقروئيته، وقائم على التعددية بحكم خصوصية عطائيته تبعاً لكل حالة يتعرض لها في

مجهر القراءة))[1]، والنّص عند رولان بارت: هو جسم مدرك بالحاسّة البصريّة يرتبط بالكتابة ويرسم بالحروف، ولو أنه يبقى تخطيطاً فهو إيحاء بالكلام وتشابك النسيج[2].

ويرى باحثون آخرون أنّه ((ليس إلّا سلسلة من الجمل كل منها يفيد السامع فائدة يحسن السكوت عليها، وهو مجرد حاصل جمع للجمل، أو لنماذج الجمل، الداخلة في تشكيله))[3]. في حين هناك من عرَّف النّص بأنّه خطاب ذو معنى ثابت بملفوظات مترابطة، ومتراصفة يتضمن رموزا دلالية، وعلى المتلقي أن يتعرف إليها، ويحلل معناها، أو يمكن أن نقول إنّ النّص مجموعة من الملفوظات تشكل بصفة عامة خطاباً مسترسلاً كما تشكل بنية قابلة للفهم والتحليل[4].

ثانيًا: معاييره:

هناك تداخل واضح في المصطلحين –النص والخطاب– عند الباحثين فإننا نجد بعض الباحثين من يستعملهما مترادفين، ولفضِّ هذا الالتباس بين المصطلحين يمكننا أن نسوق خلاصة للتمييز بينهما.

(1) دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة ابن ليلاي لمحمد العبد،: 46، وتحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص: 25.
(2) ينظر: لذة النص، رولان بارت: 11.
(3) من نحو الجملة إلى نحو النص: 228–229، ونحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي: 24.
(4) ينظر: اسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي تنظير وتطبيق على السور المكية: 36.

انقسم الدارسون في التمييز بين مصطلحي النّص والخطاب إلى رأيين[1]:

الأول: يرى أنَّه لا فرق بين النص والخطاب وهما مصطلحان مترادفان ويستعملهما بمعنى واحد.

الثاني: فصل بين المفهومين وجعل لكل واحد منهما حداً يتمييز به عن الآخر، وهذا التمييز فيه آراء:

1- النص والخطاب يتكاملان، فالأول يمثل الشكل أو ما يسمى البنية السطحية، والثاني يمثل البنية العميقة، وهما كالدال والمدلول.

2- الخطاب: ما نقوله أو نكتبه، والنّص: ما نسمعه ونقرؤه.

3- النص هو ما يظهره الخطاب ويبرزه، أو هو بناء نظري يتجسد عبر الخطاب.

4- النص كل خطاب يثبت بواساطة الكتابة، وهذا يعني في المقابل أن الخطاب ما يثبت مشافهة ولا يتجاوز السامع؛ لارتباطه بزمن إنتاجه على خلاف النص الذي يتسم بالديمومة.

ويرى بعض الباحثين ترادفهما، والبعض الآخر تمايزهما من بعضهما، وتشكّل زاوية الكتابة والمشافهة نقطة حاسمة للتفريق بينهما، إذ يعدُّ الخطاب إنجازاً شفهيّاً يوجهه المخاطِب إلى المخاطَب الحاضر، أمّا النّص فيعدُّ إنجازاً كتابيّاً موجهاً للمخاطب الغائب[2].

ولا بدَّ لنا من وقفة لنحدد رأينا من الفرق بين الخطاب والنص، فإنَّ الباحث يذهب مع الفريق القائل: حدود الخطاب أوسع من تخوم

(1) ينظر: مقاصد الخطاب القرآني بين الوقف والإبتداء: 21.

(2) ينظر: الاتجاه التوافقي بين لسانيات التراث واللسانيات المعاصرة الدكتور عبد الرحمن صالح إنموذجاً: 168.

النّص بوصفه بنية تركيبية ودلالية تتسع لتشمل وحدات وانساق تلفظية متعددة قد تحوي أكثر من نص بحيث تتآلف الجمل في خطاب بعينه لتشكل نصّاً متفرّداً، أو تتآلف النصوص نفسها في نظام متتابع فتشكّل خطابًا أوسع ينطوي على أكثر من نصٍ مفرد.

ثالثاً: تطبيقاته:

1- في الكلام والجملة:

كان لزامًا على من يبحث في التحليل الألسني الموضوعي للبنية الإسنادية الوظيفية أن يبحث في ثنائية (الكلام والجملة)؛ لأنّ هذه الثنائية تكاد تكون متلازمة في أغلب كتب النحاة قديمًا.

وحين ظهر مصطلح الجملة في الدراسات العربيّة القديمة، اختلف النحويّون في تحديد مفهومها من حيث علاقتها بمصطلح الكلام؛ فمن النحويين واللغويين من ذهب إلى القول بالترادف بين هذين المصطلحين، فكان يطلق مصطلح الجملة على الكلام على أساس أنّهما اسمان لشيء واحد، ومن هؤلاء[1]: أبو علي الفارسي (377هـ)، وابن جني (392هـ)، وعبد القاهر الجرجاني (471هـ).

ومن النحويين من فرّق بين الجملة والكلام؛ فأنكر ترادفهما، وجعل بينهما عمومًا وخصوصًا، مثل[2]: رضي الدين الأستراباذي (684هـ)، وابن هشام (761هـ)، والسيوطي (911هـ)، والفاكهيّ (972هـ). فهؤلاء يرون أنّ الكلام والجملة مستويان لسانيّان

(1) ينظر: المسائل العسكريات في النحو العربيّ: 73، والخصائص:72/1، 86، والجمل، لعبد القاهر الجرجاني: 40.

(2) ينظر: شرح الكافية الشافية، لابن مالك: 33/1، ومغني اللبيب: 357، وهمع الهوامع في شرح جمع الجوامع: 49/1، وشرح كتاب الحدود في النحو، للفاهكي: 64.

متميّزان ومختلفان، أي إنّ الجملة عندهم أعمّ من الكلام؛ ذلك أنّ الكلام شكل لغويّ نحويّ ودلاليّ مفيد، في حين أنّ الجملة يمكن أنْ تكون شكلاً نحويًّا ودلاليًّا تامًّا، يجوز السكوت عليه، ويمكن ألّا يكون كذلك[1]. وعلى هذا يكون أيّ تعريف للكلام يصلح تعريفًا للجملة، والعكس ليس بصحيح، وهذا ما يراه معظم النحويين[2].

ولم يختلف علماء العربيّة القدامى في تحديد مفهوم الجملة من حيث علاقتها بمصطلح الكلام فحسب، بل إنّهم اختلفوا أيضًا في تحديد مفهومها من حيث ربطها بمعياري الإسناد والتمام الدلاليّ؛ فمنهم من ربطها بأحد المعيارين، ومنهم من حاول الجمع بينهما، فظهرت ثلاثة اتّجاهات في تعريف الجملة[3].

الأول: اعتمد في تعريف الجملة على حسن السكوت، فذهب إلى أنّ الجملة هي اللفظ المفيد فائدة يحسن السكوت عليها، ولعلّ أهم من يمثل هذا الاتجاه هو المبرّد (285هـ)؛ إذ رأى أنّ الجملة ما يحسن ((السكوت عليها وتجب بها الفائدة للمخاطب))[4]، وكذلك ابن جني الذي عرّف الجملة بأنّها ((كل كَلَام مُفِيد مُسْتَقل بِنَفسِهِ))[5].

ومن الذين ربطوا مفهوم الجملة بتمام المعنى وحصول الفائدة ابن الخشاب (ت567هـ)؛ إذ قرّر أنّ ((الجملة كلّ لفظ أفاد السامع فائدة يحسن سكوت المتكلم عندها))[6].

---

(1) ينظر: التحويل في النحو العربي: مفهومه، أنواعه، صوره: 9.

(2) ينظر: الجملة العربيّة تأليفها وأقسامها: 14.

(3) ينظر: نظام الجملة في شعر الحماسة: 14، والجملة الاسمية: 9-10.

(4) المقتضب: 146/1.

(5) اللمع في العربية: 30.

(6) المرتجل: 27.

الثاني: ربط مفهوم الجملة بعنصر الإسناد، فذهب إلى أنّ الجملة تركيب يحتوي على عنصرين: مسند ومسند إليه سواء كان مفيدًا أم غير مفيد، ولعلّ أهم مَن يمثل هذا الاتجاه رضي الدين الأستراباذي (684هـ) والزمخشري (538هـ)؛ إذ عرّفها رضي الدين بأنّها تلك التي تتضمن الإسناد الأصليّ سواء أكانت مقصودة لذاتها أم لا[1]، وعرّفها الزمخشري بأنّها الكلام المركّب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى، نحو ((زيدٌ أخوكَ، وانطلقَ بكرٌ))[2].

وقد أيّد ابن هشام هذا الاتجاه في تعريف الجملة؛ فذكر أنّ الجملة ((عبارة عن الفعل وفاعله، كقامَ زيدٌ والمبتدأ وخبره، كزيدٌ قائمٌ، وما كان بمنزلة أحدهما...))[3]، وكذلك فعل الشريف الجرجاني (816هـ)، فقرّر أنّ الجملة ((عبارة عن مركّب من كلمتين أسندت أحداهما إلى الأخرى، سواء أفاد كقولك: زيدٌ قائمٌ أو لم يفِدْ كقولك: إنْ يُكرِمْني فإنّه جملة لا تفيد إلّا بعد مجيء جوابه، فتكون الجملة أعمّ من الكلام مطلقًا))[4]، وإلى هذا الرأي ذهب الفاكهيّ؛ إذ عرّف الجملة بقوله: ((القول المركّب الإسنادي أفاد أم لم يفِدْ))[5].

الثالث: يقدّم الجملة على أنّها تركيب نواته قائمة على عنصرين أساسيين، وهو تركيب ذو طبيعة دلاليّة ولا أعرف من القائلين بهذا الاتّجاه من القدماء غير أبو علي الفارسي وعبد القاهر الجرجاني، فقد وصف الجملة بأنّها الائتلاف المفيد الذي يحصل عادة بين الاسمين، نحو: زيدٌ منطلقٌ، أو بين الاسم والفعل، نحو:

(1) ينظر: شرح الكافية: 33/1.
(2) المفصّل في علم العربية: 6.
(3) مغني اللبيب: 357.
(4) كتاب التعريفات: 78.
(5) شرح كتاب الحدود في النحو: 64.

خرجَ زيدٌ، أو بين الاسم والأداة نحو قولنا: يازيدُ[1]، بيد أنّ القائلين بهذا الاتّجاه من المحدثين كثيرون[2].

وأرى أنّ فريقًا من النحويين عدَّ مصطلح الجملة مرادفًا لمصطلح الكلام، وفريقًا حاول الفصل بينهما انطلاقًا ممّا بينهما من فرق في العموم والخصوص، كما أنّهم لم يقدّموا لنا مفهومًا واحدًا من حيث ربطه بمعياري حسن السكوت والإسناد؛ بل تنوعت مفاهيم هذا المصطلح عندهم بين دلالته على التركيب المفيد، والتركيب الذي يتضمن إسنادًا[3].

ويؤيد الباحث الاتجاه الذي يجمع بين الإسناد والإفادة في تعريف الجملة، لأنَّ كلّ جملة –كما يقول فندريس– تحتوي على عنصرين متميزين، **أولهما:** مجموعة الصور المعنوية المرتبطة بتصورات في الذهن، **وثانيهما:** مجموعة العلاقات التي تربط تلك الصور بعضها ببعض[4].

2- الجملة عند النحويين القدماء:

أثار الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح الملقب بـ(أبو اللسانيات) مسألة يجدر الوقوف عندها، وهذه الإثارة ليست بجديدة بل طُرحت من قبل، ومفادها أنه لا يوجد أثر لكلمة (جملة) في كتاب سيبويه(180هـ) الذي يعد من أفضل الجهود النحويّة قديمًا،

(1) الجمل، لعبد القاهر الجرجاني: 40.

(2) ينظر: مثلاً النحو الوافي، للدكتور عباس حسن: 15/1، الجملة العربية دراسة لغويّة نحويّة: 31، في التطبيق النحويّ والصرفيّ: 77.

(3) ينظر: المباحث الصرفيّة والنحويّة في كتاب الحماسة ذات الحواشي لفضل الله الراونديّ: 215.

(4) اللغة، فندريس: 104.

فهو لم يذكر المصطلح ولم يشر اليه في تعريف مستقل[1]، وذلك لا يعني غياب المفهوم عنه بل هو يسميها عادةً (كلامًا) مع العلم أنّ مفهوم الكلام عنده يذهب إلى معانٍ عدة كـ (الخطاب، والنثر، واللغة، والجملة)، وإذا أراد مفهوم الجملة استعمل مفهوم ((الكلام المستغني، أو الإستغناء))[2].

وكان سيبويه يعبر عنها بمصطلح الكلام[3]، بيد أنّه أشار إلى فكرة الإسناد؛ فذكر طرفيه: المسند والمسند إليه، وتحدّث عن الجمل التي تبدأ باسم، والجمل التي تبدأ بفعل[4].

وللفرّاء(207هـ) فضل السّبق في استعمال كلمة الجملة بمعناها الاصطلاحي؛ إذ ورد هذا المصطلح في غير موضع من كتابه معاني القرآن[5]. وبعد الفرّاء استعمل هذا المصطلح المبرّد (285هـ)[6] وابن السرّاج(316هـ)[7]، ثم جاء نحويو المدرسة البغدادية؛ فتوسعوا في استعمال هذا المصطلح[8]، حتى إنّ بعضهم بعضهم أطلق على أحد كتبه اسم الجمل كابن شقير (315هـ)، وعبد القاهر الجرجاني.

أمّا أول من أفرد بابًا متخصّصًا لدراسة الجملة فهو أبو علي الفارسي؛ إذ عقد في كتابه (المسائل العسكريات في النحو العربيّ)

(1) ينظر: منطق العرب في علوم اللسان: 113- 115.
(2) ينظر: الكتاب: 2/ 90.
(3) ينظر: الكتاب: 23/1، ونظام الجملة في شعر الحماسة: 26.
(4) ينظر: الكتاب: 23/1.
(5) ينظر: معاني القرآن: 387-388.
(6) ينظر: المقتضب: 105/1.
(7) ينظر: الأصول في النحو: 43/1 ، 65، 86، 188.
(8) ينظر: الجملة النحويّة نشأةً وتطورًا وإعرابًا: 26.

بابًا سماه ((باب ما ائتلف من هذه الألفاظ الثلاثة كان كلامًا مستقلاً وهو الذي يسميه أهل العربيّة الجمل))[1].

وقبل هذا الوقت ليس في مصنفات النحو أبواب أو فصول خاصة بدراسة الجملة، وإنّما كانوا يتحدثون عنها في أبواب متفرّقة، مثل: الأبواب التي تخصّص لدراسة الحال والنعت والخبر والشرط وجوابه[2].

ثم جاء ابن هشام فأدرك هو الآخر ضرورة تخصيص باب للنظر في الجملة؛ بوصفها قاعدة الكلام ووحدته الأساسيّة، فأفرد لها بابًا في كتابه مغني اللبيب، ودرسها دراسة موسّعة شاملة[3].

3- الجملة عند النحويين المحدثين:

إنَّ تعريف الجملة عند المحدثين أغلبه جاء متأثراً بالعلماء الغربيين، وإنَّ الجملة عند علماء الغرب يمكن ارجاعه إلى ثلاث اتجاهات[4]:

الأول: الإتجاه الدلالي، وفيه الجملة تدل على معنى تام مفرد يحسن السكوت عليه.

الثاني: الإتجاه الخطّي، وفيه تدل الجملة على مجموعة كلمات تنتهي بنقطة، ويستعمل هذا الإتجاه في الأمور التعليمية.

الثالث: الاتجاه الإسنادي، ويشترط أن تشتمل الجملة على مسند ومسند إليه.

---

(1) ينظر: المسائل العسكريات في النحو العربيّ: 63-75.

(2) ينظر: نظرات في التراث اللغويّ العربيّ: 32.

(3) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: 490.

(4) ينظر: مفهوم الجملة في اللسانيات والنحو العربي: 197-198.

ويرى بالمر أنّ دراسة الجملة مرّت بتعثر بداية ظهور الدراسات اللسانية، وظهور دراسة الكلمات قائلاً: ((زيادة على كل المشاكل المتعلقة بدراسة الكلمة، هناك من يذهب إلى أنّ وحدة المعنى الرئيسة هي أساساً (الجملة) لا (الكلمة)؛ ذلك لأننا بالتأكيد نتفاهم بالجمل، وهذا ما يعكسه التعريف التقليدي للجملة: التعبير عن فكرة تامة))[1].

فاجتهد الباحثون المحدثون في تحديد مفهوم الجملة؛ إذ ذكروا عددًا ضخمًا من التعريفات زادت على ثلاثة مئة تعريف[2]، بيد أنّنا إذا ضربنا الصفح عن هذه التعريفات الكثيرة، واكتفينا بما جاء منها في الفكر اللسانيّ العربيّ الحديث، وجدنا تعريف الجملة فيه مشابهًا للتعريفات التي قدّمها الفكر العربيّ القديم؛ فمن الباحثين المحدثين من حاول التوفيق بين مصطلحي الجملة والكلام، فجمعوا بينهما من حيث دلالتهما على مفهومي الإسناد والإفادة مثل عباس حسن الذي قال: ((الكلام أو الجملة ما تركّب من كلمتين أو أكثر، وله معنى مفيد مستقل))[3].

وعرّف الدكتور مهدي المخزومي الجملة بأنّها الصورة اللفظيّة الصغرى للكلام المفيد في أيّ لغة من اللغات، وهي كذلك المركّب الذي يبيّن المتكلم به أنّه صورة ذهنيّة قد تألفت أجزاؤها في ذهنه، ثمّ إنّها الوسيلة التي تنقل مايدور في ذهن المتكلم إلى ذهن السامع[4].

---

(1) علم الدلالة: 46.

(2) ينظر: الجمل المحتملة للاسميّة والفعليّة: 14، والجملة بين النحو العربيّ واللسانيّات المعاصرة: مفهومها وبنيتها: 8.

(3) النحو الوافي: 15/1.

(4) ينظر: في النحو العربيّ نقد وتوجيه: 35.

وقال الدكتور محمد إبراهيم عبادة: ((إنّ التركيب المتضمن إسنادًا إذا كان مستقلاً بنفسه، وأفاد فائدة بحسن السكوت عليها سُمّي كلامًا وسمّي جملة))[1]، وذكر الدكتور عبده الراجحي أنّ الجملة في تعريف النحاة هي ((الكلام الذي يتركّب من كلمتين أو أكثر، وله معنًى مفيد مستقل))[2].

ومن الباحثين من ركّز في تعريف الجملة على حسن السكوت؛ فالدكتور إبراهيم أنيس يطالعنا بتعريف للجملة مؤداه أنّ الجملة هي القدر الأدنى من الكلمات التي تحمل معنًى يحسن السكوت عليه ، سواء تركّب هذا القدر من كلمة أو أكثر[3].

ووصف الدكتور ميشال زكريا الجملة في إطار الألسنية بأنّها وحدة كلاميّة مستقلة، يمكن لحظها عند السكوت الذي يحدّها[4]، ومثله فعل الدكتور خليل أحمد عمايرة[5].

وقد قسّم معظم النحويين الأوائل الجملة على أساس الكلمة المتقدمة على جملة اسميّة، وجملة فعليّة، فإنْ كانت الكلمة المتقدّمة اسمًا، قيلَ: إنّها اسميّة، وإن كانت الكلمة المتقدّمة فعلاً، وصفت بأنّها فعليّة[6].

وجعل أبو عليّ الفارسي الجملة على أربعة أقسام: اسميّة، وفعليّة، وشرطيّة، وظرفيّة[7]، وتابع الزمخشري(538هـ) أبا عليّ

(1) الجملة العربية دراسة لغويّة نحويّة: 31.

(2) في التطبيق النحويّ والصرفيّ: 77.

(3) ينظر: من أسرار اللغة: 236.

(4) الألسنيّة التوليديّة والتحويليّة وقواعد اللغة العربيّة (الجملة البسيطة): 24.

(5) ينظر: في نحو اللغة وتراكيبها منهج وتطبيق: 77.

(6) ينظر: المقتصد في شرح رسالة الإيضاح: 70/1، والدلالة الزمنيّة في الجملة العربيّة: 28، والتحويل في النحو العربيّ: 15.

(7) ينظر: كتاب الإيضاح، لأبي علي الفارسي: 92.

الفارسي في تقسيمه[1]، وأمّا ابن هشام فذكر أنّ الجملة في العربيّة تأتي على ثلاثة أقسام: اسميّة، وفعليّة، وظرفيّة، وعدّ الجملة الشرطيّة من قبيل الجملة الفعليّة[2]، وقد أخذ برأي ابن هشام بعض النحويين القدامى[3] مثل السيوطي والفاكهي، كما تأثّر بهذا التقسيم بعض الدارسين المحدثين مثل كمال بسيوني[4].

والناظر في جهود الدارسين المحدثين في تقسيم الجملة يجد أنّ منهم من اعتمد على معيار القدامى في التقسيم، بيد أنّهم اختلفوا في عدد أقسامها، فذهب الدكتور فخر الدين قباوة إلى أنّها على ثلاثة أقسام: اسميّة، وفعليّة و وشرطيّة[5]، وزاد بعضهم على هذه الأقسام الأقسام أقسامًا ثلاثة أُخر، هي: الظرفيّة، والوصفيّة، والجملة الجمليّة[6].

والمقصود بالجملة الجمليّة: الجملة التي تبدأ بجملة أخرى، مثل: تَسمَعُ بالمُعَيديّ خيرٌ من أنْ تراه[7].

وآثر بعض الباحثين المحدثين تقسيم الجملة على أساس الإسناد إلى جملة إسناديّة، وجملة غير إسناديّة، وقسم الجملة الإسناديّة إلى اسميّة وفعليّة، أي إنّها الجملة التي بين طرفيها علاقة إسناد، وأمّا الجملة غير الإسناديّة فهي جملة النداء، وجملة (نَعْمَ

(1) ينظر: المفصّل في علم العربية: 24.
(2) ينظر: مغني اللبيب: 358.
(3) ينظر: همع الهوامع: 50/1 ، شرح كتاب الحدود 65-66.
(4) الجمل النحويّة، بسيوني: 6.
(5) إعراب الجمل وأشباه الجمل: 19.
(6) ينظر: النظام الاشتقاقيّ في الجملة العربيّة: 43.
(7) مدخل إلى دراسة الجملة العربيّة: 25.

وبِئْسَ)، وجملة التعجب، أي إنّها الجملة التي ليس بين طرفيها علاقة إسناد[1].

ومنهم من قسّم الجملة بتقسيم مغاير عن سابقيه إلى[2]:

أ- التامة الإسناديّة: وتشمل الجمل: الاسميّة، والفعليّة، والوصفيّة.

ب- الجملة الموجزة: وهي التي يذكر فيها عنصر واحد من عناصر الإسناد، ويحذف العنصر الثاني حذفًا واجبًا أو غالبًا، وتشمل الفعليّة الموجزة، والاسميّة الموجزة، والجوابيّة الموجزة، مثل: نعم و لا.

ج- الجملة غير الإسناديّة، وتشمل خوالف: التعجب، والمدح والذم، وأسماء الأفعال، فضلاً عن النداء، والقسم، والإغراء، والتحذير.

وكذلك تنقسم الجملة بحسب علاقات الإسناد فيها على بسيطة، ومركّبة، وتصنف البسيطة إلى: بسيطة مطلقة، وبسيطة مقيّدة، وكذلك المركّبة تنقسم على: مركّبة مطلقة، ومركّبة مقيّدة[3]. كما تنقسم الجملة حسب وجود علاقات نحويّة أخرى، فضلاً عن علاقة الإسناد إلى: الجمل المقيّدة، والجمل المطلقة[4].

وللجملة تقسيمات أُخر؛ فقسّمها ابن هشام على أساس التأويل بالمفرد إلى الجمل التي لها محل من الإعراب، والجمل التي ليس لها محل من الإعراب[5]. كما قسّمها من حيث احتواؤها على جملة

(1) ينظر: دراسات نقديّة في النحو العربيّ: 129.
(2) العلامة الإعرابيّة بين القديم والحديث: 78-11.
(3) دراسات في اللسانيّات العربيّة: 27-28.
(4) المصدر نفسه: 27.
(5) مغني اللبيب: 463-402.

جملة أخرى بداخلها وعدم احتوائها إلى: جملة كبرى، وجملة صغرى[1].

وصنفت الجملة على وفق معيار الصدق والكذب إلى: جملة خبريّة، وجملة إنشائيّة[2]، كما صنفت إلى: الجملة الدنيا والجملة الموسّعة[3].

الجملة الدنيا: هي الجملة المكونة من عنصريها الأساسيين المسند والمسند إليه.

الجملة الموسّعة: هي الجملة التي تشمل على عنصريها الأساسيين المسند والمسند إليه، فضلاً عن اشتمالها على العناصر التوسعيّة.

وقُسمت الجملة على وفق المعيار التحويليّ إلى قسمين[4]:

الجملة النواة: وهي الحد الأدنى من الكلمات التي تحمل معنًى يحسن السكوت عليها.

الجملة المحوّلة: وهي الجملة النواة بعد تعرضها إلى عمليات تحويليّة متعدّدة.

ويؤيد معظم الدارسين المحدثين التقسيم الذي سار عليه علماء العربيّة القدامى[5]، والباحث يميل إلى التقسيم الثنائيّ؛ إذ إنّ أشكال الجمل مهما تنوّعت، فهي مندرجة

(1) المصدر نفسه: 361.

(2) الجملة العربيّة تأليفها وأقسامها: 194.

(3) الجملة الدنيا والجملة الموسّعة كتاب سيبويه دراسة وصفيّة تحليليّة: 14-15.

(4) ينظر: مدخل إلى دراسة الجملة العربيّة: 27، والنظام الاشتقاقي في الجملة العربيّة: 44.

(5) ينظر: مثلاً مبادئ اللسانيّات، د. أحمد محمد قدور: 272، والتحويل في النحو العربيّ: 11.

تحت أحد هذين القسمين، وقد أشار ابن يعيش (643هـ) إلى هذا المعنى[1].

وقد انتهى النحويّون العرب إلى أنّ الجملة العربيّة في أقصر صورها تركيب لابدّ أن يتوافر فيه ركنان أساسيان، هما المسند والمسند إليه وجودًا أو تقديرًا[2]. والمبتدأ في الجملة الاسمية هو المسند إليه، والخبر المسند، وأمّا في الجملة الفعلية فالفاعل أو نائبه المسند إليه، والفعل المسند[3].

ويذكر الدكتور فاضل السامرائيّ أنّ الجملة التي يكون مسندها فعلاً تدلّ على الحدوث، والجملة التي يكون مسندها اسمًا تدلّ على الثبوت[4]، والحقيقة أنْ ليس كلّ جملة اسميّة تفيد الدوام، فقولنا مثلاً (زيدٌ قائمٌ) يدلّ على تجدّد القيام لا دوامه[5]. ويمثل الركنان المسند والمسند إليه عماد الجملة أو نواتها؛ إذ لا تقوم الجملة إلّا بهما، وما عدا هذين الركنين ممّا تشتمل عليه الجملة، تسمّى عناصر توسعية أو تكميلية أو فضلات، تزيد في دلالة الجملة، بيد أنّها يمكن أنْ يتألف الكلام من دونها[6].

وأضاف الدكتور مهدي المخزومي على الركنين الأساسيين المسند والمسند إليه ركنًا ثالثاً هو علاقة الإسناد، والتي تكون علاقة ذهنية تربط المسند بالمسند إليه[7].

---

(1) ينظر: شرح المفصل: 229/1.

(2) التحويل في النحو العربيّ: 9.

(3) ينظر: الوظائف الدلاليّة للجملة العربيّة، دراسة لعلاقات العمل النحوي بين النظريّة والتطبيق: 40.

(4) ينظر: معاني النحو: 15.

(5) مبادئ اللسانيّات: 272.

(6) الجملة العربيّة تأليفها وأقسامها: 5-7، ونظرات في الجملة العربيّة: 29.

(7) ينظر: في النحو العربيّ نقد وتوجيه: 35، والوظائف الدلاليّة للجملة العربيّة: 38.

وهنا نرى أنَّ مفهوم الجملة لدى الدارسين المحدثين يمكن أن يلاحظ فيه كثرة استعمال مصطلح الجملة عندهم، ووصفوا الجملة بأنها خليّة حيّة لجسم اللغة عندما تبرز إلى حيز الوجود[1]، ((وبذلك يكون "الكلام" هو النشاط الواقعي إذ إن "اللغة" نظام و "الكلام" أداء نشاطي طبقا لصورة صوتية ذهنية، والكلام هو التطبيق الصوتي، والمجهود العضوي الحركي الذي تنتج عنه أصوات لغوية معينة، والجملة هي وحدة الكلام الصغرى أو الحد الأدنى من اللفظ المفيد))[2]، فالجملة هي أصغر وحدة للفظ التام.

4- في الجملة والنّص:

من الأمور المُسلّم بها في الدراسة الألسنية الحديثة، إنَّ دراسة اللغة لكي تكون ذات فائدة ومنفعة، لابدَّ لها بأن تقوم على الحد الأدنى من التعبير المفيد، الذي تبدأ منه اللغة في عملية التواصل والتبليغ، ومنه يستطيع المتكلم أن يتواصل مع الآخرين معبّرا ومبلّغا ومستمعا، وهذا التعبير المفيد التام هو ما يطلق عليه علماء الألسنية "الجملة"، وقد اختلفوا في تحديد مفهومها، وطرق دراستها، حتى صارت من أهم موضوعات دراستهم. إذ لا توجد نظرية حديثة إلّا وكانت منطلقة منها –الجملة–، وأصبح هذا الموضوع من المبادئ الملتزم بها في اللسانيات، وهو أن تكون الجملة منطلق كل دراسة لسانية، وأن تكون بداية كل وصف لساني ونهايته.

فالجملة من الأسس المهمة في اللغة، إذ لا تتم أي دراسة علمية لغوية إلّا عبر المرور بها وبأركانها وأسسها، فالنحاة هم

(1) ينظر: المباحث الصرفيّة والنحويّة في كتاب الحماسة ذات الحواشي لفضل الله الراونديّ: 216–218.
(2) بناء الجملة العربية، محمد حماسة: 31.

الـــذين حملـــوا علـــى عـــاتقهم دارســـة الجملـــة مـــن الناحيـــة الوضـــعية فصـــاغوا قواعـــدها، واستقصـــوا أنماطهـــا، ولكـــنّهم وقفـــوا عنـــد حـــدود الجمـــل فـــي دراســـاتهم وتحلـــيلاتهم، ولـــم يتجاوزوهـــا، وقـــد فصـــلّنا القـــول فيهـــا بالمطلب الأول من الدراسة.

البـــاحثون فـــي الـــدرس اللغـــوي العربـــي حكمـــوا بالتمـــايز بـــين الجملـــة والـــنّص، فأتبـــاع النحـــو العربـــي المـــألوف يـــرون أنّ الجملـــة أســـاس الـــدرس اللغـــوي، بينمـــا يـــرى أتبـــاع الـــنّص أن الدراســـة النصـــيّة هـــي ثمـــرة الـــدرس اللغـــوي القـــديم؛ لأنـــه يمـــنح الأدوات التـــي تســـاعد علـــى تحليـــل النصـــوص، وكـــذلك يتعامـــل مـــع مركبـــات لغويـــة تســـتعمل فـــي ســـياقات تواصـــلية، فـــي حـــين معطيـــات الدراســـة الجمليّـــة تتعامـــل مـــع جمـــل تصـــف النماذج اللغوية، ولا تدخل تحت إطار الكلام المنجز[1].

وعنـــد النظـــر فـــي التـــراث العربـــي نـــرى أنَّ النحـــاة المتقـــدمين بحثـــوا الجملـــة مـــن الناحيـــة الوضـــعية فوضـــعوا قواعـــدها، وأستقصـــوا أنماطهـــا، بيـــد أنهـــم لـــم يبتعـــدوا عـــن حـــدود الجمـــل فـــي تحلـــيلاتهم ولـــم يتجاوزوهـــا، وفـــي الوقـــت الـــذي اشـــتغل فيـــه علمـــاء اللغـــة، والمفسّـــرون، والأصـــوليّون بالبحـــث فـــي الكيفيـــة التـــي بهـــا يتماســـك الـــنصّ القرآنـــيّ ويتـــآلف مُشـــكّلًا بـــذلك نصّـــا مُتّسِـــقًا، ومِـــن ثَـــمّ اهتمـــوا باســـتخراج الوســـائل والعلائـــق والأدوات التـــي تســـهم فـــي تحقيـــق ســـمة النصـــيّة للـــنصّ القرآنـــيّ، بحيـــث جعلتـــه كُـــلّاً واحـــدًا مُوحـــدًا رغـــم اخـــتلاف أوقـــات نزولـــه وأســـبابه وحـــدة واحـــدةً يتـــرابط بعضـــها بـــبعض، وتتعلّـــق أجـــزاؤه علـــى نحـــوٍ تكـــامليّ حيـــث لا يستقلّ منه جزء عن الآخر.

النحـــاة المتقـــدمون كـــانوا علـــى وعـــي تـــام بضـــرورة أن يتجـــاوز الـــنّص تحليـــل البنيـــة الداخليـــة ليشـــمل بنيـــة الســـياق والعلاقـــات القائمـــة

(1) ينظر: مفهوم الجملة بين نحوي الجملة والنص: 52.

بين البنيتين السطحية والعميقة بما يكون تماسكاً دلالياً ملحوظاً[1]، لأنَّ ((الكلام إنما وضع للفائدة، والفائدة لا تُجْنَى من الكلمة الواحدة، وإنما تُجْنَى من الجمل ومدارج القول))[2]، فالكلام إذن مفهوم تخاطبي تداولي يعبّر عن بنية تشمل الجملة وتجاوزها.

أمّا من ناحية النّص، فلم تتمكن المناهج المحايثة ولا المناهج الأحادية النظرة ولا تلك الموغلة في التوسّع الخارج نصّي (المناهج السياقية) من قراءة النّص قراءة وافية والإحاطة بجميع جوانبه كلها استقراءً للدلالات الكامنة فيه، فالنظر إلى النّص من جانب واحد من زاوية واحدة لا توصلنا إلى نتائج دقيقة، أضف إلى ذلك أنّ القرّاء متفاوتون من حيث المدارك كما تتباين طاقات النصوص، ولا يوجد ما يمكن تسميته قراءة أو تفسير نهائي للنّص.

ففي التراث العربي القديم نرى أنَّ الشريف الجرجاني (816هـ) في حدّه للنص فهو يجمع بين المعنيين اللغوي والإصطلاحي، إذ يقول: ((النّص: ما ازداد وضوحًا على الظاهر لمعنى المتكلم، وهو سوق الكلام لأجل ذلك المعنى، فإذا قيل: أحسِنوا إلى فلان الذي يفرح بفرحي ويغتم بغمي، كان نصًا في بيان محبته... ما لا يحتمل إلا معنىً واحدًا، وقيل: ما لا يحتمل التأويل))[3].

وفي العصر الحديث ظهرت الحاجة إلى تأسيس نحو نصّي يُعنى بالكشف عن قواعد بناء النصوص، ومعايير تمييزها[4]، إذ اقتضى الأمر إلى التوسّع في الدراسات النحوية (نحو الجملة) إلى مفهوم أوسع وأشمل يتمثل في النص، وينتقل بالدراسة إلى الحدود

(1) ينظر: مدخل الى علم لغة النص: 97.

(2) الخصائص: 2/ 333.

(3) كتاب التعريفات: 241.

(4) ينظر: مدخل الى علم النص: 69.

الكليّة ضاربًا الصفح عن الحدود الجزئية للجمل[1]، وعلى أثر ذلك ظهرت مفاهيم ودراسات حديثة للنص تنقله من وحدة صغرى إلى وحدة كبرى، تربط بينها علاقات نحوية ودلالية، وهنا قد نقلت النحو التقليدي إلى نحو جديد في تحليل النصوص وأحد الوسائل المهمة في فهمه[2].

فالنّص من المصطلحات التي أصبحت نقطة خلاف في الدرس اللساني الحديث؛ لأنه يتداخل مع مصطلح الخطاب تداخلًا كبيرا إذ جعله بعض الباحثين مصطلحًا مرادفًا للخطاب، ولم يفرّق بينهما، يقول الدكتور صبحي الفقي: ((لا مبرر... لتقسيم اللغة إلى الخطاب والنّص، فكلاهما فيما نرى لا فرق بينهما))[3]، وهذه وجهة نظر تقابلها وجهات نظ أُخر، لأنَّ من الباحثين من فرّق بين النص والخطاب، فربط النّص بالكلام المكتوب أكثر منه بالكلام الشفهي، وقال ريكور: ((كل خطاب مثبت بواسطة الكتابة))[4]، فهو يعدُّ كتابة النص مكونًا أساسيًا من مكونات النَّص.

أمّا الإرهاصات الأولى للنّص كانت بداية عام 1950م، على يد هاريس عندما قدّم بحثاً بعنوان (تحليل الخطاب)، إذ لم يكن هذا البحث تأسيسًا لعلم جديد بقدر ما هو تعديلاً لنظريته، ونقل التحليل البنيوي إلى مستوى النصّ[5].

ويعد فان دايكVanDijk المنظّر الحقيقي لعلم النص، وهو أول من وضع له منهجًا له أسس وآليات وركائز علميّة، واصبح من المواضيع المهمة التي أخذت حيزاً في الدراسات اللغوية والألسنيّة

(1) ينظر: الدرس النحوي النصي في كتب اعجاز القرآن الكريم: 72.

(2) ينظر: نظرية النص: 227-230.

(3) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق – دراسة تطبيقية على السور المكية: 35-36.

(4) بلاغة الخطاب وعلم النص: 219.

(5) إشكالات النّص- دراسة لسانية نصيّة: 19.

الحديثة، ففي كتابه (النص والسياق) وضع قواعد وأسس هذا العلم، ثم تلاقفه الباحثون بعده بالدراسة[1].

ولتحديد ماهيّة النّص بوصفه مصطلحًا لسانيًا يتوجب علينا الوقوف أمام كم هائل من التعاريف تستند في معظمها إلى وجهات نظر شخصيّة، ومرجعيات ومنطلقات مختلفة، و((تأتي صعوبة القبض على النّص وتحديد ماهيته، وأبعاده من تعدّد الرؤى، ولكونه فضاءً لأبعاد متعدّدة ومتنازعة اضافةً إلى كونه شحنة انفعالية لغويّة، ومعايير أخلاقية، وقيم حضارية وخصائص اجتماعية))[2].

فيرى دي بوكراند أنّ النّص ((حدث تواصل يلزم لكونه نصّاً أن تتوافر له سبعة معايير، ويزول عنه هذا الوصف إذا تخلّف عنه أحد هذه المعايير وهي: السبك، الحبك، القصد، القبول، الإعلامية، المقامية والتناص))[3]، فهو يشترط حمل النص لرسالة تواصلية مع وجود المعايير السبعة التي سبق ذكرها.

ويرتبط النص عند العالم اللساني هلمسليف بالملفوظ اللغوي المحكي أو المكتوب، طويلا كان أو قصيرا ((فعبارة stop أي قف هي في نظر هالمسليف نص))[4].

أمّا هاليداي ورقية حسن فيحدّدان النّص بأنه كلمة تستخدم في علم اللغة للإشارة ((إلى أي فقرة مكتوبة أو منطوقة مهما كان طولها شريطة أن تكون وحدة متكاملة))[5].

---

(1) المصدر نفسه: 20.

(2) شعرية النص بين جديلة المبدع والمتلقي: 212.

(3) النص والخطاب والإجراء: 103-105.

(4) المعايير النصية في السور القرآنية: 18.

(5) نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي: 22، نقلا عن التماسك باللغة الإنجليزية، هاليداي ورقية حسن: Halliday Michael Alexander and Ruqaiya Hassan, 1978, Cohesion in English, Longman London: 1-2. .2-1

وقد حاول علماء النصّية استعمال منهج يشابه المنهج الذي اتبع في وصف الجملة، ولكن مع اتساع في التصوّر بتجاوز القضايا النحوية، وذلك لتسليط الضوء على بعض الجوانب التي يتوخاها النص[1].

فالنّص يشكل مفهوماً مركزياً في الدراسات اللسانية المعاصرة، وجاءت هذه الدراسات بمسميات عدة مثل: علم النّص، أولسانيات النّص، أولسانيات الخطاب، أو نحو النص...، وكلها تتفق حول ضرورة مجاوزة "الجملة" في التحليل إلى فضاء أكبر وأوسع، بل وأخصب في محاورة العمل الفني هو"الفضاء النّصي".

ويعدّ الانتقال من تحليل الجملة إلى النص فتحاً جديدًا في الدراسات اللسانية الحديثة، وخرجت على بعض أعراف علماء اللغة -التي كانت تعد الجملة أكبر وحدة لغوية، تتوجب الإحاطة به في البحث اللغوي- متجاوزة بذلك حدود الجملة إلى فضاء لغوي أوسع هو فضاء النص؛ وتعدّ النّص هو الصورة الكاملة المتماسكة التي يتم عن طريقها التواصل بين أفراد المجموعة اللغوية. وكان الهدف من ذلك أن تصاغ نظريَّة نصِّية عامَّة تشكِّل أساساً لوصف الأشكال النصّية المتباينة وعلاقاتها المتبادلة، وتنظر إلى النص بشكل كلَّي، فلا تقف عند بنائه التركيبي إلاَّ بقدر ما يؤثر هذا الركن البنائي في حركة النص الكلية[2].

وإنَّ الانتقال من الجملة إلى النص يعدّ انتقالاً في المنهج، وإجراءاته وأدواته وأهدافه، وقد استطاع النص أن يرتقي بالتحليل إلى

(1) ينظر: علم لغة النص المفاهيم والإجراءات: 109.

(2) ينظر: البحث اللغوي بين نحو الجملة والنص – سورة الفاتحة أنموذجا: 297.

مراحل متقدمة لم تستطع الجملة الوصول إليها، إذ تقوم وظيفة النص على تحليل العلاقات بين الجمل وبمستويات عدّة[1].

فالكلمة المفردة لا تعبّر بوصفها كلمة مفردة، والجملة لا تعبّر ما دامت جملة فقط، إنَّما الذي يحقق وظيفة دلالية وأداءً تبليغيًا هو النّص بغض النظر عن حجمه: طوله وقصره، وعندما تصبح الجملة نصًّا يكون لها وظيفة تبليغية، وعندما تصبح الكلمة نصًّا يكون لها كذلك أداءٌ تواصليٌ.

وعلى الرغم من كثرة التعريفات عند علماء النصّيّة نجد قاسمًا مشتركًا بين أغلب هذه التعريفات، وهو التأكيد على خاصيّة ترابط النّص، وهذه الخاصية نجدها في الدلالة اللغوية لكلمة (Texte) ومعناه (النسيج)؛ لأنه عبارة عن نسيج من الكلمات يترابط بعضه ببعض[2].

وهنا نجد أنَّ النّص قد تجاوز النظر في الكلمات؛ لأنها ليست لها معانٍ إنّما استعمالات، وهذا ما ذهب إليه فان دايك بقوله: ((يرى علم النّص أنّ مهمته تتجلى في صف الجوانب المختلفة لأشكال الاستعمال اللغوي وأشكال الاتصال وتوضيحها))[3]، وهذه الاستعمالات تخرج بها اللغة من محيطها الساكن إلى محيط الكلام المتحرك، وكما أنّ معنى الكلمة يكمن في استعمالها، فلا أساس لحياة اللغة خارج الاستعمال، في حين إنَّ أساس الدلالة وغايتها هو تحقيقها لفعل التواصل[4].

---

(1) في نحو النص: 30.

(2) ينظر: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصّية: 70.

(3) علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، فان دايك: 11.

(4) ينظر: تلقي الخطاب القرآني في ضوء علم اللغة النصّي – جزء تبارك وجزء عم أنموذجاً: 9.

وكثير من اللغويين العرب تنبّه إلى أنَّ ((ظاهرة العبارة القرآنية ليس هو كل شيء في تحديد معناها، ومعاني النصوص لا تتقرر من داخلها ووفقاً لما تمليه لغتها المباشرة وحدها، وإنّما تتحكم في تحديد النص القرآني كثير من الملابسات والقرائن منها: المأثور من التفسير، وأسباب النزول، والسياق اللفظي، والقرينة العقلية...))[1]، إلى غير ذلك من القرائن التي تضفي دلالات جديدة.

وبذلك نصل إلى نتيجة مؤداها أنَّ نحو النص يعدّ تطورًا طبيعيا للدرس اللغوي الذي يبدأ بأصغر المركبات اللغوية وينتهي بأكبرها وهو النص؛ فالعلاقة بينهما علاقة تكاملية وليست تفاضلية فالنص هو مكمّل للجملة؛ لأنه يتناول نوعًا آخر من الجمل وهي الجملة التي تؤدي وظيفة تواصلية داخل نصٍ ما.

(1) التأويل اللغوي في القرآن الكريم: 164.

المطلب الثاني: الخطاب:

أولًا: مفهومه ومصطلحه:

ورد الخطاب عند الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 170هـ) بمعنى مراجعة الكلام، والخطب هو سبب الأمر، والخُطبة مصدر الخطيب[1]، وجاء في اللسان (711هـ) ((توجيه الكلام نحو الغير؛ للإفهام؛ ومراجعة الكلام... والخطاب: محاورة، وجدال، ومحاجَّة كلام. وأما فصل الخطاب: فهو ما ينفصل به الأمر من الخطاب))[2].

ومما تقدّم يظهر أنّ مفهوم الخطاب يدل على معنيين لا ثالث لهما، أحدهما: الحدث المجرد من الزمن أي: حدث الخطاب، والآخر: الدلالة على المسمى، أي: ما يُخاطب به، وبهذا المعنى ورد مصطلح الخطاب في القران الكريم[3]، وذلك في قوله تعالى ﴿فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾[4]، وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾[1].

وفي الاصطلاح: للخطاب تعريفات عديدة عند الأعلام إذ تقلبت دلالته عندهم، وإنّ الفكر الغربي لا يختلف عن العربي في ذلك، وكأنَّ تعدد مجالات بحثه، وتنوع التخصصات التي يبحث

(1) ينظر: كتاب العين: مادة خ ط ب 222/4.

(2) لسان العرب: مادة خطب 252.

(3) ينظر: جمالية الخطاب في النص القرآني قراء تحليلية في مظاهر الرؤية وآليات التكوين: 73.

(4) سورة ص من الآية: 23.

فيها الخطاب كانت سبباً في ذلك التقلب الدلالي لمصطلحه على ما يبدو، ومهما يكن من أمر فقد استُعمل مفهوم الخطاب بمعنى اللفظ؛ إذ عرّفه الآمدي (ت 631هـ) بقوله: ((اللَّفْظُ الْمُتَوَاضَعُ عَلَيْهِ الْمَقْصُودُ بِهِ إِفْهَامُ مَنْ هُوَ مُتَهَيِّئٌ لِفَهْمِهِ))[2]، و جعل علي بن عبد الكافي السبكي (ت 771هـ) للخطاب معنيين، حصرهما في قوله: ((فحصل في الخطاب قولان أحدهما انه الكلام، وهو ما تضمن نسبة إسنادية، والثاني انَّه أخص منه، وهو ما وجه من الكلام نحو الغير لإفادته))[3].

وقد عرّفه بدر الدين الزركشي (ت794هـ) بأنَّه الكلام المقصود منه افهام من هو مُتهيَّئ للفهم، وعرَّفه قوم بأنّه ما يقصد به الإفهام أعم من أنْ يكون من قصد متهيئ ام لا[4].

وثمة محاولة من التهانوي (ت 1158هـ) أراد عبرها أنْ يربط المعنى اللغوي بالمعنى الاصطلاحي للخطاب؛ إذ قال: ((الخطاب...، وهو بحسب اصل اللغة توجيه الكلام نحو الغير للإفهام، ثم نُقِلَ إلى الكلام الموجه نحو الغير للإفهام، وقد يعبر عنه بما يقع به التخاطب))[1]. ونجد أنّ مصطلح الخطاب قد لاقى حضوراً مميزاً في الفكر الغربي؛ إذ عبّر عنه المفكر الفرنسي ميشال فوكو (ت 1984م) بأنه مجموعة من العبارات بوصفها تنتمي إلى

(1) سورة ص من الآية: 20.

(2) الإحكام في أصول الأحكام: 1/ 95.

(3) المصدر نفسه: 74.

(4) ينظر: البحر المحيط في اصول الفقه: 1/ 168.

ذات التشكيلة الخطابية؛ اذ لم تعد هذه التشكيلة وحدة بلاغية أو صورية قابلة للتكرار إلى ما لا حدّ له، ويمكن الوقوف على بداياتها بوساطة ظالتأريخ، أو هو (الخطاب) عبارة عن عدد محصور من العبارات التي يمكننا معرفة شروط وجودها[2].

وقد استعمل الأصوليون الخطاب بناءً على جذرهِ اللغوي، وانطلاقاً من الاستعمال القرآني له، وذلك في قوله تعالى ﴿**وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ**﴾[3]، وقوله تعالى ﴿**فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ**﴾[4].

ومّما سبق يظهر أنّ الخطاب يعتمد على طرفين هما: المخاطِب، والمخاطَب، أو المُلقي والمتلقي، لذا ذهب الغزّالي (ت505هـ) إلى أنّ كل ما لا يفهمه المخاطَب لا يكون خطاباً معه[5]، بيدَ أنّ الشائع عن الخطاب عند علماء الألسنية عن الخطاب بالمفهوم الأصولي هو تعبير ((حامل العلامة))[6] المتصل بالمستوى الدلالي.

ونظرةً لما قدّمه ميشال فوكو في نظريته المعرفية لمفهوم الخطاب، ولاسيما في كتابيه وهما: أركولوجيا المعرفة (عام

(1) موسوعة اصطلاحات كشاف الفنون والعلوم: 1/ 749.
(2) ينظر: حفريات المعرفة: 102.
(3) سورة ص: من الآية 20.
(4) سورة ص: من الآية 23.
(5) ينظر: المستصفى: 1/ 194.
(6) اساسيات المنهج والخطاب في درس القران وتفسيره: 285.

1969م)، ونظام الخطاب (عام1971م)، نجد أنّه قدّم فيهما تصوره للخطاب من وجهة نظر غربية نجد بأنّه نظر إلى الخطاب بوصفه كياناً متماسكاً بنفسه ينتج بطريقة معقدة من النظم الاجتماعية والسياسية والثقافية، في حين أنَّ (ميخائيل باختين) نظر للخطاب من منظور آخر فهو يعيد مسألة خطاب الآخر، ويفسره تفسيراً اجتماعياً[1]؛ إذ يقيّم الخطاب عبر بوتقة واحدة هي اللغة والخطاب، فهي عنده ليست علاقة خارجية بين اللغة والمجتمع بل علاقة داخلية جدلية فاللغة جزء من المجتمع، وبهذا نجده يربط الخطاب بالمعيش الاجتماعي، ومن ثم فهو يرى دراسة الخطاب تعنى بدراسة عمليات التلفظ اللغوي في سياقاتها الاجتماعية، مما يعني أنّ السياق الاجتماعي جزء لا ينفصل عن فعل لغوي[2].

وأهتم المحدثون بتعريف الخطاب وهو عندهم: ((كل كلام تجاوز الجملة الواحدة سواء كان مكتوبا أو ملفوظاً))[3]. وعرّفه طه عبد الرحمن بأنّه: ((كل منطوق به موجه إلى الغير بغرض إفهامه مقصوداً مخصوصاً))[4].

وإذا مازجنا بين التعريفين نخرج بنتيجة مفادها وجود طرفي الخطاب وهما: المخاطِب والمخاطَب، وتركز على أن يكون

(1) ينظر: خطاب المؤنث في القرآن الكريم –دراسة بلاغية–: 8–10.

(2) ينظر: جمالية الخطاب في النص القرآني قراءة تحليلية في مظاهر الرؤية وآليات التكوين: 80–81.

(3) دليل الناقد الأدبي: 155.

(4) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: 215.

الخطاب كلاما ملفوظا به دون إهمال المكتوب فضلا عن تحقيق خاصتي التواصل والتفاعل وقصد الإفهام.

وعلى هذا يتأسس مفهوم الخطاب في اللغة سواء العربية أم الأجنبية على ((التلفظ أو القول بين طرفين: أحدهما مخاطِب وثانيهما مخاطَب، وقد يتحاوران في شكل حديث حر، فيقال حينئذ: إنهما يتخاطبان، فيفهم أحدهما الآخر عن طريق البيّنة وفصل الخطاب))[1].

نستخلص مما مرَّ في حدِّ الخطاب مفاهيم عدّة يمكننا رصدها بما يأتي[2]:

1- الخطاب متتالية من الجمل.
2- الخطاب متتالية منسجمة من الملفوظات.
3- الخطاب فعل حيوي وانجازي يتطلب مؤثِّراً، ومتأثِّراً، وقصداً.
4- الخطاب دليل لغوي.
5- الخطاب متسق مترابط.
6- الخطاب وحدة تواصلية تامّة.
7- الخطاب نتاج نشاط لفظي.
8- الخطاب فعل الكلام.
9- الخطاب ظاهرة اجتماعية حيّة.
10- الخطاب موجه ومقصدي.

(1) ينظر: مفهوم الخطاب في النظرية النقدية المعاصرة: 12، والخطاب الحجاجي لأهل البيت عليهم السلام في كتاب الاحتجاج دراسة تداولية: 20.
(2) ينظر: لغة الخطاب السياسي: 39-40

11- الخطاب يستلزم مشاركة مباشرة.

وبالمحصِّلة فإنَّ الخطاب في إطاره التداولي يمكن التسليم **بأنَّه تفاعل لغوي مباشر موجَّه من متكلِّمٍ واعٍ إلى متلقٍ واعٍ لإيصال غرض ما، في سياق تخاطبي معيّن**[1].

ثانيًا: مضمونه:

يعرض الخطاب كثيراً من القضايا والموضوعات المختلفة، ولعل الجامع بينها هو الرسالة التي يسعى إلى إيصالها للمتلقي، وقد استعمل القرآن أساليب متنوعة بغية إيصال المضامين إلى المخاطبين، كالقصص، والأمثال بهدف فهم الرسالة التي يريد إبلاغها إلى المتلقين، ومن ثمَّ الكلام عن التفاصيل في خدمة تلك الرسالة [2].

وعبر المضامين يتحقق هدف الخطاب، إذ يمثل ركناً من أركان الخطاب، ويمثل تحديد الهدف أهمية بالغة في فهم الخطاب وفي تعيين وجهته الأساس؛ وإنّ هناك آراء واجتهادات مختلفة لتحديد الرسالة المركزية للقرآن الكريم؛ وهناك من الاعلام من يرى اصلاح الأمة، ومنهم من يراها هداية، ومنهم من يراها أم القيم، ومنهم من يراها أم العقلانية، وسوى ذلك من الآراء التي كان نشوءها طبيعة القرآن الكريم ورسالته المركزية.

(1) ينظر: الخطاب الحجاجي لأهل البيت عليهم السلام في كتاب الاحتجاج دراسة تداولية: 21.

(2) ينظر: اساسيات المنهج والخطاب في درس القرآن وتفسيره: 292-293.

ثالثًا: أركانه:

بعد أن تعرّفنا على مضمون الخطاب يحسن بنا أن نقف على الأركان التي يتألف منها، إذ يتألف الخطاب من أربعة أركان أساسية، هي: المتكلّم، والمتلقي، وأدوات الخطاب، ووسائله، ومضمون الخطاب ومحتواه، وبمجموع هذه الاركان ينتج مفهوم واضح للمتلقي، ولو فرضنا تحقق فهم الكلام خارج دائرة هذه الاركان؛ فسينتج فهماً ركيكاً متزلزلاً من الناحية الخطابية، ولهذا المعنى أشار أبو إسحاق الشاطبي (ت790هـ) إذ عرض لوازم فهم كلام العرب، إنّ مدار الكلام على معرفة مقتضيات الأحوال، وهي حال الخطاب من جانب الخطاب نفسه، أو المخاطَب، أو المخاطِب، أو الجميع في حال كون الكلام الواحد يختلف في الفهم بحسب حالين أو طبيعة المخاطبين وغير ذلك من أركان الخطاب[1].

وعندما ننظر أكثر في مفهوم أركان الخطاب ((نجد الأصوليين جرياً على المتكلمين استعملوا للتعبير عن الأركان الأربعة فقالوا الحاكم بدل المخاطِب، والمحكوم عليه بدل المخاطَب، والمحكوم به بدل أداة الخطاب، والحكم بدل مضمون الخطاب، وبحسب علماء الألسنية أنَّ الاتصال يحتم وجود متكلم، ومستمع، وشيء يريد

(1) ينظر: الموافقات في أصول الشريعة: 3/ 347.

المتكلم إيصاله إلى المستمع كما يستتبع وجود علامات ألسنيّة عبرها يتم الاتصال))[1].

رابعًا: أنواعه:

مّما لا شك فيه أنَّ الخطابات التي وردت في القرآن الكريم ليست كلها من نوع واحد، و المستقصي يستطيع أنْ يُميّز بين أنواع الخطاب القرآني، وقد عنى الأعلام من المفسرين بموضوع الخطاب القرآني إذ قسّموا تلك الخطابات بحسب ما يجدوه من دلالة، فمنهم من عدّه على خمسة عشر وجهاً[2]:

خطاب عام: كقوله تعالى: ﴿**الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا**﴾[3].

وخطاب خاص: كقوله تعالى: ﴿**أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ**﴾[4].

وخطاب الجنس: كقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم**﴾[5].

وخطاب النوع: كقوله تعالى: ﴿**يا بَنى آدَمَ لا يَفتِنَنَّكُمُ الشَّيطانُ**﴾[6].

---

(1) اساسيات المنهج والخطاب في درس القرآن وتفسيره: 286-287.

(2) ينظر: الاتقان في علوم القرآن: 3/ 109.

(3) سورة النساء: من الآية 1.

(4) سورة ال عمران: من الآية 106.

(5) سورة النساء: من الآية 1.

(6) سورة الاعراف: من الآية 27.

وخطاب العين: كقوله تعالى: ﴿يَا آدَمُ إِنَّ هَذا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوجِكَ﴾[1]، (يَا نُوحُ)[2]، (يَا زَكَرِيَّا)[3]، (يَا يَحْيَى)[4]، (يَا إِبْرَاهِيمُ)[5].

وخطاب المدح: كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا﴾[6].

وخطاب الذم: كقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين كفروا﴾[7].

وخطاب الكرامة: كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ﴾[8].

وخطاب الإهانة: كقوله تعالى: ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾[9].

وخطاب الجمع بلفظ الواحد: كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ﴾[10].

---

(1) سورة طه: من الآية 117.
(2) سورة هود: من الآية 32.
(3) سورة مريم: من الآية 7.
(4) سورة مريم: من الآية 12.
(5) سورة هود: من الآية 76.
(6) سورة النساء: من الآية 19.
(7) سورة التحريم: من الآية 7.
(8) سورة الاحزاب: من الآية 1.
(9) سورة ص: من الآية 77.
(10) سورة الانفطار: من الآية 6.

وخطاب الواحد بلفظ الاثنين: كقوله تعالى: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ﴾[1].

وخطاب الاثنين بلفظ الواحد: كقوله تعالى: ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾[2].

وخطاب العين والمراد به الغير: كقوله تعالى: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ﴾[3].

وخطاب التلوين[4]: وهو على ثلاثة أوجه:

الاول: أن يخاطب الحاضر ثم يخبر عن غائب: كقوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾[6].

(1) سورة ق: من الآية 24.

(2) سورة طه: من الآية 49.

(3) سورة يونس: من الآية 49.

(4) وقد اصطلح عليه العلماء تسميات عدّة منها: الالتفات، والانصراف، والخروج، والاستدراك، والخروج، والتحوّل، والعدول الاسلوبي، والإعتراض، فهو فعل تغليب الذوات واستحضارها، سواء كانت ذوات المتكلمين، أم ذوات المخاطبين أم ذوات المحكي عنهم، حيث يمارس منشئ الخطاب هذه العملية لتحقيق آثار محددة تضمن تحقق فاعلية الخطاب.[ينظر: الإستدلال البلاغي، شكري المبخوت: 97]

(5) سورة يونس: من الآية 22.

(6) سورة الروم: من الآية 39.

الثاني: أن يخبر عن غائب ثم يخاطب الحاضر: كقوله تعالى: ﴿أَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم﴾[1]، ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاء﴾[2].

الثالث: أن يخاطب عيناً ثم يصرف الخطاب إلى الغير[3]، كقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾[4].

ومن الأعلام من جعله على أكثر من ثلاثين وجهاً، ومن هؤلاء الفيروز آبادي (ت817هـ) في كتابه ((بصائر ذي التمييز في لطائف الكتاب العزيز))[5].

وقد تطوّر للخطاب اتجاهان[6] في ستينيات القرن المنصرم، **أحدهما** لغوي، يبحث في علاقات النّص على مستوى "ما فوق الجملة" بتتبع الإحالة النحوية وظروف استعمال الملفوظ وبنية الدلالة الكلية للخطاب.

والآخر يتمثل بتحليل المدرسة البنيوية، وأسفر تطور هذين الاتجاهين عن منظومة متسقة من الإجراءات المنهجية التي تفيد من المنظور التداولي في اللغة، بقدر ما تستثمر إمكانيات التحليل

(1) سورة ال عمران: من الآية 106.
(2) سورة الانسان: من الآية 21-22.
(3) ينظر: المدهش: 15-16.
(4) سورة الفتح: الآيتين 8، 9.
(5) الإتقان في علوم القرآن: 109/3، والحاوي في تفسير القرآن الكريم: 785/1.
(6) ينظر: بلاغة الخطاب وعلم النص: 106، والخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي: 9.

السيميائي للوحدات الوظيفية في النصوص تحت عنوان شامل هو "تحليل الخطاب".

خامسًا: سمة الخطاب القرآني:

انفردت الحضارة العربية الإسلامية بخطاب خاص بها، وبه تميزت من سواها، ولهذا أمكن تسميتها "حضارة النص" ولكي يتخذ الدارس صيغة منهجية يتجلى فيها البعد التداولي بوصفه مستوى متميّزاً ونظاماً فيه تموضع الأفعال والأحداث التي يصفها النّص، ويمكن التعامل مع الخطاب القرآني من ثلاثة منظورات: الدلالة التاريخية والدلالة النّصية والدلالة الآنيّة، وكل مستويات السياق تتجلى في بنية لغوية خاصة داخل إطار النسق العام للنص، الامر الذي يعني تعددية النص على مستوى سياقه الداخلي فضلا عن تعدد مستويات الخطاب[1].

فالخطاب القرآني، والمقصود به خطاب الله سبحانه وتعالى، وهو القرآن المنزل على رسوله المصطفى(صلى الله عليه وآله)، وهو خطاب إلهي معجز، وهو وجه من وجوه الإعجاز القرآني في اسلوبه، وتنوعه، وشموله، والمخاطِب هو الله عزوجل، والمخاطَب هم العباد، وهذه الشمولية لأصناف المخاطبين على اختلاف اجناسهم، وزمانهم ومكانهم، وتتعدى لتضم عامة الناس، وخاصتهم.

وهنا نجد تميّز الخطاب القرآني عن الخطاب البشري، فالخطاب البشري مهما كانت بلاغته، وفصاحته لايشمل جميع

أصناف المخاطبين، وزمانهم، ومكانهم، فهو خطاب يعتريه النقص والخطأ، أمّا الخطاب القرآني فيمكن أن نعرّفه فنقول: هو خطاب الله تعالى للمكلفين جميعاً، وللعقلاء وغيرهم[2] ترغيباً، وترهيباً، ووعداً ووعيداً.

لو أخذنا مثالاً عن الخطاب القرآني مثلاً عبارة **(قُلْ)** التي تدل على فعل القول في هذا الخطاب، إذ وردت في القرآن الكريم أكثر من ثلاثمئة مرة ومجموع سوره لا يتعدى مئة واربع عشرة سورة، كأن القرآن متشبّع إلى أقصى درجة بالتنبيه على فعل المخاطبة وتأكيده حدّ أن يبلغ الحضّ على هذا الفعل عدديًا ما يقرب من ثلاثة اضعاف عدد السور التي تحتويه[3].

وكذلك يظهر في كتب التفاسير تنوّع دلالات الخطاب القرآني، فنجد الخطاب في قوله تعالى ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا**﴾[4]، خطاباً إلى المؤمنين، وفي وقوله تعالى ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم**﴾[5] خطاب إلى الناس كافة، وكذلك خطاب الملائكة والجن والأنس، والجمادات والحيوانات وغيرها، وهذا دليل على تنوع الخطابات القرآنية[6].

---

(1) ينظر: اللسانيات والدلالة: 118.

(2) كما في خطاب الجمادات مثل الجبال وغيرها.

(3) ينظر: النص القرآني من الجملة الى العالم: 24.

(4) سورة النساء: من الآية 19.

(5) سورة النساء: من الآية 1.

(6) ينظر: التحرير والتنوير، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد: 304/9.

ويمكن أنْ يُقال إنّ للخطاب القرآني سلطة روحيّة ربانيّة صدرت لتحقق الأهداف السامية، وهو الإيمان بالله عزوجل، ورسالة عامة لكل البشر وفي كل الأزمان، فهو خطاب ملائم للفطرة الانسانية بكل أجناسها، لما يحويه من خصائص التلاؤم والانسجام والدقة في دلالاته ومقاصده ما جعله من الوسائل التواصلية الإبلاغية المتفردة عن باقي الخطابات[1]، لذا عنى الباحثون والدارسون بالخطاب القرآني منذ بدء نزوله إلى وقتنا الحاضر، ولا نجافي الحقيقة إذا قلنا: إنَّه لم يحظَ كتابٌ مطلقًا بالعناية من الناس بمثل ما حظي به القرآن الكريم، ولا أصدق من قول الإمام علي(ع) في وصف القرآن: ((اعلموا أنَّ هذا القرآن هو الناصحُ الذي لا يغش، والهادي الذي لا يظلُّ، والمُحدّث الذي لا يكذب: وما جالس هذا القرآن أحدٌ إلاّ قام عنه بزيادة أو نقصان، زيادة في هدى، أو نقصان من عمى))[2].

أمّا **طبيعة الخطاب القرآني**، فإنّ نصوص القرآن الكريم هي نصوص ذات أبعاد اجتماعية، وتربوية، وسياسية، واقتصادية وعلمية، فلم تكن دعوته محصورة بالمعنى المتعارف عليه لدى الفقهاء، بل كانت أعم من ذلك، إذ كانت تهدف إلى إصلاح المجتمع إصلاحا شاملا، سواءٌ في عقائده الدينية، أو صِلاته

(1) ينظر: جمالية الخطاب في النص القرآني "قراءة تحليلية في مظاهر الرؤية وآليات التكوين: 100.
(2) عيون الحكم والمواعظ: 478.

الاجتماعية، لذلك تناول في المقاصد الأربعة: العقائد، والواجبات الدينية، والأخلاق، والحقوق بجميع فروعها[1].

ونصوص القرآن الكريم ((لا يمكن اعتبارها ألفاظاً تحمل دلالات لغوية فحسب، وإنما لها أبعاد نفسية، وأخرى فكرية... أعمق من ذلك وأجدر بالعناية والملاحظة، والتتبع والبحث. ولذلك لا يمكن فهم هذا الخطاب القرآني واستنباط الأحكام منه إلا في ظل تكامل الإلمام بالأسرار اللغوية، والقيم الثقافية، والمفاهيم العلمية والفكرية، والممارسات الاجتماعية، والخبرات الإنسانية))[2].

ويرى الدكتور محمد مفتاح أنَّ مسألة إختلاف النّص القرآني تكمن في الفهم، فالقرآن الكريم حمّال أوجه، وكل متلقٍ يتلقاه بما أوتي من قدرات على الفهم والتلقي بشرط أن لا يبتعد الفهم عن الشريعة المحمدية، فيقول: ((إن الشرع راعى في خطابه الجمهور من الأميين والخطابيين والجدليين، ولذلك جاءت التصورات والتصديقات والقياسات فيه مُجْراةً على عادة العرب في مخاطباتها))[3].

فينماز القرآن الكريم بكونه نصّاً وخطاباً إلهيّاً، فهو بناء فكري ولغوي محكم ومتفرد، وهو خطاب ملفوظ ونص مكتوب تتحقق فيه مكونات العملية التواصلية وشروطها وتواصلها ووظائفها الاساس وهي: (المرسل- المرسل اليه - الرسالة) فالمرسل: وهو مصدر

(1) ينظر: المدخل إلى علم أصول الفقه: 413.

(2) تفسير القرآن الكريم بين المنهجين اللغوي والمقاصدي: 3.

(3) التلقي والتأويل مقاربة نسقية: 123.

الكلام ومبعثه وهو الذي يراعي مقتضى حال المخاطب، القرآن الكريم انزله الله جل شأنه للناس كتاب خير وهداية[1]، فقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[2]، فهذا خطاب الله لجميع الناس، ليبين لهم اهمية القرآن الكريم.

وهنا يتبيّن أنّ المُرسل الأول (الله سبحانه وتعالى) قد أصدر خطابه مراعياً حال المتلقي وملقياً الحجة عليه في آنٍ واحد، فالكلام البشري متنوع طبقاً لما يريده المرسِل، فنجد المرسل قد ارتبط بباعث خارجي، و((يؤدي الباعث إلى فعل إبداعي ينمو على أول رؤية بيانيّة للمبدع ازاء الحدث، وتكثر دوائر الفعل الابداعي حتى ينسجم مع سيرة المبدع وتجربته الفنية، فيتخذ من الاسلوب البياني المنسجم مع تصوراته حلاً مقترحاً يعادل به الواقع))[3] فإن كلام المرسل قد جاء بردة فعل على أمر ما، أمّا كلام الله فينماز بخصوصية عدم وجود باعث خارجي خلاف ما يعرض للناس من عاطفة وغيرها، القرآن الكريم تكمن خصوصيته في كونه مُرسَلا لكل الازمان، وإنّ غايته تربوية متجددة بحسب ما يتلقاه السامع.

وتأسيسًا على ما تقدم فإنَّ الخطاب في الأخير ما هو إلّا وسيلة من وسائل الإتصال بين أفراد المجتمع ويكون على اعتبارين:

1- اعتبار مقولة المخاطِب/ المتكلم الذي يحمل بدوره مجموعة من الأفكار والأحاسيس والمشاعر، والتي ستنعكس فيما بعد وتتجسد من خلال قدرته على البناء واحترامه لقواعده من أجل الوصول إلى غايته وهي الإخبار والإقناع.

(1) ينظر: عناصر الخطاب القرآني ووظائفه في سورة هود دراسة تفسيرية: 32-33.

(2) سورة يونس الآية: 57.

(3) اثر البواعث في تكوين الدلالة البيانية: 58 .

2- اعتبار مقروء القارئ، وهو ذلك الخطاب نفسه أو البناء نفسه لكن بعدما أصبح نصًا جاهزا للقرّاء والتحليل، ومن ثم لإعادة البناء وإنتاج نص جديد[1].

وهنا نصل إلى نتيجة مفادها أنّ الخطاب القرآني له نمط خاص من اللغة في نسقه وتركيبه ودلالته، مما يحمل المتلقي على التعامل مع بنية الخطاب على وفق ما يتطلبه السياق نفسه، فالخطاب القرآني لا يتجاوز التفسير الأول الذي وضع له، فكل تفسير وكل قراءة لن تقبل إنّ لم يكن هناك عودة إلى التفسير الأول الذي ينبع من أول قراءة له، فالخطاب القرآني محدود بحدود السياق المرتبط بأسباب النزول، لا سيما إذا وضعنا نصبَ أعيننا إنّ النص القرآني مفتوح وكل شخص يتلقاه حسب مرجعه الثقافي[2].

(1) ينظر: الخطاب العربي المعاصر: 9.

(2) ينظر: تلقي الخطاب القرآني في ضوء علم اللغة النصي: 2.

المبحث الثاني

النّص المحكي وحدوده

المطلب الأول: النص المحكي:

بعد إيضاح مفهوم النص ومصطلحه فيما تقدم وعلاقته بالخطاب والإشكالية في بحثهما يجدر بنا الآن أن نقف على مفهوم النص المحكي ونفصل القول فيه.

وقبل الولوج في تحديد مفهوم النّص المحكي لابدَّ لنا من التفريق بين بعض المصطلحات المتداخلة والمتغايرة والمتقاربة في وقت واحد، وهي "علم النّص" و "علم اللغة النّصي"، فعلم اللغة النصّي هو النحو الواسع الذي يهتم بالنّص، فالنحو التقليدي هو نحو جملة لا يتعدى تعامله نمط الجملة في تركيبها وبنائها، فإنّ نحو النّص أو لسانيات النّص هو نحو النّص بالمفهوم الواسع، و ((إنَّ موضوع إشكالية المعنى هو النّص وليس العلامة، وتعريفه بأنه تاويل متحرك أو ساكنا))[1]، فهو ينتقل بالنظر من المبنى إلى المعنى، والمبنى فيه شكل يستنبط عبر المعنى، فاللسانيات النصّية تبحث في الآليات والإجراءات التي تصنع نصية النّص، والعناية بما يحيط به من الإجراءات كالمقصدية والإخبارية والمقبولية والاتساق والانسجام[2]، يُعد البحث في التراث البلاغي والنحوي عن جذور للنص المحكي أمر ضروري بالنسبة إلى الذين لا يطمئنون إلى النظريات اللسانية الحديثة، ما لم يوجد لها سند تراثي يمنحها غطاءً شرعيًا للحضور في حرم الثقافة العربية، وإنّ كلّاً من التفسير

(1) فنون النص وعلومه: 60.

(2) ينظر: النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند: 8.

والبلاغة وأصول الفقه تنتسب إلى لسانيات الخطاب، فهي تتخذ الوحدة اللغوية أكبر من الجملة ميداناً لها، وتعد نظرية عبد القاهر الجرجاني(471هـ) أولى مظاهر الربط الجملي في لسانيات النّص؛ لذلك يرى بعض الباحثين بأنه ((لا أحد يستطيع التقليل من أهمية نظرية النظم أو النيل من مكانتها التاريخية والمعرفيّة، أو إنكار ما بينها وبين لسانيات النّص من تقارب))[1].

فالنحاة الأوائل كان لهم قصب السبق في تبلور هذا المفهوم، مع أنَّ القدامى لم يبحثوا (النّص المحكي) بقصد البحث عن قواعده وأسسه، إلّا أنهم درسوا مفهومه وعلاقاته ومكوناته في إطار بحثهم الجملة، وقد ثبتت عنايتهم البالغة بمفاهيمها ومكوناتها، وأخذت مجالاً واسعًا من تفكيرهم واهتمامهم، لذا جاء النّص المحكي في الدراسات اللغوية ليلبي حاجة العصر إلى مفاهيم ارتبطت بفن التعبير والقول، بيدَ أنَّ للنحاة العرب القدامى قصب السبق في الإهتداء المبكر إلى مواطن فصل الكلام، وإنْ لم ترقَ الإرهاصات الأولى إلى التقعيد[2].

فالنص المحكي نعني به: **إنَّه كلام الله حكاه لنا عن معاني من حكاه عنه من الأمم، وهذا النص الذي لا يكتسب مزيته بمعزل عن سياقه.**

(1) اللسانيات النصّية في الدراسات العربية الحديثة: 169.

(2) ينظر: لسانيات النص: 99.

المطلب الثاني: جملة مقول القول:

إنَّ ما ورد في قول الزجاجي (339هـ وقيل 340هـ): ((إعلم أنّ "قال، وقلت، ويقول، ونقول" وما أشبه ذلك إنما وقعت في كلام العرب للحكاية، وإنما يحكى بها ما كان كلاماً قائماً بنفسه، فإن كان شيئاً يتضمن معنى الكلام المحكي عَمِلَ فيه القول، فنصبه، وبطلت الحكاية))[1]، ففعل القول لا يشترط فيه صيغة معينة، وإنما يحكى بالقول بجميع صيغه الفعلية منها والإسمية، ويشترط الزجاجي في الجملة المحكية أن تكون كلاماً تاماً قائماً بنفسه.

وبيان ذلك أنَّ فعل القول (قال) هو الأصل لما نقل من الكلام حكايةً، ومن هذا لا يفهم أنَّ العربية لم تعرف الفعل (قال) الموظّف لغرض نقل الكلام المتصرف فيه (غير المحكي)، وهذا ما ذكره يونس في سياق اجابته عن سؤال سيبويه المتعلّق بصحة فتح الهمزة في قوله: (متى تقولُ أنّه منطلقٌ؟) أنّك تقولُ: قال عمروٌ إنّه منطلقٌ، فإن جعلت الهاء عمرًا أو غيرهُ لم تعمل (قال). وكذلك لا تعمل (قال) إذ قلت: قال عمروٌ هو منطلقٌ، فـ(قال) لم تعمل هنا إن كانت الهاء هي القائل، وكذلك لا تعلم إذا قلت: قال وأظهرت (هو)[2].

ومعنى ذلك أننا إذ قصدنا بالهاء (عمرًا) في قولنا: (قال عمروٌ إنّه منطلقٌ)، كان كلام عمروٍ المنقول على غير الوجهة التي صدر منه، لأنَّ عمرًا عندما أخبرنا بانطلاقهِ لا جرمَ أنّه عبّر عن نفسه بصيغة المتكلم: (إنّني منطلقٌ)، لذا فإذا نقلنا كلامهُ حِكايةً قلنا:

(1) الجُمَل، للزجّاجي: 1/ 313.

(2) ينظر: الكتاب: 3/ 142-143.

(قالَ عَمْرٌو إِنَّني مُنْطَلِقٌ)، وهو مِثْل قولِ اللهِ – جَلَّ وعلا– حِكايةً عن عيسى عليه السَّلام: ﴿**قالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتانِيَ الكِتابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً**﴾[1]. وأَمّا إذا قلتَ: (قالَ عَمْروٌ إِنَّهُ مُنْطَلِقٌ) بعودة الهاء إلى عَمْرٍو، كنتَ ناقلًا الكلام بالمعنى دونَ الالتزام بالألفاظ.

ويرى السيرافي (368هـ) أنَّ الفعلُ (قالَ) في تأرجح دلالتهِ على طريقتي نقلِ الكلام: النقل بالألفاظ تارةً، والنقلِ بالمعنى دون الألفاظ تارةً أخرى وذلك قوله: (حَقُّ الحِكاية أَن تَقول: (قالَ عمروٌ إِنّي مُنطلِقٌ)، وكذلك إذا قلتَ: (قالَ عمرٌو هو منطلقٌ). فحقُّ الحكايةِ أَنْ يَقولَ: (قالَ عمرٌو أَنا مُنطلِقٌ)؛ لأَنَّ هذا لفظهُ الذي لَفَظَ بِهِ، ولكنَّهُم قد يُغَيّرونَ لفظَ الغيبةِ إلى الخِطابِ، ولفظَ الخِطابِ إلى الغيبةِ، لأَنَّ ذلك أَقربُ إلى الأَفهامِ، ولا يُعَدُّ ذلك تَغييراً، لأَنَّ الذي يَقولُ: (إِنَّ زيداً مُنطلِقٌ) لو واجَهَهُ لَقالَ: (إِنَّكَ مُنْطَلِقٌ)، ولم يَكُنْ ذلك مُغَيِّراً للكلامِ عن مِنهاجِهِ))[2]، وهذا ما يسمى في المصطلح البلاغي الالتفات.

ونظرًا لتلك المنزلة التي حفت بالحكاية نجد أنَّ النحاة العرب أفردوا للحكايةِ باباً، يُفهَمُ مِنهُ أنَّهُم يَعْنونَ بالحكايةِ ((إيراد اللفظ المسموع على هيئتِهِ مِن غيرِ تغييرٍ فيهِ، أو إيراد صفتِهِ))[3]. فالحكاية تقسم عندهم على:

– **حكاية الجمل**، وهي مختصَّة بالقول، بدليلِ قولِ ابنِ هشامٍ: (حكايةُ الجمل مُطَّرِدةٌ بعدَ القولِ، نحو: ﴿**قالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ**﴾[4]))[5]

(1) سورة مريم: 30.

(2) الكتاب: 143/3.

(3) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: 4 / 251 .

(4) سورة مريم: 30.

(5) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: 4 / 251.

وتقسم حكاية الجمل على قسمين: **حكاية اللفظ**، وهو أنْ تحكي ما قال المتكلِّمُ الأول بألفاظهِ وترتيبها وهيئاتها، وإلّا فهي **حكاية المعنى**.

- **حكاية المفردات**: وهو أنَّه ((إذا قالَ لك رجلٌ:(رأيتُ رجلاً)، قلتَ:(أيًّا؟)، وذلك أنَّكَ أَرَدتَ أنْ تَحكِيَ كلامَهُ. فإنْ قالَ:(جاءني رجلٌ)، قلتَ:(أيّ؟) مَوقوفةً، فإنْ وَصَلْتَ قلتَ:(أيٌّ يا فَتى؟)، لأنَّها مَرفوعةٌ كالذي استفهمتَ عنه. فإنْ قالَ:(مَرَرْتُ برجلٍ)، قلتَ في الوقفِ:(أيّ؟) مَوقوف. كما تَقولُ في المَخفوضِ:(مَرَرْتُ بزيدٍ)، فإنْ وَصَلتَ قلتَ:(أيٍّ يا فتى؟))[1].

فالحكاية إذًا هي عمليَّةِ نقلِ الكلامِ وذلك بحَرفِه عن أصل مادته، والتصرف فيه بتغيير ألفاظه مع الإبقاء على جوهر المعنى الذي أرادَه صاحبهُ[2]، ويقول برجشتراسر: ((وإلحاقُ الكلامِ المَحكيِّ بفعلٍ مِن أفعالِ القولِ مباشرةً، هو المَألوفُ في أَكثرِ اللغاتِ على العموم. ويَجوزُ فيها الإخبارُ عن مَضْمونِ الكلامِ بدلَ حكايتِهِ))[3].

أمّا المَحْكِيّ فهو اسم مفعول من الفعل (حَكَى) ولا يختلف مفهوم المحكي اصطلاحًا عن معناه المعجمي -المشابهة والنقل-، إذ استعمله علماء النحو عند حديثهم عن الفرق بين الكلام والقول، فالقول ((كلُّ لفظٍ مذِل به اللسان، تامًّا كان أو ناقصًا))[4]، والمحكي: هي الأقوال التي تُحكى بصفة عامة بالمعنى لا باللفظ، ويرى ابن سنان الخفاجي (466هـ) أنَّ الحكاية غير المحكي وإن كانت مثله، معنى ذلك إنَّ صوتَ القارئِ شيء، وكلام الله شيء

(1) المقتضب: 1 / 570.

(2) ينظر: من قضايا فعل القول قال في العربية: 22-25.

(3)، التطور النحوي للغة العربيَّة، برجشتراسر: 185.

(4) الخصائص، لابن جني: 1/ 8.

فهو غير الله، إنّما هو يحاكي كلام الله، فالحاكي ينقل ما أتى به المحكي عنه وحكايته تلك هي فعل له[1].

والمحدثون لم يختلف عندهم المحكي، إلّا أنهم وضعوا تعريفاً أشمل ضمَّ القول المكتوب أيضاً، فقد عرّفَ عباس حسن الحكاية بأنها ((أن تردد اللفظ بحالته الأصلية وتُعيد نطقه أو كتابته بالصورة التي سمعناها أو قرأناها من غير أن نغيّر شيئاً من حروفه أو حركاته مهما غيرنا الجمل والتراكيب، ويجوز أن نرددهُ بمعناه إن لم يمنع مانع ديني))[2].

ويشير الدكتور سعيد يقطين إلى أنّ الخبر إذا كان ((أصغر وحدة حكائية، فإنَّ الحكاية تراكم مجموعة من الأخبار المتصلة... فالخبر والحكاية يتركزان بشكل خاص حول أحداث معينة))[3]، ويرى أنَّ هناك فارقاً زمنياً بين القول والإخبار، فالقول يكون متصلاً بالمتكلم بشكل مباشر، والإخبار فهو يتصل بالماضي وبالصوت غير المباشر، وإن كان ناقل الخبر هو الذي يخبر به[4].

أمّا المحكي في القرآن الكريم فهو ((كلام العباد حكاه الله بمعناه لا بلفظه، فالعبارة القرآنية هي كلام الله والمعاني هي معاني كلام من حكاه عنه))[5].

فالمحكي هو المقطع المتميّز في القرآن الكريم بالحوار، إذ يطرح موضوعه ومحتواه لا بالسرد إنّما عبر تفاعل شخصيات في مواقف متعددة، يُحدد من خلال تدخلاتهم المحتوى المحكي، الذي

(1) ينظر: سر الفصاحة: 46.

(2) النحو الوافي: 1/ 310 (الهامش).

(3) الكلام والخبر مقدمة للسرد العربي: 195.

(4) ينظر: المصدر نفسه: 190.

(5) الإيضاح والبيان في تحقيق عبارات قصص القرآن: 31.

يروم تحقيق مقاصدَ وغايات ما، ويرى إيميل بنفنيست أنَّ المحكي لا يظهر المتكلم، ويتم عرض الوقائع بطريقة موضوعية وكأنها تحكي نفسها[1].

وفعل القول هو (قال) أو ماتصرف عن لفظه، أو ما تضمن معناه مذكوراً أو غير مذكورٍ، وسابقاً الكلام المنقول (المقول)، وإذا جاء الفعل (قال) بلفظه أو ما تصرف عنه عندئذٍ يكون المقول حكايةً منقولها بلفظها ومعناها نقلاً تاماً كما صدر عن المنقول عنه، قال سيبويه: ((واعلم أن " قلت" إنما وقعت في كلام العرب على أن يُحْكى بها، وإنما تَحْكِى بعد القول ما كان كلاماً لا قول، نحو قلتُ: زيدٌ منطلقٌ لأنه يَحسن أن تقول: زيدٌ منطلقٌ، ولا تدخل " قلت ". وما لم يكن هكذا أسقط القول عنه. وتقول: قال زيدٌ إنّ عمراً خيرُ الناس. وتصديق ذلك قوله جل ثناؤه: ﴿**وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك**﴾[2]، ولولا ذلك لقال: " أَنّ " الله " . وكذلك " جميع " ما تصرَّفَ من فعله))[3].

والفعل (قال) يمثل فعل القول الرئيس الذي يليه الحكاية التي تمثل الكلام (المقول) ولا يليها إلّا القول المفيد، ويقصد بالمقول: تلك التراكيب الواردة بعد الفعل (قال) أو ما تصرف عنه، وهي التراكيب المطابقة للكلام المنقول في اللفظ والمعنى، ويقصد بما هو في معناه (المقول بالمعنى) وهي التراكيب الواردة بعد فعل بمعنى (قال) وهي التراكيب التي لا تطابق الكلام المنقول في لكنها تحتفظ بجوهر المعنى.

---

(1) ينظر: تحليل الخطاب الحواري في نظرية النحو الوظيفي: 45.

(2) سورة آل عمران: 42.

(3) الكتاب لسيبويه: 1/ 122.

وقد يرد الفعل (قال) على خلاف ما ذكر (أن تليه الحكاية والقول المفيد)، فيأتي بمعنى (ظنَّ) فيجري القول بعده معنى الظن، ومن ذلك مجيء القول بعد (أن) مفتوحة الهمزة، ويقول المبرد في باب (إن المكسورة ومواقعها): ((فَأَما أَتَقول الَّتِي فِي معنى الظَّن فَإِنَّهَا تعْمل فِي أَن عَملهَا فِي الِاسْم كَمَا قَالَ[1]:

أجُهالاً تَقولُ بَني لُؤيّ ... لَعَمْرُ أبيكَ أمْ مُتَجَاهِلِنا [من الوافر]

وكما قَالَ[2]:

أما الرَحيلَ فدونَ بعدِ غدٍ ... فَمَتى تَقولُ الدَارَ تَجْمَعُنا [من الكامل]

لأنّه يُرِيد الظَّن فعلى هذا تَقول مَتى تَقول أَن زيدا منطلق وأتقول أَن عمرا خَارج فَإِن لم ترد بهَا تظن وَأَرَدْت بهَا الْحِكَايَة كسرت كَمَا أنّكَ تَقول زيد منطلق تُرِيدُ اللَّفْظ وَلَا تُرِيدُ الظَّن))[3]. فإذا جاءت (إن) مكسورة الهمزة بعد فعل القول كانت حكاية منقولة، وإذا جاءت (أن) مفتوحة الهمزة بعد فعل القول جرى الكلام مجرى الظن.

وفعل القول تختلف دلالته باختلاف سياقه ومقامه الذي وضع فيه، فكل فعل يكتسب معاني مختلفة حين يقع في سياقات لغوية متنوعة.

ويمكن حذف فعل القول، ويذكر المقول، ولا يصرّح بالفعل (قال)، لكنه مفهوم، وهذا كثير في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾ [البقرة: 127] فأورد مقول القول فقط، ولم يذكر فعل القول (قالا أو يقولان)، فحذف الفعل وأبقى المقول.

(1) شعر الكميت بن زيد الأسدي: 3/ 39.

(2) ديوان عمر بن ابي ربيعة: 297.

(3) المقتضب للمبرد: 2/ 349.

وتارةً يذكر فعل القول لكنه يحذف المقول، ويكون المقول ظاهرًا في السياق نحو قوله تعالى: ﴿قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾ [يونس: 77] ما القول؟ هم لم يقولوا أسحر هذا ولا يفلح الساحرون؟ وإنما قالوا: هذا سحر، قول (أسحر هذا) هو قول موسى، وأضمر مقولهم هم، وهو مفهوم من السياق[1].

وقد وردت جملة مقول القول في القرآن الكريم نحو (1465 موضعًا قرآنياً)[2] كان نصيب الفعل الماضي منها الثلثين إذ بلغ عدد الشواهد أربعة وتسعين وثماني مئة شاهد، ولعل ذلك يرجع إلى أنّ جملة القول في الفعل الماضي قد إحتوت معظم أشكال تراكيب الجمل في العربية على أساس من مقتضى السياق والمقام والدلالة.

فهي جملة تقع بعد القول أو ما في معناه، وتكون معمولة له بغض النظر عن الموقع الإعرابي لفعل القول، أو صيغته الصرفية، سمّاها النحاة الجملة محكيّة؛ لأنّها تذكر بالنص والصيغة التي وضعها بها مُبدعها الأول فتحكى كما وردت عنه، وخير شاهد على هذا التعريف الشاعر الجاهلي (تأبط شرًا) فتركيب اسمه أصبح علمًا عليه، وقد رويت هذه الجملة كما قالتها أمه.

وقد بيّن الأستاذ عباس حسن بقوله إذا جرت الجملة المحكيّة ((من قبل على لسان، ثم أعادها المتكلم، وردّ ما سبق أن جرى على لسانه أو على لسان غيره. فلابد في الجملة التي تسمى: "مَحْكِيَّة" أن تكون قد ذُكِرَتْ مرة سابقة قبل حكايتها بالقول. وإلا فلا يصح تسميتها: "مَحْكِيَّة"))[3].

(1) ينظر: والدر المصون في علوم الكتاب المكنون: 246/6، وتفسير ابو السعود: 4/ 268.

(2) ينظر: جملة مقول القول في القرآن الكريم دراسة نحوية دلالية: 627.

(3) النحو الوافي: 2/ 48.

وبذلك إذا عرضنا تعريف النحاة للجملة والكلام والقول، امام تعريف مفهوم الجملة المحكيّة، فإننا سنرى أنّ إطلاق تسمية الجملة على الحكاية فيه نوع من القصور؛ ذلك أن مفهوم الجملة بأغلب حالاته لا يتجاوز المسند والمسند إليه مع متعلقاتهما مهما تحددت هذه المتعلقات، وسواء أكانت تفيد معنى مستقلاً أم لم تفد معنى مستقلاً، في حين أن الحكاية قد تشمل جملة واحدة بمتعلقاتها، وقد تشمل عدداً لا حصر له من الجمل غير متعلقة ببعضها، ولا يربط بينها أي رابط نحوي سوى كونها مقوله لفعل قول واحد.

وعليه يفرض البحث أنَّ إطلاق تسمية النّص المحكي يكون أكثر دقة في إعطاء مفهوم الحكاية في اللغة من تسميتها بالجملة المحكية؛ لأنَّ النّص قد يشمل جملة محكية واحدة، وقد يشمل جملاً محكية متعددة، وبذلك تعطي للنص معنى أوسع ليعطي للمخاطِب مرونة في وصف المعنى المراد نقله إلى المتلقي.

ويمكن أن نتلمس هذا المفهوم ونستشفه عند اعلام التفسير في مدوناتهم التفسيرية بيد أنهم لم يقفوا على إيضاح مفهومه كما تكفل به هذا البحث، إذ نلحظ أنّ النصوص المحكيّة في القرآن الكريم لها خصوصية تركيبية وصوتية ودلالية، فضلًا عن مزيتها في الإمكانيات التداولية التي بدت أكثر عمقاً وثراءً، عندما تجاوز النّص المحكي حدود الجملة الجزئية إلى النّص بكامله، وبهذا المفهوم المتّسع دفع عدد غير قليل من العلماء بالنظر الموسّع للمستويات اللغوية المختلفة، والنصوص المحكية ذات البعد الكلي الذي يرى الإنسجام والتلاحم في جميع الأجزاء وعمومها[1].

(1) ينظر: النص والخطاب قراءة في علوم القرآن: 205.

وإنّ معظم الظواهر اللغوية للنّص المحكي يكون فيها البعد التداولي قويّا؛ لأنّ المعنى فيه لا يقف عند حدود البناء التركيبي للجملة أو النّص، بل يشخّص مجموعة من عوامل المقام التي قيلت فيه العبارة وتشمل كلّا من المتكلم والمخاطَب والمستمعين والمكان والزمان والأسلوب والموضوع، وكذلك الغاية التي يطلبها المتكلم[1].

امّا دلالات النّص المحكي فهي ترتبط بالسابق واللاحق لها من التراكيب والجمل، وما يَنجم عن هذه العلاقات من دلالات متغيرة، فالنص المحكي يحدده سياق، و((المعاني لا تبدو مستقرة بل إنها تعتمد على المتكلمين والسامعين والسياق))[1]، وقد استعمل هذا السياق في اللغة العربية لاسيما في القرآن الكريم.

وبهذا نستطيع أن نُعرِّف النّص المحكي بأنَّه: **الكلام الذي يتألف من جملة واحدة، أو أكثر من جملة يقع بعد فعل القول المقدّر أو الظاهر، أو ما في معناه مهما كان عدد الجمل التي يحويها مع الأخذ بالحسبان أنَّه لا بدَّ للكلام لكي يسمى نصّاً محكيّاً أنْ يكون قد تُلفظ به قبل زمن الحكاية، أو هو النّص الذي نقله المتكلم حكايةً كما سمعها أو رآها، أو سمعها أو رآها غيره، وينقلها بلفظها ومعناها، أو بتصرف في اللفظ مع الاحتفاظ بجوهر المعنى.**

(1) ينظر: علم الدلالة السيمانتيكية والبرجماتية في اللغة العربية: 175.

وفي المخطط التالي نوضّح النّص المحكي بصورة تفصيلية.

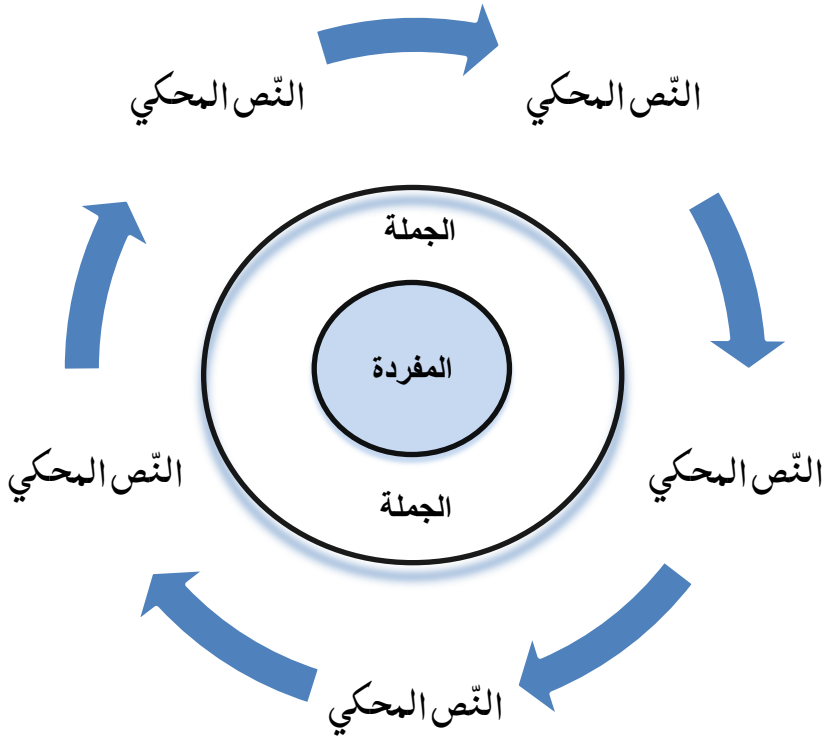

ونرى أنَّ النّص المحكي في القرآن الكريم جاء متنوعاً وبمواقف عدّة، فموقف ما يجمع فيه شخصيات حوارية محدودة حول موضوع أو موضوعات متعددة، وهذه المواضيع والشخصيات المتنوعة جعلت من النّص المحكي متعدد المواقف والأبعاد، ومن ذلك ما ورد من نصوص محكيّة في بعض السور القرآنية، وجاءت بمواقف عدّة منها:

- النّص المحكي عن نبي الله موسى عليه السلام في سورة الشعراء (9-15).

(1) علم الدلالة، أف بالمر: 10.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ(9) وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ(10) قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ(11) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ (12) وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ(13) وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ(14) قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾

- النّص المحكي عن نبي الله موسى مع السحرة الايات (42-47).

﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ(42) قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ(43) فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ(44) فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ(45) فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ(46) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

- النص المحكي عن أصحاب موسى مع نبي الله موسى الآيات (61-62).

﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ(61) قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾.

المطلب الثالث: النص المحكي والحوار والفرق بينهما:

أولاً: مفهوم الحوار:

عنى الدارسون – قدامى ومحدثون– بقضية الحوار، وأفردوا له أبواباً وفصولاً في مصنفاتهم في جانبي الأدب واللغة، فالحوار من الأساليب الفنيّة التي تساعد في تصوير الأحداث التي مضت، وبثها إلى المتلقي كما لو كان حاضرًا، والحوار يختلف باختلاف الموضوع المتحاور فيه، فتارةً يستعمل المتكلم في حواره بعض الحجج العقلية التي تكون محسوسة لإفادة المتلقي وترسيخ الفكرة في ذهنه، وتارةً يكشف لنا عن نمط الشخصية وما تحمله من مشاعر وأحاسيس تجاه الآخرين، وهو نوع من الحديث بين شخصين أو فريقين، يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة، فلا يستأثر أحدهما دون الآخر، ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب[1].

بحسب الجذر اللغوي للحوار فهو يدلّ على ثلاثة أصول: ((أحدها لون، والآخر الرجوع، والثالث أن يدور الشيء دَوْرًا))[2]، وما نحن بصدده المعنى الثاني، أي الرجوع، فهو أصل الحوار بالمعنى السائد.

فالحوار حديث يجري بين اثنين أو أكثر في العمل القصصي أو الأدبي أو الفلسفي، بين الأديب نفسه، أو بين ممثلين أو أكثر على المسرح، أو تفاوض في قضية معينة يفرض فيه الإبانة عن الموقف، والكشف عن كل ما يدور في النفس من خفايا[3]، وفي الإصطلاح هو تجاذب اطراف الكلام حول موضوع معيّن للتوصل

(1) ينظر: الحوار آدابه وضوابطه في الكتاب والسنة: 6.

(2) مقاييس اللغة، مادة حور: 2/ 115.

(3) ينظر: المعجم الوسيط: 1/ 205، ومعجم المصطلحات العربية في اللغة الادب: 154.

إلى هدف محدد، والكشف عن سمات الشخصية وما تحمله من أفكار ومشاعر وأحاسيس، وهو إن كان على شكل حديث نقاشي أو قصة دار فيها الحوار بين أطراف متعددة[1]، وبذلك لا تخرج التعريفات الإصطلاحية للحوار عن التعريف اللغوي له؛ وذلك للعلقة بين التعريفين اللغوي والاصطلاحي في الدلالة على المطلوب.

ثانيًا: الحوار القرآني وغرضه:

وبحسب ما تقدّم عن موضوع الحوار يمكننا أن نُعرِّف الحوار القرآني بأنه: أسلوب قرآني يحكي محاورة كلامية بين طرفين أو أطراف عدّة، يهدف إلى بيان معانٍ إسلامية محددة، تتضمن الإيمان بالله وكتبه ورسله، وغيرها من المعاني العامة.

وتعددت الحوارات في القرآن الكريم وتنوعت موضوعاتها ومضامينها، فمنها ما يتعلق بحوار الرسل مع أقوامهم، ومنها ما هو خارج نطاق النبوة، ولكل حوار أطراف، وقد يكون الحوار بين أكثر من طرف، ويجب أن تتوافر في المتحاورين شروط وصفات أهمها: العلم بموضوع الحوار، والتحلّي بآدابه ومعرفة أصوله.

وكل مواضع الحوار في القرآن الكريم أمثلة وشواهد لجمالية الحوار الراقي وتأثيره الرائع العظيم في المتلقي[2]، وجاء في سورة هود في سياق قصة ضيوف نبي الله لوط (عليه السلام) أنّهم عرّفوا بأنفسهم قبل بداية الكلام معه وهذا من آداب الحوار وأصوله، قال تعالى: ﴿**قَالُوا يَالُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ**﴾[هود: من الآية: 81]، وكذلك في قوله تعالى: عندما سأل نبي

(1) ينظر: الحوار القرآني طريقة للإتصال والتثقيف: 34.

(2) ينظر: الحوار في مشاهد القيامة في القرآن الكريم ، دراسة بيانية دلالية: 16.

إبراهيم (عليه السلام) الملائكة ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ [الذاريات: 25].

إنَّ الحوارات التي عُرضت في الآيات الشريفة ليست عملاً فنياً مستقلاً بموضوعه وطريقة عرضه كما هو الشأن في الأعمال الأدبية، بل هو وسيلة من وسائل القرآن التي تسعى إلى تحقيق غرضه الأصيل في تبليغ الدعوة المحمدية وتثبيتها، فالقرآن الكريم بإعجازه جمع بين الغرضين الديني، والغرض الفني في آنٍ واحد، وجعل من الجمال الفني أداة مقصودة للتأثير الوجداني، للتوصل للغايات المراد تحقيقها.

وتهدف الحوارات في القرآن الكريم للتوصل إلى الحق والإعتراف به والخضوع له وإفساد الباطل ونفي الشبهة، والتراجع عن الخطأ، وينبغي أن يكون الهدف من الحوار الإخلاص في الوصول إلى الحق وصدق النية لإرضاء الله تعالى وإعلاء كلمة الحق[1].

فالمتأمل في الحوار القرآني يلحظ فيه قوة الأسلوب الذي لا يكاد يغيب عن آياته، فهو الوسيلة المعبرة عن آراء الآخرين، إذ يُعدُّ أهم التقنيات التي يستعملها القرآن الكريم في التواصل والتفاهم وتوضيح الفكرة والوصول إلى الحق والصواب من أجل تجاوز الخلافات، وحل المشكلات والنزاعات، وتمتين الروابط والعلاقات في جميع مناحي الحياة، وكذلك لنقل الأحداث والقصص وبيان حججها وغاياتها.

(1) ينظر: الحوار آدابه وضوابطه في الكتاب والسنة: 130 .

المبحث الثالث

التداوليّة (مفهومها ووظيفتها)

تمـــايزت الدراســـات اللغويـــة بعـــد ظهـــور الـــدرس الألســـني المعاصـــر، وتميـــزت بنـــوع مـــن التوسّـــع ممـــا أدى إلـــى تفـــرّع المجـــالات البحثيـــة إلـــى إتجاهـــات عـــدّة تبنـــت قـــراءة آنيـــة جديـــدة للـــنص ممـــا أدى إلـــى منافســـة المناهج الموجودة آنذاك.

والتداوليـــة مصـــطلح جديـــد يحمـــل مفهومًـــا قـــديمًا، تـــم اســـتخدامه قـــديمًا فـــي التـــراث اللغـــوي العربـــي، ضـــمن أنســـاق وســـياقات نحويـــة وبلاغيـــة، وأصـــولية وكلاميـــة وغيرهـــا، فهـــي لـــديها القـــدرة علـــى وصـــف اللغـــة العربيـــة، والوقـــوف علـــى أدواتهـــا الخطابيـــة والتواصـــلية، كونهـــا نســـقًا معرفيًـــا اســـتدلاليًا يبحـــث عـــن الوقـــوف علـــى غـــرض القائـــل مقاميًـــا، مـــن خـــلال معرفـــة الاســـتراتيجية الخطابيّـــة للـــنص، ثـــم الكشـــف عـــن البعـــد العملـــي للقـــول عـــن طريـــق التواصـــل مـــع الســـياق؛ لأنَّ المـــنهج البنيـــوي ســـابقًا قـــد اقصـــى الســـياق فـــي فهـــم القصـــدية الدلاليـــة، واختصـــت بحصـــر دراســـة اللغـــة فـــي الكشـــف عـــن مكونـــات البنيـــة اللغويـــة، امّـــا التداوليـــة اهتمـــت بدراســـة الاســـتعمال اللغـــوي، والكشـــف عـــن طرائقـــه وخصائصـــه الخطابية، أي حينما تكون اللغة متداولة بين مستعمليها.

فالتداوليّـــة أكثـــر المنـــاهج اللغويـــة التـــي لـــم يتفـــق المنَظّـــرون لهـــا علـــى تعريـــفٍ معـــيّنٍ، فكثـــرت التّرجمـــات التـــي جـــاء بهـــا مـــن كَتَـــب فـــي التداوليـــة، وتعـــددت حقـــولهم المعرفيّـــة، فأصـــبحت مَحـــط اهتمـــام

المناطقة والسيميائيين والسوسيولوجيين والبلاغيين والفلاسفة وعلماء التواصل واللسانيين، والعلوم النفسية كانت سببًا من الأسباب التي أدت نشوء تلك الضبابية حولها، وعدم الوقوف على مصطلح التداولية بمفهومها الحالي إلّا متأخرا قياسًا ببدايتها، وبذلك فهي على مستوى التحليل، لا يمكن أن نصنّفها في أي من المستويات ولا تَدرس جانبًا محددًا في اللغة بل تستوعبها جميعًا، وسنكتفي بتعريف موجز عن التداولية لكثرة ما كُتب عنها ففي ذلك غِناءٌ لطالبهِ.

إذ جاءت التداولية رد فعل على الإلتزام الكبير في البنيوية المتعلقة بالنظرية، وقد جاءت التداولية بوصفها إتجاهاً ذاع وأنتشر في مرحلة ما بعد البنيوية متعارضة مع مبدأين أساسيين في البنيوية: مبدأ التحليل اللغوي وصرامة النظرية، ومبدأ إنغلاق النّص على نفسه وعدم الإلتفات إلى الأبعاد السياقية، وقد جاء ذلك كرد فعل ((لكثرة التنظيرات التي ازدهرت في تلك المرحلة، فقد رأى مجموعة من الفلاسفة والنقاد أن ما يعرف بـ"النظرية" – ويقصدون أية تركيبة معرفية لغوية تدّعي صفة النظرية– إنما جاءت نتيجة محاولة خاطئة في المقام الأول لتفرض معايير تفسيرية أو تقويمية كلية على ظواهر تستعصي طبيعتها العددية والمتنوعة على الإختزال في أنموذج تفسيري أو تقويمي أو تحليلي واحد، وهو ما تسعى النظريات عادةً إلى تحقيقه، ومن الأمثلة الكثيرة على ذلك البنيوية والماركسية اللتان تحاولان بصرامة منهجية إعطاء تفسيرات

واضحة بل وآلية لظواهر ثقافية وأدبية متباينة إلى حد التنبؤ بما سيحدث لظاهرة ما))[1].

ومن هذا المنطلق فالتداولية وإن كانت وليدة التفكير الفلسفي، لكنها أقرب للمباحث اللسانية المعنوية، كون التداولية تهتم بجوانب معنوية مهمة كالحدث (الفعل المنجز)، وهذا يكون أساس الفعل الكلامي الذي طرحه أوستن، وذلك ((لا يعني أنّ التداولية غارت في أعماق البحث المعنوي، وإنما إهتمت بالمحيط الذي يحيط بالحدث الكلامي، وأهملت أهم مفصل من مفاصل البحث المعنوي هو معنى بنية الجملة، أو النص الذي إشتمل عليه الفعل الكلامي؛ لسبب مهم أن الفيلسوف ليس من وكده، ولا من ثقافته البحث في مواطن توليد المعنى في بنية الوحدة الكلامية التي هي الجملة))[2].

المطلب الأول: مفهومها

يرجع أصل مصطلح (تداولية) إلى مادة (دَوَل) وجاء في معجم مقاييس اللغة على أصلين أحدهما: يدل على تحوّل شيء من مكان إلى آخر، ومن هذا الباب، تداولَ القوم الشيء بينهم: إذا صار من بعضهم إلى بعض وَالدَّوْلَةُ وَالدُّولَةُ لُغَتَانِ. وَيُقَالُ بَلِ الدُّولَةُ فِي الْمَالِ وَالدَّوْلَةُ فِي الْحَرْبِ[3]، وتأسيسًا على ذلك فهي تدل على

(1) دليل الناقد الأدبي: 89.

(2) في اللسانيات المعاصرة نقد وبناء: 391.

(3) ينظر: معجم مقاييس اللغة: مادة دول 2/ 314.

القيام بفعل ما في الواقع مرة أو مرات عديدة، ويتم ذلك بكيفيات مختلفة تبعاً لإختلاف طبيعة كل فعل.

فالتداولية مصطلح عربي وهو ترجمة للمصطلحين الإنجليزي Pragmatic، والفرنسي Pragmatique، وعرِّف مصطلح التداولية تعريفات عديدة منذ ظهوره لأول مرة، فالتداولية ((هي علم يعالج علاقات العلامات بمؤوليها))[1]، فالتداولية بحسب تعريف أرمينكو تعالج علاقة العلامات بمؤوليها، والعلامات هنا لفظ عام يندرج تحته العلامات للغوية والعلامات غير اللغوية، هذه العلامات التي يمكن أن تصنع الدلالة بطرائق مختلفة وبوسائط متنوعة، والتداولية تتصدى لدراسة العلاقات بين هذه العلامات والمعاني التي أنتجتها.

ويرى الباحثون أنه لا يوجد عمل أدبي –قصيدة أو رواية أو مسرحية– جميل في ذاته، وإنما يكتسب ذلك عبر تداوله عمليًا، فيصبح عملاً مقروءاً من شريحة واسعة من القرّاء؛ لأنّ هذه الشريحة وجدت ضالتها المنشودة، وهنا يصبح التداول معياراً لتمييز النتاج الرديء من الجيد، وبالتالي تأخذ الأعمال قيمتها ونجاحها من الواقع المتداول[2].

ويقول جاك موشلر: ((نستطيع تعريف التداولية، بصفة عامة، بأنّها دراسة إستعمال اللغة، وذلك في مقابل دراسة نسق اللسان

(1) المقاربة التداولية، فرانسوا أرمينكو: 41.

(2) ينظر: في التداول والتواصل الافتتاحية قراءة في العدد: ج.

الـذي يعـد الموضـوع الحقيقـي للسـانيات))[1]. وهنـا يحـدد التداوليـة بأنهـا الإسـتعمال اللغـوي، وهـو بـذلك يسـتثني كـل العلامـات غيـر اللغويـة كمـا أنـه يسـتثني الوضـع اللغـوي الـذي تدرسـه اللسـانيات، لأنـه لا يضـيف الشـيء الكثيـر إلـى البحـث الـدلالي، فالتداوليـة وفـق هـذا المفهـوم تبحـث فـي الخطـاب اللغـوي الـذي أنـتج مـن سـياق معـيّن، والخطـاب مـا هـو إلّا إستعمال فعلي للغة.

فالتداوليـة بـدأت نشـأتها فلسـفية علـى يـد مجموعـة مـن الفلاسـفة مـنهم: (هيرسـيل، وكارنـاب، وفتغنشـتاين، وآخـرهم أوسـتين وسـيرل) وجمـيعهم ينطلقـون مـن مسـألة مشـتركة بيـنهم هـي: إنّ فهـم الإنسـان لذاتـه وعالمـه يكـون عـن طريـق اللغـة أولاً؛ لأنّ اللغـة وسـيلة لإيصـال الفهـم، وهـذه المسـألة متفـق عليهـا عنـد الفلاسـفة[2]، ثـم بعـد ذلـك تطـورت وتوسـعت فأخـذت منحـى لغويًـا لسـانيًا، وهـذا مـا أدى التوسّـع فـي تعريفاتهـا حتـى بـدأت تركّـز علـى العلامـات اللغويـة دون غيرهـا من العلامات كونها أكثر العلامات يستعملها البشر في التواصل.

بعـد ظهـور التداوليـة اللغويـة وشـيوعها أدت إلـى إثـارة مجموعـة مـن الأسـئلة الجديـدة، ثـم صـبّت إهتمامهـا بكـل مـا يتعلّـق بـالمتكلمين ومقاصدهم، وبالسياق والمقام، وكذلك بالإستعمال اللغوي وظروفه.

---

(1) Le dictionnaire ancyclopedi`ues de pragmatique. J. Moeschler et A. Reboul Ed-1 de seuil: 17

القاموس الموسوعي للبراغماتية: 17.

(2) ينظر: التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي:22، والفلسفة واللغة نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة: 202.

والمنهج التداولي يتجاوز الوضع الأصلي والمباشر إلى المعنى السياقي غير المباشر ((وهذه المعاني لا يمكن الوصول إليها إلّا من خلال فهم اللغة في سياق الإستعمال السياقي الذي يحدد قصد المتكلمين والوضع اللغوي وحده لا يكفي لتحقيق هذا المعنى))[1]؛ وذلك لأنّ المعاني اللغوية ((هي معان وضعية تفهم من مفردات اللغة وتراكيبها))[2] تنضوي في إطار اهتمامات علم الدلالة؛ لأن إستنباطها لا يحتاج إلى عناصر خارج البنى اللغوية، أمّا مقاصد المتكلمين فلا يمكن التوصل إليها إلّا بمعرفة السياقات التي قيل فيها الكلام ومعرفة المخاطِب والمخاطَب عند التعامل مع الكلام.

وبالتالي نجد أنَّ الدرس اللغوي التداولي يسلّط الضوء على المنجز اللغوي الفعلي في التواصل لا بمعزل عنه؛ لأنَّ اللغة لا تصل إلى جميع وظائفها إلّا بالتواصل، فبما أنَّ الكلام حدث اجتماعي فلا بدّ من معرفة تأثير هذه الوظائف في حدث الكلام المنجز لتحقيق الإفهام والفهم بين أطرافه، وتحقيق ما يصبو إليه المتكلم، وبما ((أنَّ اللغة هي الشفرة الرمزية المهيمنة في العملية التواصلية، فإنه قد يكون من المفيد أن تدرس العلميات التواصلية من وجهة نظر تداولية))[3].

(1) النظرية البراغماتية اللسانية (التداولية) دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ: 21.

(2) مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب: 15.

(3) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: 25.

المطلب الثاني: وظيفتها:

تأسيساً على الرؤية المفهومية للتداولية من الممكن حصر وظيفتها بـ[1]:

أولًا: تحديد الأعمال اللّغويّة المهمة، وهو تحليل الأعمال المتضمنة في الأقوال.

ثانيًا: شرح كيفية جريان العمليات الاستدلالية في معالجة الملفوظات.

ثالثًا: بيان أسباب أفضلية التواصل غير المباشر/ غير الحرفي، على التواصل الحرفي المباشر.

رابعًا: شرح أسباب فشل المعالجة اللسانية البنيوية الصِّرفْ في معالجة الملفوظات[2].

والتداولية تُستمَد من رافدين أساسيين: **الرافد المعرفي** كما في مباحث علم النفس المعرفي كالاستدلالات والاعتقادات والنوايا، **والرافد التواصلي:** الذي يدرس أغراض المتكلمين واهتماماتهم ورغباتهم[3].

ونتيجة لسعة الدراسات التداولية في اللغة، فقد تفرعت عنها نظريات متعددة، اعتدَّت كل واحدة منها بمعالجة جانب تداولي معين[4].

فالتداولية حقلٌ لسانيٌّ يهتمُّ بالبعد الإنجازي للكلام أو الاستعمالي، وينظر إلى المتكلم والسياق، إلّا أنَّ ما ينبغي تأكيده

(1) ينظر: التداولية عند علماء العرب: 27، والحجاج في التداولية مدخل الى الخطاب الاقناعي: 204.

(2) ينظر: التداوليات علم استعمال اللغة: 40.

(3) ينظر: التداولية عند العلماء العرب: 27-28.

(4) ينظر: استراتيجيات الخطاب: 24.

هو أنَّ هذا الاهتمام في حدِّ ذاته ليس منسجمًا وموحّدًا؛ لأنَّه يتوزَّعُ في مجالات تداولية مختلفة، لذا قسّمت كاترين أورشيوني التداولية بحسب مجاورتها على:

أولًا: **التداولية التلفظيّة** (لسانيات التلفظ): وتهتم بوصف العلاقات الموجودة بين بعض المُعطيات الداخلية للملفوظ، وبعض خصائص الجهاز التلفُّظي (مرسل – متلقي – وضعية التلفظ) التي يندرج ضمنها الملفوظ، وهي التي تبنَّاها شارل موريس.

ثانيًا: **التداولية التخاطبية** (نظرية أفعال اللغة): وهي تعنى بدراسة القيم التخاطبية المنكتبة داخل الملفوظ، والتي تسمح له بالاشتغال كفعلٍ لُغويّ خاصّ، وهي التي تبنَّاها أوستين وسيرل[1].

ثالثًا: **التداولية التحاورية**: وهي التي ((نتج تطورها الحديث جدًّا عن استيراد الحقلِ اللِّساني للأفكار المُؤسِّسة للتَّواصل، التي تهتمُّ بدراسة اشتغال هذا النَّمط الخاصّ من التَّفاعلات التَّواصلية، الذي هو الحوارات، وهذه الحوارات تبادلاتٌ كلاميَّةٌ تقتضي خصوصيتها أن تُنجز بمساعدة دوالٍّ لفظيَّةٍ، ولفظيةٍ مُوازيةٍ))[2].

(1) ينظر: المقاربة التداولية، لفرانسواز أرمينكو: 84.

(2) Kerbrat-Orecchioni, Catherine, Pour une approche pragmatique du dialogue théâtral, in Pratiques, N° 41, mars 1984, p:46 .

كيربرات-أوريشيوني، كاترين "من أجل مقاربة براغماتية للحوار المسرحي: 46.

الفصل الثاني

أفعال الكلام في النص المحكي

- **المبحث الأول: الفعل الكلامي مفهومه وتطبيقاته**

المطلب الأول: مفهومه

المطلب الثاني: تطبيقاته

- **المبحث الثاني: النص المحكي بفعل القول**

المطلب الأول: الإخباريات في النص المحكي

المطلب الثاني: التوجيهيات في النص المحكي

المطلب الثالث: التعبيريات في النص المحكي

المطلب الرابع: الوعديات في النص المحكي

المطلب الخامس: الإعلانيات في النص المحكي

- **المبحث الثالث: النص المحكي بغير فعل القول**

المطلب الأول: الإخباريات في النص المحكي

المطلب الثاني: التوجيهيات في النص المحكي

المطلب الثالث: التعبيريات في النص المحكي

المطلب الرابع: الوعديات في النص المحكي

المطلب الخامس: الإعلانيات في النص المحكي

الفصل الثاني

أفعال الكلام في النص المحكي

توطئة:

اللغة ظاهرة إجتماعية يعبّر بها الفرد عن أفكاره، وما يدور في خلجاته للتواصل مع أفراد مجتمعه، وهذا ما دعا كثيرًا من الباحثين والدارسين من مختلف العلوم والتخصصات الإجتماعية والفلسفية واللغوية أن يهتموا بها، فعلماء اللغة عند دراستهم لقواعدها وخصائصها انقسموا على فريقين، الأول كان الاتجاه البنيوي الذي درس اللغة على أنها بنية مغلقة بعيداً عن سياقها الخارجي، وقد ركّز على علاقة العناصر اللغوية بين بعضها، والآخر كان الاتجاه اللساني التداولي الذي ذهب إلى دراسة اللغة في حيز الاستعمال، ومركّزة اهتمامها على السياقات اللغوية وغير اللغوية؛ لإنّ غايتها إنجاح العلمية التواصلية والتخاطبيّة.

لا بدَّ من الإشارة إلى أنَّ موضوع الأفعال الكلامية قد بَحثهُ علمائنا في التراث العربي، وأن البحث فيه لم يكن مقصوداً لذاته، ولكن قُصد به غيره[1]، فأخذوا الموضوع وسيلة لا غاية، وجُعل مدخلاً لفهم علوم أخرى، وهي علوم غير لغوية في الغالب – فلسفية، وكلامية، وفقهيّة–، فتوزعت الظاهرة بين فروع معرفية

(1) ينظر: نظرية الأفعال الكلامية ين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب: د.

متعـــددة، وخـــاض فيهـــا علمـــاء أجـــلّاء إلّا أنهـــم لـــم يُفردوهـــا بالبحـــث والتأليف ولا قصدوها لذاتها[1].

وعليـــه نجـــد أنَّ العـــرب قـــد وضـــعوا حجـــر الأســـاس للأســـاليب الإنشـــائية فـــي الدراســـات النحويـــة البلاغيـــة والأصـــولية، وجـــاء تحلـــيلهم لهـــذه الأســـاليب دقيقًـــا إلـــى درجـــة أنّ نظريـــة أوســـتين وتلميـــذه ســـيرل لا يمكن أن نعدها إلّا تابعًا لما بحثه العرب في هذا المجال.

(1) ينظر: الأفعال الكلامية عند الأصوليين دراسة في ضوء اللسانيات التداولية: 183.

المبحث الأول

الفعل الكلامي مفهومه وتطبيقاته

المطلب الأول: مفهومه

تُعدُّ نظرية الفعل الكلامي من النظريات التي اعتنى بها الباحثون كثيرًا، إذ تعود البدايات الأولى لها إلى فلاسفة اللغة، ومن أبرز رواد هذا التيار الفيلسوف الألماني (غوتلوف) في كتابه (أسس علم الحساب) ثم تبعه (فغنشتاين) في كتابه (بحوث فلسفية)[1]، وقد مرت بمرحلتين الأولى (مرحلة التأسيس) ويعد الفيلسوف الإنجليزي (أوستن) المنظّر الأول لها، فهو أول من أرسى دعائم هذه النظرية وإفهامها عبر كتابه "كيف تنجز الأشياء بالكلمات" (How To Do Things with Words)، والذي يرى ((أن وظيفة اللغة الأساسية ليست إيصال المعلومات والتعبير عن الأفكار، إنما هي مؤسسة تتكفل بتحويل الأقوال التي تصدر ضمن معطيات سياقية إلى أفعال ذات صبغة اجتماعية))[2]، والسبب الرئيس من تأسيسه هذه النظرية هو انتقاده الرأي القائل: إنَّ وظيفة اللغة وصف الواقع من دون الخروج عن دائرة الخطأ و الصواب، لذا فإنَّ ((آراءَه التي حاضر فيها ترمي إلى تفكيك أواصر تلك النظرية، وتفنيد مزاعمها التي تحصر مهمة اللغة الوحيدة في إنتاج تراكيب خبرية صادقة أو كاذبة))[3]، وعليه فإنَّ

(1) ينظر: التداولية اصولها وإتجاهاتها: 86.

(2) تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية: 155.

(3) المعجم الوظيفي لمقياس الأدوات النحوية الصرفية: 193.

الأساس الذي إنطلق منه أوستن هو أن اللغة تسعى إلى وصف الواقع، فجميع الجمل غير الاستفهامية والأمرية والتعجبيّة، يمكن الحكم عليها بأنَّها كاذبة أو صادقة[1]، وهذا المفهوم لا يصدق على اللغة العربية إذ يتسع الأمر إلى ضروب أخرى من الإنشاء كالتمني، والترجي، والنداء، وغيرها[2]، وأول معالجات أوستن تمثلت بأستبدال الثنائية التراثية التي عمل بها القدماء وهي ثنائية (الخبر والإنشاء) بـ ثنائية (الوصف والإنجاز)، منطلقاً من أنَّ اللغة أداة لوصف الواقع[3]، وتجدر الإشارة إلى أنَّ أوستن فرّق بين المنطوقات التقريرية سواء أكانت صادقة أم كاذبة، والمنطوقات الإنجازية التي تؤدى بأعمال اثناء النطق بها، ولا توصف بالصدق والكذب[4]، وتوصّل إلى معيار آخر يحكم المقولات الإنجازية، إذ إنَّ معيار الإخفاق والإنجاز هو ما يحكمها، وليس الصدق والكذب الذي يحكم الجمل الخبرية، فهي ناجحة موفقة إذا توفرت فيها شروط الإنجاز، وفاشلة إذا فقدت الشروط التي سمّاها شروط الموفقيّة[5].

ومّما تقدم فإنَّ الفعل الكلامي هو ((كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي، تأثيري وفضلا عن ذلك يُعد نشاطا ماديا نحويا، يتوسل أفعالا قولية، لتحقيق أغراض إنجازية، ...

(1) ينظر: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، آن روبول وجاك موشلار: 30.
(2) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: 43.
(3) ينظر: التداولية من اوستن الى غوفمان، فليب بلاشيه: 54.
(4) ينظر: الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي: 29.
(5) ينظر: نظرية الفعل الكلامي: 43.

وغايات تأثيرية تخص ردود فعل المتلقي كالرفض والقبول))[1]، فهو إنجاز ذو طابع اجتماعي يتحقق في الواقع بمجرد التلفظ به؛ لتحقيق التواصل من أجل صناعة مواقف اجتماعية أو فردية بالكلمات، ومن ثم التأثير في المتلقي عن طريق حمله على فعل أو تركه، أو تقرير حكم من الأحكام، أو عرض سؤال، أو إبرام عقدٍ.

ويمكن أنْ نعدَّ الفعل الكلامي هو التصرّف الإرادي الذي ينجزه الإنسان بالكلام، أو هو الإنجاز الذي يؤديه المتكلم بمجرد تلفظه بملفوظات معيّنة، ومن أمثلته: الأمر، والنهي، والوعد، والسؤال، والتعيين، والإقالة، والتعزية، والتهنئة.

وقسّم أوستن الأفعال الإخبارية والأدائية على ثلاثة أقسام:[2]

1- الفعل القولي (الكلامي): ويقصد به الأصوات التي يصدرها المتكلم والتي تحمل معنى وتكون في جمل مفيدة، وذات بناء نحوي سليم.
2- الفعل الإنجازي (الوظيفي): وهو عمل يُنجز بقول ما، يكون فعل أمر أو استفهام، أو طلب، أو تعجب، أو نداء، وهذا التصنيف جاء به أوستن بناءً على ملاحظته، في القوة الغرضية لفعل الكلام التي ترافق المعنى الصريح والحرفي الذي يتيحه هذا الفعل[3].

(1) التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي: 40.
(2) ينظر: التداوليات: علم استعمال اللغة: 53.
(3) ينظر: تجليات مفاهيم التداولية في التراث العربي تفسير الرازي لسورة المؤمنون: 39.

3- الفعل التأثيري: وهو ما ينتج عن القول من آثار لدى المخاطب، وهو فعل إقناع شخص بشيء فيظهر ذلك عبرَ ردة فعله.

وقد ارتأى أوستين أنْ يصنّف الأعمال التي ننجزها بوساطة اللغة على خمسة أصناف:

1- الحكميات: وتتمثل في حكم يصدره قاضٍ أو حَكم.

2- التنفيذيات: وتتمثل في اتخاذ القرارات، كالتعيين، والطرد، والعزل.

3- السلوكيات: وتشمل الاعتذار والتعاقد والقسم، أو كل ما يكون ردة فعل لحدث ما.

4- الوعديات: وتشمل (الوعود والعهود) وكل ما يقطعه المتكلم على نفسه.

5-العرضيات: وتشمل ما يستعمل في الإيضاح، أو لبيان جهات الرأي.

المطلب الثاني: تطبيقاته:

بدأت المرحلة الثانية (مرحلة النضج والضبط) إذ سعى سيرل إلى إكمال ما بدأه استاذه من نظرية فأضفى عليها ضبطاً ونضجاً ومنهجاً، ومن ثمَّ صاغ النظرية بإحكام متداركاً ما فات إستاذه من هنات واغلاط، وأبرز ما تداركه هو[1]:

(1) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: 47-51.

1- إعادة صياغة الأعمال الكلامية إلى قسمين: الفعل النطقي، والفعل القضوي.

2- وصف نظرية الاعمال اللغوية جزءًا لا يتجزأ من نظرية عامة للعمل.

3- قوله: على أنَّ القوة الإنجازية دليلاً يدعى (دليل القوة الإنجازية)، والغرض منه إظهار نوع العمل الإنجازي الذي يؤديه المتكلم بعد نطق الجملة.

4- طوّر شروط الملاءمة؛ إذ جعلها أربعة شروط: (الشرط التمهيدي، وشرط المحتوى القضوي، وشرط الإخلاص، والشرط الأساسي) وبهذه الشروط نستطيع تمييز الأعمال الكلامية.

5- صرّح بأنَّ العمل الكلامي لا يحدده قصدُ المتكلم وحده، بل لابدَّ من تظافر العُرف اللغوي والإجتماعي معه.

6- فرّق بين الأعمال الإنجازية المباشرة التي تطابق قوتها مقصد المتكلم، وغير المباشرة التي تخالف قوتها مقصد المتكلم.

7- قسَّم الأعمال الكلامية على خمس أُسَرٍ هي:

- **الطلبيات:** وهي حمل المخاطَب على أداء فعل أو عمل معيّن يُطلب فيها مطابقة العالم للقول.
- **الوعديات:** وهي أنْ يلتزم المتكلم بإنجاز عمل ما في الزمن المستقبل.

- **التقريريـــــات:** وهـــي وصـــف واقعـــة معينـــة عبـــر قضـــية تحتمـــل الصدق والكذب.
- **التصـــــــريحيات:** الغـــرض منهـــا إحـــداث تغييـــر فـــي العـــالم الخـــارجي، وتكـــون المطابقـــة فيـــه مزدوجـــة مـــن العـــالم إلـــى القـــول، أو العكس.
- **الإفصـــــاحيات:** الغـــرض منهـــا التعبيـــر عـــن إنفعـــالات نفســـية تجـــاه الوقـــائع الخاصـــة التـــي تمثـــل مضـــمون القـــول، ولا تطـــابق فـــي هذه الأعمال[1].

ومّمـــا يجعـــل الـــنص القرآنـــي مختلفًـــا عـــن غيـــره مـــن النصـــوص هـــو مـــا نجـــده فـــي لغتـــه التأثيريـــة ومقاصـــده الضـــمنية، فإنَّـــه يصـــعب علينـــا معرفـــة معانيـــه وســـبر أغـــواره التـــي لا تفهـــم إلّا عبـــر الســـياق، وانطلاقًـــا مـــن هـــذا ســـنقوم بدراســـة تطبيقيـــة للأفعـــال الكلاميّـــة للـــنّص المحكـــي فـــي القـــرآن الكـــريم وفـــق تقســـيمات ســـيرل لأفعـــال الكـــلام، ونوضّـــح مظهـــر القوة الإنجازية فيها.

(1) ينظر: نظرية الأفعال الكلامية في البلاغة العربية: 7.

المبحث الثاني

النّص المحكي بفعل القول

القول بكل اللغات معناه النطق بالكلام والتلفّظ به، فالمقول هو الملفوظ والمنطوق به، أمّا في كتاب الله فمعناه أعمُّ من ذلك، وأصل العموم قديم في اللغة العربية ولا تخفى دلالاته عن العرب الأقحاح، ولكن غير العربي يصعب عليه الوصول إلى مغزاه.

وتختلف دلالة فعل القول مع متعلقه، فمعنى قال عليه: افترى، وقال عنه: أخبر أو روى، وقال له: خاطبه[1]، وتكون اللام بوصفها حلقة الوصل أو الربط بين المُخاطِب والمُخاطَب، أي: بين المتكلم والسامع له، وتسمّى هذه اللام (لام التبليغ) بفعل القول، نحو: قلت لهُ[2].

سنبحث في هذا الفصل أفعال الكلام في النص المحكي، ونبتدئ المبحث الأول بأهم مواضيع الأفعال الكلامية وهو فعل القول بشقيه المباشر وغير المباشر، والعمل عليها بحسب تقسيم سيرل للأفعال الإنجازية الخمسة.

(1) ينظر: معجم الأفعال المتعدية بحرف واحد: 135.

(2) ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني، للمرادي: 99.

المطلب الأول: الإخباريات في النص المحكي:

هي مجموع الأفعال التي يُخبِر بها المُتكلّمُ المخاطَب بواقعة ما عبر قضيّة محدّدة يعبّر بها عن هذه الواقعة[1]، ويكون اتجاه المطابقة في هذا الصنف من القول إلى العالم الخارجي، وشرط الإخلاص فيه يتمثل في النقل الأمين للواقعة، والتعبير الصادق عنها، والحالة النفسيّة التي تعبّر عنها هي الاعتقاد، أي تمثيل الحالة كما يعتقدها المتكلّم[2].

وتعدُّ الإخباريات من أهم الإضافات التي قدّمها سيرل في المفهوم الإنجازي، إذ إنَّ أوستن استبعد كثيراً من صور الإخباريات بوصفها مجرد إخبار أو تقرير أو وصف، وأوضح سيرل أنّ هذه الأفعال الإنجازية تتحقّق أثناء نطق الكلام وأدائه فضلًا عن الإخبار والوصف، اللذين يعدّان غرضين إنجازيين شأنهما شأن الأغراض الأخرى[3]، إذ تُساق الإخباريات لإفادة السامع أمرًا يجهله، وهو ما يسمى في علم البلاغة بـ(فائدة الخبر)، وهو لتثبيت ما يعرفه المتلقي وتذكيره به، أو ما يصطلح عليه ب(لازم الفائدة)[4].

سنورد مجموعة من النصوص المحكيّة في القرآن الكريم التي تضمنت آيات لوصف المنافقين وفيها فعل القول، وتم اختيارها بحسب شدة القوة الإنجازية لفعل الإخبار بحسب توافر العناصر

(1) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: 81.

(2) ينظر: التحليل اللغوي عند مدرسة اكسفورد: 232، والحوار القرآني تداوليته وحجاجيته: 51-52.

(3) ينظر: الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، دراسة تداولية، ومعجم سياقي: 81.

(4) ينظر: مفتاح العلوم، للسكاكي: 166.

اللغوية والتداولية التي اسهمت في تعديل القوة الإنجازية، ومن هذه العناصر التوكيد ومراعاة حال المتكلم، و ((يتحقق نجاح إنجاز الفعل في حال تطابق المحتوى القضوي للفعل الإنجازي مع واقعة مستقلة حدثت، أو تحدث في العالم الإنساني))[1].

ومن هذه الآيات التي تحوي أفعالاً إخبارية يُحكى بها قصة الذين كفروا، والتي ضمّت فعلاً كلاميّاً كليًا وهو النعي على أهل الضلال والمنافقين، ويندرج تحت الفعل الكلامي الكلي مجموعة أفعال كلامية صغرى جاءت عنوانًا لكل نصّ محكيّ في الآية، مثل: (الوعيد، والتهكم، والذم، والتكذيب، والإنكار، والاستهزاء، والاستبعاد، والتجهيل، والتحقير) كل هذه أفعال كلامية غير مباشرة، دلت عليها الصيغ التقريرية والخبرية الواصفة لها.

وقال تعالى: ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ * وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ**﴾[1].

(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ) ففي هذه الآية سياق تقريري، أبتدأ بحرف عطف ثم تلته (إذا) ظرف لما يستقبل من الزمان يتضمّن معنى الشرط مبني على

(1) الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة: 57.

السكون متعلّق بالجواب (قالوا)، وكذلك حوى فعلًا كلاميًا (تفسدوا) فيه بيان حال المنافقين في انهماكهم في باطلهم، ومشاهدتهم الفعل القبيح حسنًا، والفساد صلاحًا، وكما يتضمن الفعل النهي بمعنى: ((لا تصدوا عن دين الله))[2]، والفعل الكلامي أفاد التقريع وقد أحدث تأثيرًا في المتلقي.

(أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ) تضمنت الآية المباركة فعلًا إنجازيًا وهو الذم للمفسدين عن علم، وهناك فعل آخر متضمن في القول بطريق غير مباشر جاء تسليةً للرسول الأكرم(صلى الله عليه وآله) ((إذ من كان من أهل الجهل، ولا ينبغي للعالم أن يكترث بمخالفته))[3]، وهذا النص المحكي جاء قاصدًا لتثبيت قلب النبي صلوات الله وسلامه عليه.

(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ) تضمنت الآية المباركة فعلًا كلاميًا متضمنًا في القول ينكشف بمعانٍ عدّة: الأول هو (الإنكار) بحيث اراد الكافرون أن ذلك لا يكون أصلًا، ولتعديل القوة الإنجازية المتضمنة في استعمال السياق الهمزة (أنؤمن)، والثاني هو استهزاء الكفار بمن ينصحهم من المخاطبين، والثالث

(1) سورة البقرة: 11-14.

(2) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج: 1/ 84.

(3) روح المعاني: 1/ 228.

هو التجهيل برد الله عليهم، وذلك الرد الشنيع، وشناعته في قوته الإنجازية التي عبّر عنها بالأدوات (ألا، إنَّ، هم، ال)[1].

(وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ)، تضمنت هذه الآية فعلًا قوليًا هو (الإدعاء) وإظهار الاستهزاء بالمؤمنين، وهذا من سلوك المنافقين، يتحدثون بالتقوى والإيمان عند لقائهم بالمؤمنين، وهناك معنى ضمني آخر هو (الاستخفاف) ومقصدهم هو الثبات على اليهودية، وتعظيم الكفر؛ ((لأنّ من حقّر الإسلام، فقد عظّم الكفر))[2]، فالغرض كان لإظهار المساواة مع اليهود.

ففي هذه النصوص المحكية بفعل القول معنى صريح هو اخبار عن حال المنافقين وموقفهم الضعيف الذي يدافعون فيه عن أنفسهم، إذ هم يغالطون أنفسهم ويوهمونها بأنهم على صواب، والمعنى الآخر الضمني الذي نتلمّس فيه التهويل والتقرير والإيضاح والتوبيخ لموقفهم المعاند، وفي الآيات المذكورة ينتقل المعنى الصريح إلى المعنى الضمني، و ((لقد اهتدى سيرل إلى أنواع أخرى من الأفعال الكلامية، ميزتها أن دلالتها الفعلية لا تظهر صريحة في اعتبار المتكلم، إنما تأويل هذه الدلالة وفهمها يحتاج إلى العودة إلى عوامل السياق المحيطة بالمتخاطبين))[3].

(1) ينظر: الأفعال الكلامية في القرآن الكريم سورة البقرة دراسة تداولية: 78.
(2) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: 1/ 66.
(3) مقالات في التداولية والخطاب: 130.

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ(30) وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ(31) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ(32) قَالَ يَاآدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ(33) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ(34) وَقُلْنَا يَاآدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ(35)﴾[1].

جاءت النصوص المحكية في سياق الإخبار، والفعل الكلامي في الآيات يدور حول معنى التعجب والتعجيز، فالملائكة رفضت من أن يستخلف لعمارة الأرض وإصلاحها من يفسد فيها ((ويستخلف مكان أهل الطاعة أهل المعصية))[2]، ويتضمن الفعل الكلي مجموعة أفعال كلامية صغرى هي: ((الإخبار، والتقرير، والتعجيز، والتنويه، والتأكيد، والاعتراف، (والعطف (وإذ) من عطف القصة على القصة وفي كل تعداد النعمة- مع أن الأول تحقيق للفضل وهذا اعتراف به))[3]، ونلحظ هناك مؤشرات عدّة في السياق جاءت لتقوية إنجازية فعل التعجب تتعلّق بالمتكلم منها تكرير

(1) سورة البقرة: 30- 35.

(2) الكشاف: 1/ 125.

(3) روح المعاني: 1/ 230.

الظرف فيها للدلالة على الإفراط في الفساد، وقد استعمل النص مفردة (السفك) وتحمل دلالة الإراقة، واستعمل العطف بالواو للإشارة إلى عظم الأمر ومصيبته؛ إذ عطف الخاص على العام، وقد استعمل النص صيغة المضارع (يفسد، يسفك، نسبح، ونقدس) للدلالة على الاستمرار وقد أفادت هذه الأفعال المستقبلية غرض اخباري بدلالة اسم الفاعل (جاعل)، وخُتم النص المحكي بتقرير يؤكّد فيه التفرد بالعلم[1].

(وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)، تضمنت النصوص المحكية للآيات المباركة مجموعة من الأفعال الكلامية، ففي سياق الإخبار الذي يراد به التعجيز وظّفت هذه الآيات لتحقيق أغراض مختلفة كالتنويه والتعجيز **(أَنْبِئُونِي)** لإظهار عجز الملائكة وقصورهم عن رتبة الخلافة، أمّا التوكيد فهو الغرض من إنْ الشرطية توكيدا لما نبّه عليهم من العجز والقصور، وأمّا الإعتراف فهو في جواب الملائكة **(قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا)** اعترافهم بالعجز عن أمر الخلافة والقصور عن فهم الأسماء[2].

وورد فعل التوكيد في النص المحكي بقوله تعالى **(إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)** وهو تذييل يؤكد مضمون الجملة السابقة، ولما نفوا العلم عن أنفسهم أثبتوه لله تعالى على أكمل وجه، والضمير (أنت)

(1) ينظر: الأفعال الكلامية في القرآن الكريم سورة البقرة دراسة تداولية: 84-85.
(2) ينظر: المصدر نفسه: 85.

عنصر داعم للقوة الإنجازية أفاد تأكيد الحكم ((وإنما استنبأهم وقد علم عجزهم عن الإنباء على سبيل التبكيت إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ يعني في زعمكم أني أستخلف في الأرض مفسدين سفاكين للدماء إرادة للرد عليهم))[1].

(قَالَ يَاآدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ) افتتحت الآية المباركة بفعل قولٍ ثمَّ جاء بالنداء الذي تلاه بفعل أمر مباشر (أنبئهم) وتصدير الكلام بالنداء لتنبيه المأمور لما يلقى إليه من الأمر، لذا اجتمع في هذا النص فعل قول مباشر تلاه نداء، وتنبيه، وأمر، و(ألم أقل) في النص أفاد التقرير وكل ذلك أفضى إلى القصد و التأثير في المتلقي.

امّا الفعل الثاني (قال ألم أقل لكم) واقع في سياق جملة جواب الشرط بـ(لما) الظرفية، والفعل الثالث (أقل) المجزوم اصله مضارع انقلب إلى الماضي بسبب (لم) وكان جزءا من جملة جواب الشرط (لما) التي تدخل في الغالب على الفعل الماضي فاشتق الفعل المضارع المجزوم (أقل) مع سياق الماضي المتعلق بـ(لما).

ثمَّ تتصدر الآية التالية بالطلب المتمثل بأمر الملائكة السجود لآدم عليه السلام في قوله تعالى **(وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ)** ويفضي ذلك إلى حكمة الله عزوجل من أمرهم بالسجود وإظهار الاعتراف بفضله عليه السلام،

(1) الكشاف: 1/ 126.

والاعتذار عمّا قالوا فيه، ولتقوية إنجازية الفعل الكلامي استعمل السياق الفاء في (فسجدوا) لإفادة مسارعتهم بالامتثال، ولا يخفى ما في الأمر من الدلالة على عظمة الشأن وكذلك للتأثير في المخاطَب من الملائكة[1].

وورد الفعل الكلامي المباشر في قوله تعالى ﴿**وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ**﴾[2]. يخبر الله عزوجل عن اليهود المعاصرين للنبي الأكرم(صلى الله عليه وآله) الذين قالوا (قلوبنا غلف) وأرادوا بأنَّ قلوبهم مغلفة بأغشية مانعة عن نفوذ دعوة النبي الأكرم، وقولهم معطوف على (استكبرتم) فتكون تفسيرا للاستكبار، لذا استعمل السياق الفعل الكلامي المباشر، وهو الاخبار الذي يراد به تحقيق فعل انجازي متضمن في القول هو الإقناط أي إقناط النبي الاكرم(صلى الله عليه وآله) عن الإجابة، أو يراد به معنى الاستغناء بأنهم ليسوا بحاجة إلى أن يعلمهم الرسول فقلوبهم مملوءة علماً[3].

وهذه القوة الإنجازية غير المباشرة يتوصل إليها عبر عمليات ذهنية استدلالية ينتج عنها تلويح حواري يكشف عن مقاصد المتكلم ((فالافعال الانجازية المباشرة تطابق قوتها الانجازية مراد المتكلم، أما الافعال غير المباشرة فهي التي تخالف فيها قوتها الانجازية مراد

(1) ينظر: روح المعاني: 1/ 230.

(2) سورة البقرة: 88.

(3) ينظر: الأفعال الكلامية في القرآن الكريم سورة البقرة: 97.

المتكلم))[1]، فإنَّ الفعل غير المباشر (الإقناط، والاستغناء) يتضمن الفعل المباشر (الإخبار) وليس العكس، وهذا كلام كانوا يقولونه للنبي(صلى الله عليه وآله) حين يدعوهم لدخول الإسلام، مما ينتج عنه فعل كلامي أو أكثر، وفي هذا الموضع نجد فعلا كلاميًا آخر متضمنًا في القول وهو التهكم.

ففي النص المحكي للسياق القرآني استمرار في كشف قبائح أعمال اليهود وكشف نفاقهم وحيلهم مستعملاً أنواعًا من الأفعال اللغوية الضمنية مثل (العتاب، والتوبيخ) الذي دلَّ عليه الإخبار في قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ*أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ**﴾[2]، وقوله عزوجل (لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ) متعلق بحديثهم –اليهود– والمراد تأكيد إنكارهم وتشديد التوبيخ عليهم، وجملة (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) مؤكدة لإنكار الحديث، ويستمر الإخبار عن اليهود بما يحقق الأفعال بشكل ضمني.

وفي قوله تعالى: (**أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ**) تجهيل لهم من الله فيما حكى عنهم، والإستفهام فيه يراد به الإنكار مع التقرير، ومقصد الآي بيان شناعة فعلهم بأنهم يفعلون ذلك مع علمهم، وقد يكون التوضيح لغرض الإقناع[3]، ومن

(1) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: 81.

(2) سورة البقرة: 76–77.

(3) تداولية الخطاب السردي دراسة تحليلية في وحي القلم للرافعي: 141.

متطلبات الإيضاح استعمال الإستفهام نظرًا للحاجة إلى الشرح والتوسيع ((والاستفهام أكثر أساليب الطلب انتقالاً إلى دلالات تحويلية مغايرة لدلالته التي وضع لها، وهذه الدلالات تتداخل في أحيان كثيرة على نحو يجعله أكثر أبواب الطلب تفلتًا واستعصاءً على محاولات التقعيد لكيفية تولد دلالاته الاستعمالية))[1]، ويتحول الاستفهام إلى أنماط اخرى كدلالات الاستئذان، والامر، والاستبعاد، والاستغراب ، والتحسر، والاعتذار، وهذا ما يُعرف بخروج الاستفهام عن معناه الأصلي.

ففي النصوص المحكية السابقة اقتضى المقام التفصيل في أخبار اليهود، ويراد من هذا التفصيل والتطويل زيادة التقريع، و ((لأنَّ السياق في هذه الأقاصيص قصد بها الإسهاب، لزيادة التقريع، حتى جعلت القصة الواحدة قصتين. ولا شك أن قوله تعالى (أو أشدُ قسوة) أدخل في الإسهاب من قول القائل أقسى))[2].

﴿**فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ (79) وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ(80)**﴾[3]، نلحظ في هذه النصوص المحكية مبالغة في الوعد والوعيد والزجر والتهويل، ومما يدخل في التوضيح بيان أصناف

(1) تحويلات الطلب ومحددات الدلالة مدخل الى تحليل الخطاب النبوي الشريف: 111.

(2) الانتصاف على هامش الكشاف، لابن منير: 155/1.

(3) سورة البقرة: 79-80.

اليهود في قوله تعالى (ومنهم أميّون) ثم يستمر السياق ليبيّن أمنياتهم (وقالوا لن تمسنا النار الا أياماً)، ثم يفاجئهم الله بجوابه لهم بقصد التوبيخ والتبكيت (قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا) لأنهم لم يقدّموا اعمالا توجب ما يدعون، وهنا نلحظ أثر الأفعال الكلامية التي جسدت التحاورات الشخصية التي كانت وسيلة لعرض الصورة التفصيلية عن اليهود[1]، وقد تمثلت التحاورات بالقول: (قل اتخذتم) (أم تقولون) ووراء هذا الاستفهام أفعال إنجازية غير مباشرة هي التوبيخ على القول والمبالغة فيه، وكذلك فعل التهكم حين أبطل قولهم وعلّق الكسب بالسيئة (بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً)، وجرت عادته جل ثناؤه بأن يشفع وعده بوعيده، مراعاةً لما تقتضيه الحكمة في ارشاد العباد من الترغيب والترهيب[2].

ونلحظ في قوله تعالى: ﴿**وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾[3]. الكلام معطوف على ما قبله والضمير في (قالوا) لأهل الكتاب من اليهود والنصارى.

فاليهود قالوا: لن يدخل الجنة إلّا من كان هودا، والنصارى قالت: لن يدخل الجنة إلّا من كان نصارى؛ فجمع القرآن بين قوليهما على طريقة الإيجاز بجمع ما اشتركا فيه، وهو نفي دخول الجنة عن المستثنى منه المحذوف ((فلف بين القولين ثقة بأن

(1) ينظر: الأفعال الكلامية في القرآن الكريم سورة البقرة دراسة تداولية: 93.
(2) ينظر: روح المعاني: 1/ 426.
(3) سورة البقرة: 111.

السامع يرد إلى كل فريق قوله))[1] وأمنا من الإلباس لما علم من التعادي بين الفريقين وتضليل كل واحد منهما لصاحبه[2].

فجاء في النص المحكي في الآيتين المباركتين أكثر من فعل كلامي جاءت متتابعة حسب تنوّع المقامات وكان الإخبار في هذا عن أهل الكتاب، فمقام الإخبار في البداية مقتضيًا لإيراد الخبر لنقل معلومة[3]، وإنجاز فعل كلامي مباشر هو الإخبار عن جانب من أحوال اليهود والنصارى، وحكاية شيء من مزاعمهم، وإدعاءاتهم، وأمنياتهم، ويتضمن الخبر فعلاً كلاميًا متضمنًا معنى القول وهو الإدعاء، وهذا الفعل من مزاعم اليهود والنصارى، فكلاهما يدعي دخول الجنة دون الآخر، وادعاؤهم يفتقر إلى الدليل والبيّنة، واقتضى الإدعاء اعتراضاً للإعراب على كون ذلك الادعاء مردود إنما هو مجرد أمنية؛ فجاء الإعتراض على قول اليهود والنصارى بجملة اعتراضية في قوله تعالى (تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ) والجملة الإعتراضية لا تكون إلّا بين كلامين لقائل واحد، والجملة الاعتراضية ذات وظيفة تداولية وذات مقاصد تختلف بحسب قصد المتكلم وسياق الكلام[4].

فالفعل الكلامي الكامل الذي سمّاه (فان دايك) هو الفعل الذي يهيمن على النص وإن تعددت الأفعال الكلامية فيه، فلعل الفعل

(1) الكشاف: 1/ 177.
(2) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: 2/ 165،
(3) ينظر: معاني القرآن الكريم، للزجاج: 1/ 171.
(4) ينظر: التبيان في اقسام القرآن: 222.

الكلامي في هذا المقام هو التكذيب، والإستبعاد، فالنص يدور حول هذا المعنى الذي تشترك أفعاله كلها في الشروط التأسيسيّة نفسها، مستعينًا باستراتيجيات مختلفة لأداء الغرض، هذا إلى جانب ايراد الأفعال بطريقة ضمنية توجيهيّة، في ذلك أن الله تعالى أخبر فاعترض، وأمر، فتحدى، وكذب، واستبعد، ووعد[1].

المطلب الثاني: التوجيهيات في النص المحكي:

ونقصد بها الأفعال التي يتوجه بها المتكلّم إلى المتلقي كي يقوم بأداء عمل من الأعمال، والمسؤول في إحداث المطابقة من العالم الخارجي إلى القول، وشرط نجاح التوجيه هو قدرة المتلقي على أداء الفعل المطلوب، والفعل القضوي فيها دائمًا فعل السامع شيئًا في المستقبل، وإنَّ كثيرًا من أفعال القرارات أو الممارسة أو أفعال السلوك عند أوستين تندرج ضمن هذا الصنف عند سيرل[2]، ويندرج ضمن التوجيه أيضًا الأمر والنهي والاستفهام والرجاء والنصح والاستعطاف والإذن وغيرها[3].

وتنقسم التوجيهيات على:

أولًا: التوجيهيات الطلبية: ينضوي تحت هذا الصنف جميع الأفعال الإنجازية التي تصدر من المتكلم لتوجيه المتلقي أو التأثير

(1) ينظر: الأفعال الكلامية في القرآن الكريم سورة البقرة دراسة تداولية: 115.

(2) ينظر: التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد: 233- 234.

(3) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي: 82.

فيه؛ ليفعل شيئاً ما مع عدم احتواء هذا التوجيه على جانب شعوروي في الغالب، ولابدَّ أن يكون هذا الطلب قابلًا للتنفيذ.

ثانيًا: التوجيهيات النفسيّة: هي الأفعال التي تصدر على نحوِ انفعال معيّن يعبّر عنه المتكلّم متوجّهًا به إلى المتلقي بالدرجة الأولى، لكي يحثّه أو يدفعه ويحرّك مشاعره؛ ليؤدي فعلًا إنجازيًا، او يمتنع عن أداء فعل معدّ آخر، ويدخل ضمن هذا الصنف العتاب والطمأنة وغيرها[1].

ومن الأفعال التوجيهية التي وردت في النصوص المحكيّة في القرآن الكريم هو اسلوب الاستفهام، إذ هو اسلوب يطلب به العلم بشيء مجهول، بوصفه توجه المرسل إليه إلى ضرورة الإجابة عنها، فيستعملها المرسل للسيطرة على مجريات الاحداث، والسيطرة على ذهن المرسل إليه وتسيير الخطاب تجاه ما يريده المرسل[2].

ورد الفعل التوجيهي في النص المحكي بقوله تعالى: ﴿**قَالَتْ يَاوَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ**﴾[3]، القول في هذا النص لزوجة نبي الله إبراهيم السيدة سارة، فعندما بُشّرت بإسحاق، قالت أنى يكون لي ولد، فضحكت يقال: ضربت على جبينها (أألد) أنى يكون لي ولد وأنا عجوز وبعلي شيخ كبير[4]، الفعل التوجيهي هنا المسبوق بالاستفهام في

(1) ينظر: الحوار القرآني تداوليته وحجاجيته: 63-64.

(2) ينظر: استراتيجيات الخطاب –مقاربة لغوية تداولية: 324.

(3) سورة هود: 72.

(4) ينظر: تفسير الطبري: 12/ 75.

(أألـد) وهـو إسـتفهام غيـر مباشـر أي: لا يحتـاج إلـى جـواب مـن المخاطَـب إنمـا دلالـة القـوة الإنجازيـة اسـتفهام غيـر حقيقـي غرضـه التعجـب، يقـول ابـن الأثيـر: (اعلـم أنـك إذا بـدأت فـي الاسـتفهام بالفعـل فقلـت (أفعلـت كـذا وكـذا) كـان الشـك فـي الفعـل، وكـان غرضـك مـن اسـتفهامك أن تعلـم وجـوده لا غيـر)[1]، وهـي تعجبـت مـن فعـل الـولادة، إذ كانت قد بلغت السن التي لا يلد من كان قد بلغها من النساء.

وورد الفعـل التـوجيهي بقولـه تعـالى: ﴿**وَحَرَّمْنَـا عَلَيْـهِ الْمَرَاضِـعَ مِـنْ قَبْـلُ فَقَالَـتْ هَـلْ أَدُلُّكُـمْ عَلَـى أَهْـلِ بَيْـتٍ يَكْفُلُونَـهُ لَكُـمْ وَهُـمْ لَـهُ نَاصِـحُونَ**﴾[2]، ففـي الـنص المحكـي عـن موسـى عليـه السـلام ومنعـه مـن قبـل الله عزوجـل أن يرتضـع إلّا مـن أمـه، فتبصـر بـه أختـه مـن بعيـد فتعرفـه، ويتـيح لهـا القـدر فرصـة لهفـتهم علـى مرضـع، فتقـول لهـم: هـل أدلكـم علـى أهـل بيـت يكفلونـه لكـم وهـم لـه ناصـحون[3]، فينقلـون كلماتهـا، وهـم فرحـون يستبشـرون خيـر، ويـودون أن تصـدق معهـم هـذه المـرأة فينجـو الطفـل المحبـوب[4]، فالفعـل الكلامـي التـوجيهي فـي (هـل أدلكـم) الإسـتفهام غيـر الحقيقـي؛ لأنّـه لا يسـعى عبـره السـائل إلـى الحصـول علـى إجابـة، والقـوة الإنجازيـة الدالـة علـى عـودة موسـى إلـى حضن أمه بخير وسلام.

(1) الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور: 144.
(2) سورة القصص: 12.
(3) ينظر: تفسير الطبري: 19/ 534.
(4) ينظر: في ظلال القرآن: 2680.

ولكن الاستفهام قد يخرج عن أصل وضعه، فيجري الاستفهام عن شيء مع العلم به لأغراض توجيهيّة تفهم من السياق وذلك من مثل: النفي، والإنكار، والتوبيخ، والتقرير، والتعظيم، والتحقير، والتشويق، والتعجّب والأمر، والاستبطاء، والتمني[1].

واستثمار طاقات الاستفهام التوجيهية هو الغالب في النص المحكي في القرآن الكريم ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ**﴾[2]، فالاستفهام في قوله: (قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَٰذَا) يجاوز حدود طلب العلم بالشيء، فدلالة الاستفهام الحقيقي هنا اتسعت لتحمل دلالات أشمل وأعمق، وأكثر مواءمة للسياق، إذ ينقل الاستفهام هنا انفعالاً يصوّر بدقة حالة من التعجب التي رافقت سماع الخبر من النبي الأكرم (صلى الله عليه واله وسلم)، فما سمعته مثيرًا للعجب والدهشة[3]، وكذلك يحمل معنى التهويل والتفخيم للمستفهم عنه، ويعضد هذا المعنى مصدر النبأ، وهو العليم الخبير (قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ).

ومثله قوله تعالى: ﴿**قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ**

(1) ينظر: المبسّط في علوم البلاغة: 88.

(2) سورة التحريم الآية: 3.

(3) ينظر: التحرير والتنوير: 28/ 354.

كُـــن فَيَكُـــونُ﴾[1]، فالفعـل الكلامـي التـوجيهي (أنّـى يكـون لـي ولـد) الاسـتفهام غيـر الحقيقـي والقـوة الإنجازيـة التعجـب والإنكـار، ويبـدو فـي سـؤالها لـم تكـن تتصـوّر حتـى اللحظـة وسـيلة اخـرى لأنْ يهبهـا الله ولـداً[2]، فالاسـتفهام فـي قولـه عـز وجـل علـى لسـان مـريم (عليهـا السـلام): (أَنَّـىٰ يَكُـونُ لِـي وَلَـدٌ وَلَـمْ يَمْسَسْـنِي بَشَـرٌ) قـد خـرج عـن أصـل وضـعه إلـى غـرض تـوجيهي بلاغـي بحـت هـو التعجّـب، والتهويـل، والاسـتنكار[3]؛ فمـريم المباركـة تسـتنكر أن يكـون لهـا ولـد، وتتعجـب مـن كيفيـة حـدوث ذلـك، وتنقـل هـول الحـدث واسـتحالته، وهـي الطـاهرة البتول:(وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ).

ومـن النصـوص المحكيّـة التـي حـوت أفعـالًا توجيهيّـة أفـادت التعجـب والتـوبيخ قولـه تعـالى: ﴿**حَتَّـى إِذَا مَـا جَاءُوهَـا شَـهِدَ عَلَـيْهِمْ سَـمْعُهُمْ وَأَبْصَـارُهُمْ وَجُلُـودُهُمْ بِمَـا كَـانُوا يَعْمَلُـونَ وَقَـالُوا لِجُلُـودِهِمْ لِـمَ شَـهِدْتُمْ عَلَيْنَـا قَـالُوا أَنْطَقَنَـا اللَّهُ الَّـذِي أَنْطَـقَ كُـلَّ شَـيْءٍ وَهُـوَ خَلَقَكُـمْ أَوَّلَ مَـرَّةٍ وَإِلَيْـهِ تُرْجَعُـونَ**﴾[4]، يصـوّر هـذا الـنص المحكـي مشـهدًا مـن مشـاهد يـوم القيامـة بـين الكـافرين وجلـودهم التـي شـهدت علـى كفـرهم، وقيـل: المـراد بـالجلود هـي الجـوارح، وقيـل: هـي كنايـة عـن الفـروج؛ إذ إنَّ الجلـود أو الجـوارح تشـهد يـوم القيامـة علـى أصـحابها، والله قـادر علـى كـل شـيء، فيتعجـب الكـافرون مـن ذلـك، لافتضـاح أمـرهم عـن

(1) سورة آل عمران الآية: 47.

(2) ينظر: تفسير الطبري: 18/ 165.

(3) ينظر: حاشية محي الدين شيخ زادة على تفسير البيضاوي: 5/ 531.

(4) سورة فصلت: 20-21.

طريق شهادة جوارحهم عليهم، فيسألونها متعجبين معاتبين إياها، وتجيبهم موبّخة إياهم مخبرة لهم بقدرة الله على كل شيء، ومدى طغيانهم بالشرك بالله عزوجل عن طريق اتباع آلهة لا تقدر أنْ تنفع نفسها[1]، وهنا نلحظ أنَّ السياق المحكي قد اقتضى فعلًا كلاميًا غير مباشر، وهو فعل (التخويف)، أي تخويف كل معاند أن جوارحه ستشهد عليه، أي لا مفرّ من عقاب الله عزوجل، وقد تألف هذا الفعل من أفعال انجازية جزئية، فالفعل الكلامي (لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا) فعل إنجازي يحمل في دلالته قوتين إنجازيتين[2]:

الأولى: قوة إنجازية حرفية: دلّت عليها الدلالة الحرفية للصيغة بالقرينة اللفظية (لِمَ) اسم الاستفهام (ما) الذي دخل عليه حرف الجر فحذفت ألفه تخفيفًا.

الثانية: قوة إنجازية مستلزمة: وهي خروج الإستفهام عن معناه الحقيقي إلى المعنى المجازي، كالعتاب أو اللوم أو التعجب.

ونلحظ عبر قول الجوارح (أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ) أنَّ هذا الفعل الإنجازي قد أحدث فعلاً تأثيريًا تمثل بتوبيخ الجوارح وتذكيرهم بقدرة الله عزوجل، اضافةً إلى خروج الجوارح عن وظيفتها الأساسية إلى تغيير علائق الإدراك الحسي لها بشكل تدريجي، وهذا ما يسمى بنظرية تراسل الحواس الذي هو وسيلة جمالية متميزة من

(1) ينظر: الكشاف: 4/ 195.

(2) ينظر: الحوار القرآني تداوليته وحجاجيته: 66-67.

وسائل التقديم الحسي للمعنى واستعارة ما تؤديه إحدى الحواس وخلعها على حاسة أخرى[1].

المطلب الثالث: التعبيريات في النص المحكي:

ويكون غرضها الإنجازي التعبير عن الموقف النفسي حيال الواقعة التي تعبر عنها القضية، على أن يكون التعبير حقيقيًا خاصًا لحالة نفسية محددة في الواقع[2]، والشرط المعدّ لهذا الصنف هو ((تحقيق المحتوى القضوي سلفًا، إذ إنّ المتكلم يعبر عن حالته النفسية تجاه الواقعة المفروض تحققها))[3]، وليس لهذا الصنف اتجاه مطابقة، أي يكون فارغًا، فالمتكلم بأداء الفعل التعبيري، لا يحاول أن يؤثر في العالم؛ ليماثل الكلمات، ولا الكلمات لتماثل العالم، فكل ما مطلوب هو تحقق شرط الإخلاص في التعبير عن القضيّة، ويدخل ضمن هذا الصنف أفعال الترحيب، والتعزية، والتهنئة، والشكر، والإعتذار.

وقد شغلت الأفعال الكلامية التعبيرية حيزًا كبيرًا في النص المحكي في القرآن الكريم، ووردت بنمطيها المباشر وغير المباشر حسب المقامات والأوضاع التي تعبر عنها.

---

(1) ينظر: نظرية تراسل الحواس: الأصول – الأنماط – الإجراء: 30-31.

(2) ينظر التحليل اللغوي عند مدرسة اكسفورد: 234، والحوار القرآني تداوليته وحجاجيته: 71.

(3) نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب: 32.

ومن النصوص المحكيّة التي اشتملت على أفعال تعبيرية أفادت التمني، الذي هو طلب أمر محبوب في المستقبل[1] لا يرجى حصوله، إمّا لأنه مستحيل، أو لأنَّه ممكن غير مطموح في نيله[2]، وقد وردت كثير من النصوص المحكية التعبيرية وأغلبها أفادت التمني بالحروف ولعل أبرزها (ليت)، فهي: ((حرف تمن، يتعلق بالمستحيل غالباً))[3]، وإنَّ ليت أكثر الحروف قدرة على التعبير عن التمني فهي ((أظهر لفظ وضع للتمني))[4] في دلالة الحروف المشبهة بالفعل.

ومن الأفعال التعبيرية النفسية المباشرة ما جاء في قوله تعالى ﴿**فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا**﴾[5]، والتمني في الآية الكريمة يتمثل في طلب مريم المباركة لما هو في إطار المستحيلات أو الممكنات بعيدة المنال، وصعبة التحقق: فقولها (يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا) فعل كلامي مباشر، تتمثل قوته الإنجازية بالتمني الذي دلَّ عليه دلالة حرفية بالقرينة (ليت)[6]، وعبارة (قبل هذا) الظرف + اسم الإشارة القريب، أي بمعنى مت قبل هذا الوقت أو قبل هذا الأمر الذي حدث لي، فتمنّت مريم المباركة حين جاءها المخاض لو أنّها ماتت قبل كلّ

(1) ينظر: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: 3/ 160.
(2) ينظر: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح: 2/ 138.
(3) حروف المعاني، للزجاجي: 5.
(4) الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة: 114.
(5) سورة مريم الآية: 23.
(6) ينظر: الحوار القرآني تداوليته وحجاجيته: 75.

هـذا، أو أنّهـا كانـت نسـياً منسـياً، و((النِّسْـيُ فِـي كَـلَامِ الْعَـرَبِ الشَّـيْءُ الْحَقِيـرُ الَّـذِي شَـأْنُهُ أَنْ يُنْسَـى وَلَا يُتَـأَلَّمُ لفقـده كالوتـد والحبـل للمسـافر ونحـوه))[1]، ومـا يلفتنـا هنـا هـو الأسـلوب التعبيـري بـالتمني فـي سـياق الآيـة، مـن جهـة، وقـدرة التنزيـل الكـريم علـى تصـوير مكـامن الـنفس الإنسـانية وسـبر أغوارهـا ووصـف حالاتهـا بإتقـان، مـن جهـة أخـرى. يتمثـل ذلـك فـي اسـتثمار أسـلوب التمنـي، وطاقـات الفعـل التعبيريـة فـي اختيار الألفاظ (ليتني– متّ – نسياً منسياً) وطاقاتها الدلالية.

والأمـر عينـه ورد فـي الفعـل التعبيـري الـذي أفـاد التمنـي فـي قولـه عزوجـل: ﴿**وَإِذْ قَالَـتْ أُمَّـةٌ مِّـنْهُمْ لِـمَ تَعِظُـونَ قَوْمًـا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُـمْ أَوْ مُعَـذِّبُهُمْ عَـذَابًا شَـدِيدًاۖ قَـالُواْ مَعْـذِرَةً إِلَـىٰ رَبِّكُـمْ وَلَعَلَّهُـمْ يَتَّقُـونَ**﴾[2]، غيـر أنَّ الأداة المسـتعملة هنـا هـي (لعـل) والتـي تفيـد فـي سـياق التمنـي: ((الدلالـة علـى اسـتحالة الأمـر المتمنـي بهـا، وذلـك لبعـد المرجـو عـن الحصـول فأشـبه المحـالات والممكنـات لإطماعـه فـي حصـولها فيتولـد منهـا التمنـي))[3]، وهـذا مـا نجـده فـي الآيـة الكريمـة إذ يمـنح السـياق (لعـل) دلالـة التمنـي المـراوغ أي الـذي يبـدو للوهلـة الأولـى سـهل التحقـق: (وَلَعَلَّهُـمْ يَتَّقُـونَ) فعـل كلامـي مباشـر تتمثـل قوتـه الإنجازيـة بـالتمني الـذي دلّـت عليـه دلالـة حرفيـة بقرينـة (لعـلَّ)، غيـر أنَّ السـياق يوضـح أنـه فـي حقـل الممكنـات صـعبة التحقـق، فيعـانق الأسـلوب بـذلك التمنـي، وهـذا حقيقـة أدْعـى للتـأثير فـي نفـس المتلقـي، ويحقـق

(1) تفسير القرطبي: 11/ 92.

(2) سورة الأعراف الاية: 164.

(3) شرح عقود الجمان، للسيوطي: 1/ 150.

وظائف متنوعة على صعيد الشكل والمضمون، وعلى مستوى التوظيف التعبيري، والأهداف الدينية، فيحقق الخطاب الإلهي كعادته الإمتاع بأسلوبه المتفرد، وأغراضه الدينية التي تتصل بالدعوة من إرشاد وتوجيه ووعظ، من جهة أخرى.

وتنوّعت أنماط النص المحكي في التعبير النفسي للقرآن الكريم بإيراد الدلالات التعبيرية النفسية والوجدانية في عناصر لغوية حاملة للمكنونات بأساليب كلامية ومتواليات غير مباشرة، كما في قوله تعالى: ﴿**قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ**﴾[1]، إذ جاء الفعل الكلامي التعبيري بدلالة نفسية تعجبيّة بهيأة أدائية غير مباشرة لعدم احتوائه على العنصر المعجمي المباشر الدال على التعجب، وإنّما وظفت بنية الإستفهام (أنى) للإستدلال بها على مفهوم التعجب، ((أي كيف يكون لي ذلك والحال أني وامرأتي على حالة منافية له كلَّ المنافاة وإنما قالَه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ مع سبق دعائِه بذلك وقوةِ يقينه بقدرة الله تعالى عليه لاسيما بعد مشاهدته عليه الصلاة والسلام للشواهد السالفة استعظاماً لقدرة الله سبحانه وتعجيباً منها واعتداداً بنعمته عز وجل عليه في ذلك لا استبعادًا له))[2]، والدليل على مقصدية التعجب الاستلزامية في هذا الكلام.

(1) سورة آل عمران: 40.

(2) تفسير ابي السعود: 2/ 33.

وقد أجاب الله عزوجل زكريا (عليه السلام) (**قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ**)، لذا توفر في هذا الفعل الكلامي التعبيري النفسي غير المباشر ما توفر في الأفعال الأخرى من الفعل القولي المنطوق، والفعل القضوي المؤلف من الاستفهام (أنى) ومدخولاتها الفعلية ومكملاتها (يكون لي غلام...) المقرون بالفعل الإنجازي الذي تتبيّن حمولته الدلالية في قوة إنجازية مستلزمة وهي دلالة التعجب المستنتجة من مجمل الحدث الكلامي في هذه الآية[1].

المطلب الرابع: الوعديات في النص المحكي:

تتركز هذه الأفعال في عملها على المتكلم أكثر من المتلقي، لشدة ارتباط إنجاز هذا الفعل بالطرف الأول، إذ يتحتم على المتكلم الإلتزام بإنجاز فعل مستقبلي، ويكون اتجاه المطابقة من العالم الخارجي إلى الكلمات؛ لأنّ العالم الخارجي يخضع لمقصدية المتكلم بتأدية فعلٍ ما يغير ذلك الواقع ويؤثر فيه، شريطة توفر الإخلاص في نيّة المتكلم بإنجاز هذا الفعل في المستقبل[2]، و((يسجل سيرل بأنَّ الأفعال التوجيهية والالتزامية تنطلق من توجه واحد بالنسبة إلى مطابقة العالم الكلمات، ويختلفان من حيث المنفذ الذي ينجز الفعل، فهو المخاطب من الفئة الأولى، والمتكلم في الفئة الثانية))[1]، وتنضوي تحتها أفعال الوعد والوعيد والتعهد والقسم، فالمتكلم حينئذ يراعي مقام الخطاب وأحوال السامع، وكيفية إيصال مراده إلى

(1) ينظر: الأفعال الكلامية ونماذجها التطبيقية في القرآن الكريم: 282.

(2) ينظر:نظرية أفعال الكلام العامة: كيف ننجز الأشياء بالكلام، أوستن: 33.

المتلقي، فهو يبحث عن الطريقة المناسبة؛ لتبليغ قصده، فالمتلقي تكون له مشاركة فعّالة في انتاج الخطاب، وعلى المتكلم أن يستحضر المتلقي في كل عملية إبلاغيّة[2]، وفي كل عملية لابدَّ من وجود عواملَ وأحداثٍ مشتركة بين المتحدث والمستمع تُعين المستمع على فهم قصدية المتحدث، فقصدية المتحدث تصل إلى المستمع عن طريق عمليات التخاطب الفعلي[3].

ما لا يمكن إغفاله هو أنَّ الأفعال الكلامية لا يمكن الوقوف عليها وتفسيرها وتحليلها مجرّدة من السياق اللغوي والإجتماعي والتأريخي الواردة فيه، فغرض المتحدث وقصده في الخطاب غير مرتهن بالمعنى الحرفي للملفوظ فحسب، لا بل يُلمح من قصد المتحدث، والسياق الذي ورد فيه الملفوظ، فالإلزاميات التي يقصدها المتحدث لا يمكننا الإستدلال بها عن طريق تركيب معيّن، وإنّما يدركها المتلقي بمعونة السياق[4]، فالمعنى الظاهر هو مراد المتكلم ما لم تدل عليه قرينة على غير ذلك، فإذا لم يتفق المعنى الظاهر مع قرينة السياق لزم على المتلقي تأويل الخطاب بما تقتضيه القرينة، ومثاله ما جاء في النص المحكي عن النبي إبراهيم وولده إسماعيل (عليهم السلام) في قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَابُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ**

(1) الفعل اللغوي بين الفلسفة والنحو عرض وتأصيل لمفهوم الفعل اللغوي: 115.

(2) ينظر: في اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم: 175.

(3) ينظر: علم التخاطب الإسلامي دراسة لسانية لمناهج علماء الأصول في فهم النص: 62.

(4) ينظر: الفلسفة واللغة، نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة: 107.

يَاأَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾[1]، بعد إخبار نبي الله ابراهيم ولده اسماعيل بأمر الله عزوجل، إمتثل ولده اسماعيل وصبر على قضاء الله وقدره، فالمراد من النص لم يكن المعنى الحرفي الإخباري بل تعداه إلى تحقيق فعل إنجازي مقصود وهو الوعد[2].

ونلحظ أنَّ الصيغة الخبرية التي جاء بها النص المحكي أراد منها نبي الله اسماعيل إنقاذ وعد أبيه والإمتثال لأمر ربّه، وقد لمسنا ذلك عبر بعض القرائن السياقية كـ(السين) و (إن شاء الله) الدالة على المستقبل، وكذلك هنالك قرينة أخرى في سورة مريم بقوله تعالى: ﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا**(54)﴾، فاسماعيل عليه السلام وعد وصدق بوعده، ولمسنا ذلك في الفعل العهدي وإشارته في تحديد اتجاه المطابقة، فالمتكلم طابق القول بالفعل وأخلص في وعده، فالإخلاص في القول والجديّة في القصد سمة الأفعال الوعدية وميزتها[3].

وورد النص المحكي بقوته الإلزامية في قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ**﴾[4].

---

(1) سورة الصافات: 102.

(2) ينظر: الكشاف: 4/ 57.

(3) ينظر: في البراجماتية: الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة: 211.

(4) سورة ال عمران: 181-182.

ففي هذا النص استعراض لبعض أفعال و أقوال اليهود الشائنة مع المسلمين، نلاحظ ابتدأ النص بملفوظ تقريري مؤكد بمؤكدين إثنين (اللام، وقد) اللذين افادا التحقيق بقوله (لقد سمع الله)، وهذا الملفوظ قوته الإلزامية تكمن في التهديد[1]، وهذا القول جرأة عظيمة من اليهود كان القصد منها التعريض بالقرآن الكريم، لأنهم تلفّظوا بعبارة فيها استهزاء دون أن يتحاشو ذلك القول، فرد عليهم بقوله (لقد سمع الله) وهذا النص هو تهديد لهم على ما قالوه[2].

وقوله تعالى: **(سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا)** فعل كلام إنجازي تكمن قوته في ((الوعيد بمعنى لن يفوتنا أبداً إثباته وتدوينه))[3]، أمّا وجود حرف السين الذي يدل على الكتابة أمر يحصل في المستقبل، والظاهر من معنى الكتابة هو عدم الصفح والعفو عنهم بل إثبات لهم، وهنا تكون الكتابة كناية عن المحاسبة لهم[4].

وقوله تعالى: **(وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ)** ملفوظ تقريري تكمن قوته في زيادة مذمتهم بذكر مساوئ اسلافهم لأنَّ الذين قتلوا الأنبياء هم غير الذين قالوا: **(إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ)**، وقد ورد ذكرهم في سياق الآية فيه دلالة على أنَّ القتل هي سمة قديمة فيهم، وهذه السمة من الأمور التي ميزتهم عن غيرهم من الأمم، وطريقة اتحاد

(1) ينظر: البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني: 160.
(2) ينظر: التحرير والتنوير: 4/ 183.
(3) الكشاف: 1/ 447.
(4) ينظر: البحر المحيط: 3/ 462.

الضمائر واختلاف المعاد طريقة عربية في المحامد والمذام التي تناط بالقبائل[1].

أمّا عقابهم وجزاؤهم في قوله تعالى (وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ) يتضمن فعلًا كلاميًا انجازيًا أمر قوته تتمثل في تسليط العذاب عليهم وادخالهم النار، فالملفوظ بمثابة النتيجة الحتمية القاطعة لحجتهم السابقة في ادعاء الغنى أمام فقر الله تعالى عمّا يصفون، أمّا قوله تعالى (ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ) هو لفظ تقرير تكمن قوته في إيضاح سبب النتيجة التي آلوا إليها؛ ففي ذلك تهويل ((للعذاب المشاهد يومئذ، وفيه تهويل للعذاب. والباء للسببية على أن هذا العذاب لعظم هوله مما يتساءل عن سببه))[2]، وقوله: (ليس بظلّام للعبيد) هو ملفوظ تقريري مؤكد، قوته الإنجازية تبرز السبب الثاني لعذابهم، ويتجلى في عدل الله تعالى مع خلقه.

(1) ينظر: التحرير والتنوير: 4/ 183.

(2) التحرير والتنوير: 4/ 185.

المطلب الخامس: الإعلانيات في النص المحكي:

وهي نوع من الافعال التي تنشأ بمجرد التصريح بها احداث تغيير الوضع القائم اي ان القول بأمر ما هو احداث لذلك الأمر، أو هي التي يكون إيقاع الفعل فيها مقارنًا للفظه في الوجود، فأنت توقع بالقول فعلًا، وتتسع هذه الأفعال لتشمل أفعال البيع والشراء والهبة والوصية والإجارة والوقف والإبراء من الدين والتنازل عن الحق، والزواج والطلاق والإقرار والدعوى والإنكار والقذف الوكالة...[1].

وينبغي للفعل الإعلاني (الإيقاعي) أنْ يكون ناجحًا ليحقق الغرض المنشود إليه لكي يطابق العالم الخارجي، وهذه المطابقة تكون من الكلمات إلى العالم، أو من العالم إلى الكلمات (اتجاه مزدوج)، كما يشترط في هذه الأفعال وجود عرف غير لغوي، فهذه الأفعال تحتاج إلى مؤسسة خارج اللغة[2]، فالمعني بتحقيق المطابقة في الإيقاعيات قد يكون المتكلم أو المتلقي أو غيرهما، ولا تحتاج الأفعال هنا من شرط سوى الإعتقاد بأنَّ الفعل ناجحٌ؛ فإذا أديت فعل إعلان الحرب أداءً ناجحًا فالحرب معلنة[3].

وقد وردت نصوص محكيّة كثيرة في القرآن الكريم جاءت بهذا الصنف من الأفعال، وإذ جاءت بهيئات متنوعة للاستدلال على

(1) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: 98.

(2) ينظر: التداولية، لجورج يول: 89.

(3) ينظر: الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة: 210.

الأحكام الشرعيّة والعرفيّة المنظمة لجميع الأمور الحياتيّة، مثل الأحكام الاجتماعية، وأحكام الفرائض الدينية والعرفيّة المؤثرة في طبيعة الناس، ويمكن تصنيف جميع آيات الأحكام في القرآن الكريم ضمن هذه الفئة من الأفعال الكلامية[1]، وكذلك الأحكام التي يصدرها الله عزوجل المتعلقة بمصير العباد، وحتى بشأن الكون والطبيعة وما يجري على البشرية جمعاء حاضرهم ومستقبلهم وغيرها من الاخبار الغيبيّة.

ومن النصوص المحكية لهذه الأفعال الإعلانيّة هي إعلان العبد الصالح مفارقة نبي الله موسى (عليه السلام) بعد أن عهد إليه بأن لا يسأله عمّا يفعل، ونقض عهده، ففي قوله تعالى ﴿**قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا**﴾[2]، فالملفوظ (هذا فراق بيني وبينك) يتضمن فعلاً كلامياً يحمل في دلالته قوتين إنجازيتين:

إحداهما: قوة حرفيّة متمثلة بالإخبار الذي دلَّ عليه بالدلالة الحرفية للملفوظ.

والأخرى: قوة مستلزمة متمثلة بقرار المفارقة الذي أعلنه العبد الصالح؛ لأنه صاحب السلطة، وهو القادر على تحقيق القرار (فعل غير مباشر)، وهو الفعل المنجز لاقتضاء المقام إياه[3].

(1) ينظر: الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي: 118.

(2) سورة الكهف: 78.

(3) ينظر: الحوار القرآني تداوليته وحجاجيته: 92.

ومن النصوص المحكية التي اشتملت على أفعال إيقاعية هي محاورة نبي الله موسى عليه السلام مع فرعون وجنوده المشككين بنبوته والمنكرين لمعجزاته في قوله تعالى: ﴿**وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَاهَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ**﴾[1]، ففي حديث فرعون وجنوده مع نبي الله موسى عن نفي الألوهية عن الله عزوجل وإثباتها لفرعون –كما يدّعون–، ففي الآيات السابقة إعلان نفي الربوبية عن غير الله سبحانه وتعالى الذي خلق الخلائق كلها، فقال تعالى: **(أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين)** [القصص: 30]، وقد أصبح بهذا الإعلان موسى رسولًا، فلا يصير الرسول إلّا أن يؤمر بالرسالة من عند الله[2]، ففعل القول (إني أنا الله) والقوة الإنجازية التي هي إعلان الربوبية لله وإعلان النبوة لموسى عليه السلام أعطت حجة قوية ألجمت فرعون وجنوده.

وقد تضمّن قوله تعالى: **(وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار)** فعلًا اعلانيًا متضمنًا بفعل القول (جعلناهم) جعل الله فيه فرعون وجنوده زعماء الكفر فهم يدعون إلى جهنم، ومن تبعهم سيكون

(1) سورة القصص: 37–42.

(2) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: 8/ 136.

مصـــيره مـــثلهم، ويحملـــون وزرهـــم ووزر مـــن اتـــبعهم[1]، أمّـــا قوتـــه الإنجازيـــة هـــي الإعـــلان عـــن جعـــل فرعـــون وجنـــوده كفّـــار يـــدعون إلـــى النار ومن تبعهم سيكون بالمصير نفسه.

وفـــي قولـــه تعـــالى: **(وأتبعنـــاهم فـــي هـــذه الـــدنيا لعنـــة)** فيـــه تشـــريع للعـــن فرعـــون، ومـــن تبعـــه مـــن الكـــافرين الظـــالمين، ففعـــل القـــول (اتبعنـــاهم) تكـــون قوتـــه الإنجازيـــة الإعـــلان عـــن تشـــريع لعـــن فرعـــون والظالمين معه.

ومـــن ذلـــك يظهـــر أنَّ الأفعـــال الكلاميّـــة فـــي النصـــوص المحكيّـــة فـــي القـــرآن الكـــريم قـــد تنوّعـــت؛ فجـــاء بعضـــها توجيهيّـــا (أمريّـــا)، وجـــاء بعـــض منهـــا إخباريًـــا (تقريريًـــا)، وجـــاءت بعـــض الأفعـــال تعبيريّـــة (بوحيّـــة)، وإلزاميّـــة (وعديّـــة)، واخـــرى إعلانيّـــة (إيقاعيّـــة)، إذ اختلفـــت القـــوة الإنجازيـــة لهـــذه الأصـــناف مـــن الأفعـــال الكلاميّـــة فـــي النصـــوص المحكيّة التي وردت فيها.

(1) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: 8/ 146.

المبحث الثالث

النّص المحكي بغير فعل القول

توطئة

ثَمّـــةَ خِـــلاف بـــين المدرســـتين البصـــريّة والكوفيّـــة فـــي الـــنّص المحكـــي بغيـــر فعـــل القـــول، أو مـــا أشـــتهر فـــي كتـــب النحـــاة قـــديمًا بـــ(الحِكايَةُ بِمـــا فيـــهِ مَعْنـــى القَـــوْلِ)، فـــالقول هـــو كـــل مـــا نطـــق بـــه اللســـان تامًـــا كـــان أو ناقصًـــا، وهـــو يعطـــي معنـــى الكـــلام بمعنـــاه العـــام، ولـــو رجعنـــا إلـــى معـــاني الأفعـــال التـــي تحمـــل معنـــى القـــول نحـــو: (نـــادَى)، و(دَعـــا)، و(وَصّـــى)، و(أَوْحـــى)، و(سَـــأَلَ)، و(أَذَّنَ)، و(قَـــرَأَ)...إلخ، لا نراهـــا تبتعـــد عـــن المعنـــى العـــام للقـــول ولكنّهـــا تضـــيف لـــه معنـــى آخـــر ويستفاد منه فائدة بلاغية جمالية.

فالبصـــريون لـــم يجـــوّزوا الحكايـــة بالأفعـــال التـــي حملـــت معنـــى القـــول، وإنّـــه لا يحكـــى إلّا بـــالقول، وإنَّ الحكايـــة التـــي تتلـــو مـــا فيـــه معنـــى القـــول إنّمـــا هـــي فـــي أصـــلها قـــول محـــذوف، ومـــن النحـــاة مـــن ســـار علـــى هـــذا الـــرأي واستحســـنه قـــال ابـــن هشـــام (ت 761هـــ): ((وَيَشْـــهَدُ لِلْبَصْـــرِيّينَ التَّصْـــريحُ بِـــالقَوْلِ فـــي نَحْـــوِ: ﴿**وَنـــادى نـــوحٌ رَبَّـــهُ فَقـــالَ: رَبِّ، إِنَّ ابْنـــي مِـــنْ أَهْلـــي**﴾[1]، وَنَحْـــوَ: ﴿**إِذْ نـــادى رَبَّـــهُ نِـــداءً خَفِيّـــاً. قـــالَ: رَبِّ، إِنّـــي وَهَـــنَ العَظْـــمُ مِنّـــي**﴾))[2][3]، أمّـــا الكوفيـــون فـــذهبوا إلـــى جـــواز

(1) سورة هود: 45.

(2) سورة مريم: 3 – 4.

(3) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: 539.

الحكاية بهذه الأفعال ونحوها إلحاقًا بالقول[1]، نحو: قوله جل علاه ﴿**وَنَادَوْا: يا مالِكُ، لِيَقْضِ عَلَيْنا رَبُّكَ**﴾[2]، وقوله تعالى ﴿**فَأَوْحى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ: لَنُهْلِكَنَّ الظّالِمينَ**﴾[3].

ويتفق الباحث مع الرأي الكوفي كونه أقرب إلى الصواب، ومهما تحدّثوا في هذه المسألة فإنَّ رأي البصريين ومن تبعهم يبقى مضعّفًا؛ لأنّه يتعارض مع حقيقة أنَّ النص المحكي بعد الأفعال الدالة على معنى القول دون لفظه قد يكون مبدوءًا بالأداة (أنَّ)، فلا يمكن ذلك بحسب الرأي النحوي المألوف هو مجيء (أنَّ) المفتوحة صدر مقول فعل القول (قال)، ولا ترد (أنَّ) من المقول أولًا بعد الفعل (قال)، أو أيّ من تصريفاته بل ترد (إنَّ) المكسورة[4]، وكثيرًا ما تأتي (أنَّ) المفتوحة في القرآن الكريم بعد الأفعال التي فيها معنى القول، كقوله تعالى: ﴿**فَدَعا رَبَّهُ أَنّي مَغْلوبٌ فَانْتَصِرْ**﴾[5]، و﴿**وأَيّوب إذ نادى رَبَّهُ أنّي مَسَّني الضُّرُّ وأنتَ أرحمُ الراحِمين**﴾[6]، و﴿**إِذْ يوحي رَبُّكَ إلى الملائكةِ أنّي مَعَكُم فَثَبِّتوا الذينَ آمَنوا**﴾[7]، و﴿**وأوحِيَ إلى نوحٍ أنَّهُ لن يُؤمِنَ مِنْ قومِكَ إلا مَنْ قد آمَنَ فلا**

(1) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: 539، وهمع الهوامع في شرح جمع الجوامع: 502/1، والجملة العربيَّة تأليفها وأقسامها: 210.

(2) سورة الزّخرف: 77.

(3) سورة إبراهيم: 13.

(4) ينظر: من قضايا فعل القول (قال) في العربية: 27.

(5) سورة القمر: 10.

(6) سورة الأنبياء: 83.

(7) سورة الأنفال: 12.

تَبْتَئِسْ بما كانوا يَفعَلون﴾[1]، و﴿**فَاسْتَجابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضيعُ عَمَلَ عامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعضٍ﴾**[2].

زيادة على ذلك أنَّ عدم التقدير أولى من التقدير فما دامت الجملة واضحة لا لَبْسَ فيها فَلِمَ نُقدِّر فعلًا إضافيًا لا نفع من وجوده، ولا يغيّر من معنى الجملة شيئًا، وإنَّ معنى الفعل (قال) يصدق من حيث المعنى الكلي العام على جميع الأفعال التي ذكرت، و((غاية ما في الأمر أنَّها قد اتصفت بصفات معينة جعلتها تحمل هذه الأسماء المختلفة))[3].

وخلاصة القول إنَّ هذه الأفعال، التي تدُلُّ على معنى القول من دون لفظه، قد تأتي بغية نقل الكلام نقلًا حكائيًا، ووظيفة نقل الكلام بالحكاية ليست فقط بوساطة الفعل (قالَ) وحده، فالفعل (نادى) قد ورد في القرآن الكريم لنقل الكلام اللفظي، قال تعالى: ﴿**فنادَتْهُ الملائكةُ وهو قائمٌ يُصَلّي في المِحْرابِ أَنَّ اللهَ يُبَشِّرُكَ بيَحْيى**﴾ [4]. وكذلك الفعل (أَوحى) يقوم بالوظيفة نفسها للفعل (قالَ) (قالَ) قال تعالى: ﴿**فَأَوْحى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحوا بُكْرَةً وعَشِيًّا**﴾[5]، و﴿**إِذْ يوحي رَبُّكَ إلى الملائكةِ أَنّي مَعَكُم فَثَبِّتوا الذينَ آمَنوا**﴾[1].

(1) سورة هود: 36.

(2) سورة آل عمران: 195.

(3) الجمل التي لها محل من الاعراب في القرآن الكريم: 83 .

(4) سورة آل عمران: 39.

(5) سورة مريم: 11.

المطلب الأول: الاخباريات في النص المحكي

الاخباريات هي مجموع الأفعال التي يُخبِر بها المُتكلّمُ المخاطَب بواقعة ما عبر قضيّة محدّدة يعبّر بها عن هذه الواقعة[2]، ويكون اتجاه المطابقة في هذا الصنف من الكلمات إلى القول، وشرط الإخلاص فيه يتمثل في النقل الأمين للواقعة، والتعبير الصادق عنها، والحالة النفسيّة التي تعبّر عنها هي الإعتقاد، أي تمثيل الحالة كما يعتقدها المتكلّم[3].

وسنقف على بعض النصوص المحكيّة في القرآن الكريم التي تضمنت أفعالًا حملت معنى القول، وتم اختيارها بحسب شدة القوة الإنجازية لفعل الإخبار بحسب توافر العناصر اللغوية والتداولية التي اسهمت في تعديل القوة الإنجازية، ومن النصوص المحكية بغير فعل القول التي حوت أفعالاً اخبارية قوله تعالى: ﴿**وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ**﴾[4].

فمن الأفعال التي حملت معنى القول الفعل (أوحى)؛ فالوحي هو ((الإشارة، والكتابة والرسالة والإلهام والكلام الخفي وكل ما ألقيته

(1) سورة الأنفال: 12.

(2) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: 81.

(3) التحليل اللغوي عند مدرسة اكسفورد: 232.

(4) سورة هود: 36-37.

إلى غيرك. يقال وَحَيْتُ إليه الكلام وأوحيت. ووحى وحيا وأوحى أيضاً أي كتب))[1]، و ((وحيت إليه بخبر كذا، أي أشّرتُ وصوّت به رويدا))[2]. فالوحي إذًا هو الكلام الخفي أي القول الخفي.

ففي هذه النصوص فعلان كلاميان مباشران جاء كل واحد منهما بصفة النهي فالأول (لا تبتئس) جاء بمعنى ((لا تلتزم البؤس ولا تحزن بما كانوا يتعاطونه من التكذيب والاستهزاء والإيذاء في هذه المدة الطويلة فقد حان وقت الانتقام منهم))[3]، والنهي الثاني بالفعل (لا تخاطبني) دلَّ على أنَّ الكفّار من قومه سينزل الله فيهم عذابًا أليمًا ولا تشملهم رحمة الله يوم الحساب؛ لسوء فعالهم[4]؛ لأنَّ ((لِأَنَّ الْمُرَادَ بِالْمُخَاطَبَةِ الْمَنْهِيِّ عَنْهَا الْمُخَاطَبَةُ الَّتِي تَرْفَعُ عِقَابَهُمْ فَتَكُونُ لِنَفْعِهِمْ كَالشَّفَاعَةِ، وَطَلَبِ تَخْفِيفِ الْعِقَابِ لَا مُطْلَقَ الْمُخَاطَبَةِ. وَلَعَلَّ هَذَا تَوْطِئَةٌ لِنَهْيِهِ عَنْ مُخَاطَبَتِهِ فِي شَأْنِ ابْنِهِ الْكَافِرِ قَبْلَ أَنْ يَخْطُرَ بِبَالِ نُوحٍ- عليه السلام سُؤَالُ نَجَاتِهِ حَتَّى يَكُونَ الرَّدُّ عَلَيْهِ حِينَ السُّؤَالِ أَلْطَفَ))[5]، فالنص المُرسَل جاء مباشرًا بعيدًا عن الغموض والإيماء، كي يغتنم الوقت، ويغيّر وجهة المتلقي إلى الغرض المطلوب في ترك الفعل بالإنجازية المباشرة، وكان شرط الملائمة فيها موفّقًا وناجحًا يلمس الهدف الذي أبتغاه النص المحكي؛ لوجود قضية عبّر عنها النص المحكي بالنهي، وفعل

(1) الصحاح في اللغة: مادة وحى، 257/20.
(2) المصدر نفسه: 3/ 127.
(3) روح المعاني: 6/ 248.
(4) ينظر: التحرير والتنوير: 12/ 67.
(5) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

النهي تضمن وسمًا لمقولة السلب (الجحد) صادرًا من رغبة المتكلم في أن يكف المخاطب عن إيقاع المحتوى القضوي الذي هو بصدد تحقيقه، ونلاحظ بأنّ النهي جاء بصورة لفظية واحدة تجعل من التركيب يبدأ بـ(لا) الناهية[1]، وهو قوة إنجازية تسعى إلى التأثير في سلوك المخاطَب للكف عن إنجاز الفعل عن طريق فعل التلفظ بصيغة (لا تفعل).

ولعلّ أسلوب النهي لا يبتعد كثيراً عن أسلوب الأمر في دلالته على الطلب، لكنّه طلب الكف عن فعل ما، وحمل المخاطب على عدم القيام بسلوك معين، فهو أحد أبرز الأساليب التوجيهيّة التي تحدد مسار سلوك المخاطب، وما ينبغي له فعله، وما ينبغي له تركه من السلوكيّات أيضاً.

وفعل القول (لا تبتئس) خرج لإنجاز طلب النهي عن الحزن والبؤس، فكان له فعل تأثيري في إقناع المتلقين بالنهي عن البؤس، وكذلك فعل القول (لا تخاطبني) خرج لإنجاز طلب النهي عن مخاطبته، فكان له فعل تأثيري لإقناع المتلقي بعدم مخاطبة الكفار، فحمل هذان الفعلان الكلاميان قوة إنجازية حددتها إرادة المتكلم وقصده، وهي إرادة متعلقة بطلب إيقاع المأمور به، وعدم إيقاع المنهي عنه[2].

(1) ينظر: دائرة الأعمال اللغوية مراجعات ومقترحات: 193.

(2) ينظر: التداولية عند العلماء العرب: 150.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[1].

فالفعل الكلامي في قوله تعالى: (وَأَوْحَيْنَا) إخبار بوساطة الوحي و ((يراد به الإنجاز الذي يؤديه المتكلم بمجرد تلفظه بملفوظات معينة ومن أمثلته الأمر والنهي والوعد، والسؤال...فهذه كلها أفعال كلامية))[2]، وهو تأمين لأم موسى بإلهامها، و الفعل الكلامي الآخر (ارضعيه) قد حمل قوة إنجازية مباشرة وهي الأمر، أمّا القوة الإنجازية المستلزمة هي تكفل الله عزوجل في حفظ رضيعها[3]، إذ نلحظ هنا تضافر أسلوب النهي (لَا تَخَافِي)، (وَلَا تَحْزَنِيٓ) مع أسلوب الأمر: (أَرْضِعِيهِ)، (فَأَلْقِيهِ) لتشكيل سلسلة خطوات توجيهية، تساعد أم موسى عليه السلام-(وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ) في اتخاذ القرار، وتحديد ماهيّة التصرف الصحيح في الموقف، ليتماشى مع المخطط الإلهي في رد موسى (عليه السلام) إلى أمه، وجعله نبياً مرسلاً (إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ). فالاستراتيجيات التوجيهية كثيراً ما تتمثّل في آليات صريحة تساهم في توجيه المرسل للمرسل إليه، مثل أساليب الأمر، والنهي الصريحين[4].

(1) سورة القصص: 7.

(2) التداولية عند العلماء العرب: 10.

(3) ينظر: الكشاف: 3/ 393.

(4) ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: 34.

وقد وظّف النص القرآني أسلوب الشرط، وذلك حين تحقق لديها اليقين وغلب الخوف فيقتضي أن تقذف به (فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ) فصيغة الأمر تستلزم منها الامتثال لأمر الله، وفي قوله تعالى: (إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ)[القصص: 7-8]. ففي هذا النص نلحظ مجيء الخبر بصيغة التوكيد من الأخبار، وكذلك فإنَّ الشرط من الأساليب الإخبارية، إذ احتوى النص المحكي في آية واحدة على خبرين هما (وَأَوْحَيْنَا إلى أُمِّ لقد جمع مُوسَى) وقوله: (فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ)، وأمرين هما: (أَرْضِعِيه) و (ألقيه)، ونهيين هما: (وَلا تَخَافِي) و(وَلَا تَحْزَنِي)، وبشارتين[1] هما: (إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ) فالقوة الإنجازية المستلزمة للإخبار حملت معنى البشارة العاجلة والسلامة والنجاة، وهنا نلحظ أنّ المنحى التداولي جاء عن طريق التداخل الواضح والتناوب بين الأمر والنهي ((في صيغة الوحي والإلهام باعتبارها درجات في التواصل، وقد تعددت المواقف الخطابية، كما تعددت أفعال الكلام، لكون الأمر في هذه الآيات يدعو أم موسى إلى الكيفية التي تفيدها في استمرار حياة ابنها ثم يطمئنها ويزيل قلقها لتثق في الله خاصة لما يُعلمها بإعادته إليها وجعله من المرسلين وهذا ما تحقق بالفعل، إذ نجا موسى من الموت بقدرة الله العجيبة))[2].

واختتمت الآية ببشارتين جعلت أم موسى متلقية للأوامر والنواهي، ومهيأة لتقبل كل الشروط التي يمليها عليها الوحي، ضمن

(1) ينظر: التحرير والتنوير: 20/ 73.

(2) الأفعال الكلامية في القرآن الكريم مقاربة تداولية: 14.

صيغ طلبية ثقلت من مجال الطلب إلى مجال التنفيذ. لذا فالإخبار في النص المحكي هو احدى غايات الإيضاح ورفع الإبهام والغموض، قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ۝١٢ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ۝١٣ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ۝١٤ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ۝١٥ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ ۝١٦﴾[1]، اشتمل النص المحكي توجيه الله سبحانه وتعالى إلى مقام النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بوصفه مُبلّغ الخطاب الإلهي الموجّه في هذه النصوص للردّ على إدعاء المشركين في طعنهم بالدين، وقد طمأن الله نبيه بمخاطبته مباشرةً ليثبت قلبه بذكر قصة سيدنا موسى عليه السلام[2]، إذ بدأت الآية الكريمة بفعل نداء مبني للمجهول (نُودِيَ) يتضمن في محتواه تشويقًا للرسول الأكرم عليه الصلاة والسلام، وبقوة إنجازية مباشرة تمثلت بحرف النداء (يا) وهذا النداء من الله عزوجل كان تكريمًا لموسى عليه السلام، أمّا الغرض الإنجازي الذي حمله الفعل المباشر في سياق الآية هو زيادة تشويق النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، ثم انتقل النص المحكي في سياق الآيات إلى فعل كلامي مباشر آخر جاء بصيغة الأمر (فَٱخۡلَعۡ)، وقيل علّة خلع نعليه بأنّ هذه البقعة كانت مباركة؛ لأنها

(1) سورة طه: 11-16.

(2) ينظر: المحرر الوجيز: 4/ 38.

معدن الوحي والرسالة، وقيل مباركة لكثرة الأشجار والأثمار، والخير والنعم بها[1]، وقد تأكد هذا الخبر بمؤكدات هي ((إنَّ، وضمير الشأن أنا، وربَّ المضاف إلى كاف الخطاب)) وكان القصد منها هو لدفع الشك عن موسى عليه السلام وتشجيعه لحمل الرسالة الإلهية[2].

أمّا أفعال الكلام الأخرى في هذا النص فهي (اخترتك، فاستمع) أوردها الباري عزوجل لتسكين روع موسى عليه السلام وتهدئته لما ألمَّ به من خوف ورعب لما حدث، وجاءت الأفعال مباشرة تتفق مع مقاصد المتكلم، إذ نفهم من سياق النص أنَّ الغرض منه هو الإستعداد النفسي لموسى عليه السلام في تلقي الوحي الإلهي، فالمحتوى القضوي تجلى في الدعوة إلى تطبيق الأمر الموجّه إليه، وهو التهيؤ والإستعداد لتلقي الوحي الذي سيأتيه، أمّا القوة الإنجازية للفعل جاءت مباشرة وهي الأمر (فاستمع)، فهو أمر حقيقي غرضه الإنجازي التفرّغ والإستعداد لتلقي الوحي من الباري عزوجل[3].

وبعد الإصطفاء والإختيار لنبوة موسى عليه السلام انتقل الخطاب إلى توحيد الخالق عبر العمل بالعبادات والفرائض، فيستمر السياق المحكي ببعض من أفعال القول غير المباشرة نحو (فاعبدني، أقم) فهذه الأفعال الأمرية حملت معنى التقرير لتوحيد الله

(1) ينظر: تفسير مجمع البيان للطبرسي: 7/ 433.
(2) ينظر: التحرير والتنوير: 16/ 196.
(3) ينظر: تداولية الأفعال الكلامية في سورة طه: 79.

عزوجل، أمّا الغرض الإنجازي لهذه الأفعال فهو تخصيص الله وحده بالعبادة دون غيره مع التسليم بالطاعة له وهو ((الأمر بالعبادة التي هي كمال العمل. وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي خصها بالذكر وأفردها بالأمر للعلة التي أناط بها إقامتها، وهو تذكر المعبود وشغل القلب واللسان بذكره))[1]، ثمَّ بعد ذلك ينتقل سياق الآية إلى إثبات الجزاء، وإنَّ الساعة قادمة لامحالة ولا يعلم وقتها إلّا الله، فجاء بهذا السياق مجموعة من أفعال الكلام (أكاد، ولتُجزي، وتسعى)، وجميعها جاءت مخبرة عن قيام الساعة، والفعل (أكاد) نُفي علمها إذ ((أربعة تأويلات: أحدها: أي لا أظهر عليها أحداً، قاله الحسن ، ويكون أكاد بمعنى أريد. الثاني: أكاد أخفيها من نفسي، قاله ابن عباس ومجاهد ، وهي كذلك في قراءة أُبَيّ (أَكَادُ أُخْفِيهَا مِنْ نَفْسِي) ويكون المقصود من ذلك تبعيد الوصول إلى علمها. وتقديره: إذا كنت أخفيها من نفسي فكيف أظهرها لك؟ الثالث: معناه أنَّ الساعة آتية أكاد، انقطع الكلام عند أكاد وبعده مضمر أكاد آتي بها تقريباً لورودها... الرابع: أن معنى – أخفيها: أظهرها))[2]، أمّا الفعل (تجزي) فجاء بوجهين الأول: أنه على وجه القسم من الله، والثاني: أنّه إخبار من الله، فالقوة الإنجازية هنا غير مباشرة جاءت للتذكير بقدوم الساعة حتمًا.

وفي نهاية النص المحكي من سورة طه جاءت مجموعة من أفعال الكلام المباشرة نحو (لا يصدنّك، ويؤمن، واتبع، و فتردى)

(1) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي: 4/ 24.

(2) النكت والعيون (تفسير الماوردي): 3/ 397-398.

وجاء في المحتوى القضوي لهذه الأفعال بيان سوء الجزاء لكلِّ من أعرض عن الإيمان بالساعة، ونهي نبي الله موسى ومن جاء بعده عن الكفر بها، فالقوة الإنجازية المباشرة تمثلت في النهي بالحرف (لا)؛ والغرض الإنجازي لهذا النهي جاء لدفع أي شيء يحول بينه -الله جل ثناؤه- وبين نبيه، وبين الإيمان بالساعة، وهو ((نهي عن ملابسة صدّ الكفار عن الإيمان بالساعة، والتذكير والتحذير والوعيد بسوء العاقبة والهلاك لكل من كفر بها))[1].

وبعد النظر في النص المحكي عن النبي موسى (عليه السلام) يمكن لنا إفادة الآتي:

1- إنَّ النص المحكي كشف لنا عن احترام قدسية المكان لاسيّما أماكن العبادة والعلم.
2- بيّن لنا النص المحكي مقاصد النصوص القرآنية وكيفية تعظيم شعائر الله والإقرار بوحدانيته، والتقرّب إليه بالصلاة والعبادة.
3- نلحظ أنَّ الإطار العام لهذه النصوص المحكية كان القصد منها تثبيت قلب بني الله موسى عليه السلام، ودفع الشك عنه، وكذلك بيان تحمل أعباء الرسالة وثقلها.

(1) تداولية الأفعال الكلامية في سورة طه: 81.

المطلب الثاني: التوجيهيات في النص المحكي

مرَّ بنا سابقًا في الأفعال الكلامية التوجيهيّة أو الطلبية أنَّ الغرض الإنجازي فيها قيام المتكلم بتوجيه المتلقي للقيام بعمل ما أو التأثير عليه للقيام به، فيكون الغرض في هذه الأفعال طلبيًا أمريًا، واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات، والمسؤول عن إحداث المطابقة هو المخاطب، وشرط الإخلاص فيها هو الرغبة الصادقة، فالتوجيهيات تخلق أسبابًا للمخاطب، كي يؤدي ما طلب منه، ومن الأقسام الداخلة ضمنه الأمر، والنصح، والتحفيز[1].

فبوساطة الأفعال الطلبية يحاول المخاطِب حمل المتلقي على إنجاز فعل مستقبلي أو الامتناع عنه، فمضمونه يتوقف على تلفظه، باستدعاء مطلوب بشكل صريح عن طريق صيغ مخصوصة متواضع عليها أو غير صريح يلحظ من السياق والقرائن المستوحاة من النص، ويندرج ضمن التوجيه أيضًا الأمر والنهي والإستفهام والرجاء والنصح والإستعطاف والإذن وغيرها[2].

ومن النصوص المحكيّة التي ورد فيها الأسلوب التوجيهي قوله تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَاۖ فَٱصْبِرْۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾[3].

(1) ينظر: استراتيجيات الخطاب: 158، وآفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: 49.

(2) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي: 82.

(3) سورة هود: 49.

فهذه الآية جاءت تتمة للآية السابقة من سورة هود **(وَأُوحِيَ إِلى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلاّ مَنْ قَدْ آمَنَ فَلا تَبْتَئِسْ بِما كانُوا يَفْعَلُونَ**(36)).

افتتح النص المحكي بلفظ (تلك) ففيها قولان: أحدهما: قصة نوح عليه السلام، والآخر: آيات القرآن، أي تلك من أخبار ما غاب عنك وعن قومك، وهناك فرق بين اسم الإشارة تلك وذلك، فغالبًا ما تستعمل (تلك) إشارة إلى النصوص القرآنية، ويستعمل (ذلك) إشارة إلى الخبر والحديث، وجملة (تِلْكَ مِنْ أَنْباءِ الْغَيْبِ نُوحِيها إِلَيْكَ) فجاء اسم الإشارة (تِلْكَ) مبتدأ، والخبر الأول (مِنْ أَنْباءِ الْغَيْبِ) وكلمة (نُوحِيها) جاءت خبر ثانٍ، أو في موضع نصب على الحال، أي تلك كائنة من أنباء الغيب نوحيها إليك[1].

فالفعل الكلامي المتضمن في الآية جاء للحث على الصبر وتحمّل الأذى والإستهزاء، وتمثل الفعل القولي (اصبر) بالنطق الصوتي وتركيب الفعل ووزنه (أفعل)، أمّا الفعل القضوي فيضم المرجع والخبر، وتمثل المرجع بشخص النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) والذي اتبعوه، أمّا الخبر فهو توجيه الله سبحانه وتعالى بالإلتزام وبالصبر والثبات والتحمل، وهنا نجد أنّ الإحالة قد تحققت من المتكلم إلى المخاطَب مع إسناد المطابقة إليه، فمثل المرجع والخبر قضية الطلب من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وأصحابه التزام الصبر، وتمثل الفعل الإنجازي في التوجيه والنصح والوعظ والحث على إلتزام الصبر لاسيّما في استعمال صيغة الأمر

(1) ينظر: زاد المسير: 2/ 379.

(أفعل- اصبر)، فهنا نجد بأنَّ المتكلم قد امتلك السلطة التي جعلت المتلقي يمتثل إلى توجيهه ويلتزم به.

أمّا إذا انتقلنا إلى الفعل التأثيري فنراه قد جاء لتسلية النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) والذين معه بأنَّ عاقبة الصبر محمودة، وقد أكد الفعل بمؤكد (إنَّ) الغرض منه الطمأنينة والتشجيع والحث على تحمل الصبر[1]، فالغرض من ذكر القصة ((هو معرفة وجه الشبه بين قوم نوح وقوم محمد عليهما السلام، وهو أنَّ قوم نوح كذبوه؛ لأنه هددهم بنزول العذاب، فاستعجلوه، ثم ظهر في نهاية الأمر، وكذلك قوم محمد صلى الله عليه وسلم استعجلوا نزول العذاب مثل قوم نوح. فوجه الشبه في سورة يونس هو استعجال العذاب))[2] وهذا من أبرز الأغراض في ذكر هذه القصة.

ومن النصوص المحكية بغير فعل القول التي حملت افعالًا كلامية توجيهيّة قوله تعالى: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ٤٩ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ﴾[3].

فأسلوب الاستفهام هنا أطلق حقيقة وأريد به تحسيرهم وتنديمهم على موقفهم وتوقيفهم على غلطهم لوجود علاقة لزوم، والنص المحكي في هذه الآية نداء وجّه من أصحاب الجنة إلى أصحاب

(1) ينظر: تفسير الطبري: 12/ 441.
(2) التفسير المنير: 12/ 85.
(3) سورة الأعراف: 49-50.

النار، وقد عبر به بفعل كلامي حمل قوة إنجازية جاءت ((كناية عن بلوغه إلى أسماع أصحاب النار من مسافة سحيقة البعد))[1]، وجملة الاستفهام، و(أهؤلاء) فحرف الإستفهام عندما اتحدَ مع اسم الإشارة أفاد التوبيخ والتقريع، ثم إن جواب الإستفهام تحقق بالفعل (نعم)، وقد يحتمل ذلك الجواب، تحقيق ما أريد بالسؤال من المعاني حقيقة أو مجازا[2].

وجاء في السياق تنكير لفظ (رَحْمَةٍ) مطابقاً لسياق الحال، وهي جاءت بلسان الطاعنين بالرسالة وكلمة (رحمة) في هذا المقام لا يعرفون حقيقتها لانهم لا يؤمنون بوقوعها، ويستعمل التعريف والتنكير بعناية؛ فكلمة (رحمةٍ) ونعلم أنّ التنوين قد عدّ علامة دالة على اسمية الكلمة[3]، بل علماً دالاً على تنكيرها في الأصل المجرَّد[4]، وهنا أفادت إطلاق الحكم أي تنفي جنس الرحمة –أية رحمة– لذا وردت نكرة، في حين كلمة (الجنَّة) جاءت معرفة.

ثم تصدرت الآية بفعل أمر توجيهي (اُدْخُلُوا) من الله عزوجل أو من الملائكة لأصحاب الأعراف الذين يقفون على السور (ادخلوا الجنة) لا خوف عليكم الآن ولا في المستقبل، وقد ورد هذا الأمر لتبيان أنّ الجزاء على قدر العمل، وكذلك لترغيبهم في التسابق لفعل

(1) التحرير والتنوير: 8/ 136.
(2) ينظر: التحرير والتنوير: 137، وتفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 3/ 515.
(3) ينظر: أسرار العربية للأنباري: 34.
(4) ينظر: سر صناعة الإعراب، 494/2.

الخير؛ لأنَّ الجزاء على قدر الأعمال[1]، والجدير بالذكر هاهنا أنّ النص المحكي ((يأتي للعبرة بين المواقعات والأحداث، ولا يأتي لمجرد المتعة من الاستماع والقراءة))[2] ولا يخفى ما أضفاه النص المحكي على جوّ الآية من حركيّة، وحياة تجعل الأحداث تتحرك وكأنَّها تحدث في الحاضر، وأمام القارئ مما يضمن التأثر والانفعال من جهته، ويجعل الخطاب أشدّ وقعاً في نفسه.

وقد ورد فعل آخر في النص المحكي حمل معنى القول ففي قوله تعالى ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ۝٦٠**﴾[3]، فقد استعمل المتكلّم مجموعة من الأفعال التوجيهيّة منها (يزعمون، أنزل، يتحاكموا، أُمروا، يكفروا، يُضلهم)، والأول هو الفعل الرئيس والمقصود الأول بالتوجيه، ولو أكتفى به لأغنى عن الآخرين؛ لأنَّ المنافقين زعمهم باطل، فالفعل (زَعَم) حمل معنى القول في النص المحكي، وكذلك يستعمل الفعل استعمال القول فتكون الجملة بعده محكية، وورد في القرآن الكريم بصيغة الماضي والمضارع (زَعَم/ يَزعم) وفي خمسة مواضع، ((وَقَالَ اللَّيْثُ: سَمِعْتُ أَهل الْعَرَبِيَّةِ يَقُولُونَ إِذا قِيلَ ذَكَرَ فُلَانٌ كَذَا وَكَذَا فَإِنَّمَا يُقَالُ ذَلِكَ لأَمر يُسْتَيْقَنُ أَنه حَقٌّ، وإِذا شُكَّ فِيهِ فَلَمْ يُدْرَ لَعَلَّهُ كَذِبٌ أَو بَاطِلٌ قِيلَ زَعَمَ فُلَانٌ))[4]، ويقول الراغب الأصفهاني في

(1) ينظر: الكشاف: 2/ 107.

(2) من أساليب التعبير القرآني: 209.

(3) سورة النساء: 60.

(4) لسان العرب: مادة زَعَم 12/ 264.

مفرداته الزَّعم ((حكاية قول يكون مظنّة للكذب، ولهذا جاء في القرآن في كلّ موضع ذمّ القائلون به،...، أو من الزَّعْمِ في القولِ))[1].

افتتح النص المحكي بالإستفهام الإنكاري الذي حمل معنى التعجب (ألَمْ) ثم اتبعها بفعل قلبي (تَرَ) ويستعمل غالبًا في القرآن الكريم للرؤية القلبية لا البصريّة، ثم جاء النص بالفعل المباشر (يَزْعُمُونَ) الذي حمل معنى القول الكاذب، وقيل لكل شيء كنية، وكنية الكذب زعموا[2]، والزعم ((القول المشكوك في صدقه، وقد يستعمل بمعنى الكذب، قال ابن عباس: كل موضع في كتاب الله تعالى ورد فيه زعم فهو كذب))[3]، ثم اتبع الفعل حرف توكيد (أنَّ) يؤكد زعمهم بالقول الباطل، لأنّهم لم يرضوا بحكم النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم؛ ((لأنهم لو ذهبوا وتحاكموا عنده لقضى لهم بالباطل؛ مما يؤدّي إلى انتشار الظلم والفساد))[4]، لقاء عدم قبولهم بحكم النبي صلى الله عليه وآله.

(1) المفردات في غريب القرآن: 380.
(2) ينظر: الكشاف: 4/ 548.
(3) مفاتيح الغيب (تفسير الرّازي): 231/20.
(4) تفسير القرآن الثري الجامع: 5/ 37.

المطلب الثالث: التعبيريات في النص المحكي:

البوحيات لها معيار للانفعالات النفسية الشعورية التي يستطيع المتكلم بوساطتها أنْ يعبر عن كل حالة نفسية يشعر بها بنصٍ أو لفظٍ معين يدل عليها، أو هي ((الأفعال الكلامية التي يعبر فيها المتكلم عن مشاعره وانفعالاته في حالات الرضا والغضب والفرح والحزن والنجاح والفشل وغيرها. ولا يشترط فيها أن تقتصر على ما هو خاص بالمتكلم من الأحداث، بل تتعداها إلى ما يحدث للمشاركين في الفعل، وتنعكس آثارها النفسية والشعورية على المتكلم))[1].

وليس لهذا الصنف اتجاه مطابقة، أي يكون فارغًا، فالمتكلم بأداء الفعل التعبيري، لا يحاول أن يؤثر في العالم؛ ليماثل الكلمات، ولا الكلمات لتماثل العالم، فكل ما مطلوب هو تحقق شرط الإخلاص في التعبير عن القضيّة، ويدخل ضمن هذا الصنف أفعال الترحيب، والتعزية، والتهنئة، والشكر والإمتنان، والإعتذار.

ورد النص المحكي من غير فعل القول في قوله تعالى ﴿**شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ**

(1) آفاق جديدة في الحديث اللغوي المعاصر: 104.

مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ١٣ ﴾[1]، نلحظ أنَّ في هذا النص المحكي فعل كلام تعبيري منَّ الله تعالى به على عباده المسلمين ورسولهم الكريم محمد (صلى الله عليه وآله) بنعمة الإسلام، وانتقل من ((انْتِقَالٌ مِنْ الِامْتِنَانِ بِالنِّعَمِ الْجُثْمَانِيَّةِ إِلَى الِامْتِنَانِ بِالنِّعْمَةِ الرُّوحِيَّةِ بِطَرِيقِ الْإِقْبَالِ عَلَى خطاب الرّسول صلى الله عليه وسلم وَالْمُؤْمِنِينَ لِلتَّنْوِيهِ بِدِينِ الْإِسْلَامِ وَلِلتَّعْرِيضِ بِالْكُفَّارِ الَّذِينَ أَعْرَضُوا عَنْهُ))[2]، إذ شرَّع لهم من الدين ما يتوافق مع الأديان السماوية السابقة، فالدين عند الله واحد سواء أرسل به نوح عليه السلام، أم النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله)، فدعوة الأنبياء جميعها متفقة في أصول العقائد ومطلق العبادات، وبدليل لام الاختصاص في (لكم) أي لكم خاصة، ولفظ (الدين) في النص هو الإسلام وهو الطاعة والإنقياد للشريعة، أمّا قوله تعالى (وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ) فنلاحظ دقة الاستعمال القرآني لـ(ما، الذي) فالأولى تستعمل للشيء غير المحدد والأكثر شمولاً كالتوراة التي حرفت أو ما وصى به نوحاً وهو غير معروف، أمّا الثانية تستعمل للشيء المحدد المعروف؛ أي: القرآن وتختصّ المفرد المذكر[3].

والفعل التأثري في هذا النص هو توجيه أنظار المتلقين إلى هذه السورة من أجل استجلاء كافة معانيها والإفادة منها، فنرى أنَّ الله عزوجل ذكر الكثير من نعمه على العباد حتى يخلق في نفوسهم مشاعر الامتنان التي من شأنها أنْ تُؤلف بها قلوبهم، وتجذبهم إلى توحيده وطاعته وعبادته، والاعتراف بفضله عليهم، فحين يستشعرها مؤمنهم يقوم بما يجب عليه تجاه المنعم بها.

---

(1) سورة الشورى: 13.

(2) التحرير والتنوير: 25/ 49.

(3) ينظر: الكشاف: 4/ 215، وتفسير القرآن الثري الجامع: 25/ 21.

ومن النصوص المحكية من غير فعل القول كذلك قوله عزوجل: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٧ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ۝٨﴾[1].

وهذا النص من الأساليب التعبيريّة المتعلق بالحالة النفسيّة التي وردت في الآية وبدا واضحًا في سياقاتها الملائمة، متماشيًا مع بقية البنى الأسلوبية، والتركيبية في البنية الكليّة للآية وللسورة بعامة، ويوظف لخدمة أغراضها التعبيرية، والوعظية، والإرشادية بصورة عامة.

نلحظ هنا تضافر أسلوب النهي (لَا تَخَافِي)، (وَلَا تَحْزَنِيٓ) مع أسلوب الأمر: (أَرْضِعِيهِ)، (فَأَلْقِيهِ) لتشكيل سلسلة خطوات توجيهية، تساعد أم موسى عليه السلام في اتخاذ القرار، وتحديد ماهية التصرف الصحيح في الموقف، ليتماشى مع المخطط الإلهي في رد موسى (عليه السلام) إلى أمه، وجعله نبياً مرسلاً (إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ)، فكلمة (الخوف) من الأفعال التعبيرية المتعلقة بالحالة النفسية، ويرى ابن عاشور ((الظَّاهِرُ أَنَّ هَذَا الْوَحْيَ إِلَيْهَا كَانَ عِنْدَ وِلَادَتِهِ وَأَنَّهَا أُمِرَتْ بِأَنْ تُلْقِيَهُ فِي اليم عِنْد مَا ترى دَلَائِل المخافة من جواسيس فِرْعَوْن وَذَلِكَ ليَكُون إلقاؤه فِي الْيَمِّ عِنْدَ الضَّرُورَةِ دَفْعًا لِلضُّرِّ الْمُحَقَّقِ بِالضُّرِّ الْمَشْكُوكِ فِيهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي يَقِينِهَا بِأَنَّهُ لَا بَأْسَ عَلَيْهِ ...، وَالْخَوْفُ: تَوَقُّعُ أَمْرٍ مَكْرُوهٍ، وَالْحُزْنُ:

(1) سورة القصص: 7-8.

حَالَـةٌ نَفْسِـيَّةٌ تَنْشَـأُ مِـنْ حَـادِثٍ مَكْـرُوهٍ لِلـنَّفْسِ كَفَـوَاتِ أَمْـرٍ مَحْبُـوبٍ، أَوْ فَقْـدِ حَبِيـبٍ، أَوْ بُعْـدِهِ، أَوْ نَحْـوِ ذَلِـكَ. وَالْمَعْنَـى: لَا تَخَـافِي عَلَيْـهِ الْهَـلَاكَ مِنَ الْإِلْقَاءِ فِي الْيَمِّ، وَلَا تَحْزَنِي عَلَى فِرَاقِهِ))[1].

وفـي قولـه (وَلَا تَخَـافِي وَلَا تَحْزَنِـي) قـد عبَّـر بمشـاعر الخـوف؛ فالفعـل الكلامـي التلفظـي جـاء بصـيغة النهـي عـن الخـوف وعـن الحـزن نهـى عـن سـببيهما وهمـا توقـع المكـروه، والتفكـر فـي وحشـة الفـراق، والسـياق يقتضـي عـدم الغـرق والهـلاك. وأضـاف أيضًـا التعبيـر بالفعـل الكلامـي (لا تحزنـي) بـالفراق؛ لأن وعـد الله متحقـق، فالفعـل المنجـز المتمثل في جملة (أَلْقِيهِ فِي اليَم) الذي ينتج عنه الهلاك.

وإنّ الاسـتراتيجيات التعبيريـة كثيـراً مـا تتمثّـل فـي آليـات صـريحة تسـهم فـي توجيـه المرسِـل للمرسَـل إليـه، مثـل أسـاليب الأمـر، والنهـي الصـريحين[2]. كمـا فـي الآيـات الكريمـات السـابقة، وكمـا فـي قولـه تعالى﴿**وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَۚ وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا**﴾[3]؛ إذ ينهى الله تعالى المؤمنين عن تمني نصيب الآخرين، وقسمتهم من أرزاقهم (وَلَا تَتَمَنَّوْاْ) لما يجرّ ذلك إلى النفوس من حسد، وكراهية، وضغينة تؤثر سلباً على تماسك جسد المؤمنين الواحد، ولأنّ تمني ما لدى الآخرين

(1) التحرير والتنوير: 20/ 75.

(2) ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: 34.

(3) سورة النساء الآية: 32.

سمة متأصلة في النفس الإنسانية جاء الخطاب شاملاً للرجال (لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْ) وللنساء (وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ) على حدّ سواء.

ونلحظ كذلك أنّ النص المحكي التعبيري، والإرشادي، والوعظي في الآيات الكريمات دائماً ما كان يصبّ في مصلحة الإنسان، وخيره الذي لا يستطيع أحياناً رؤيته لقصور نظرته، ومحدوديته، لذا كثيراً ما يوضح الخطاب القرآني تلك الفائدة أو النتيجة المنوطة باتباع تلك التوجيهات، وانصياع المرسَل إليه وهو الإنسان لطلب المرسِل وهو هنا خالق الكون، مع ضآلة المرسَل إليه وعظمة المرسِل، وما يعكس ذلك من رحمة الله تعالى ورأفته، من جهة، وقيمة الإنسان لديه حتى يرتضي مخاطبته وتوجيهه.

المطلب الرابع: الوعديات في النص المحكي:

يحيل هذا الصنف من الأفعال إلى معنى التزام المتكلم بإنجاز فعل معين للمخاطَب في المستقبل، ويكون اتجاه المطابقة من العالم الخارجي إلى الكلمات، وقد سمّاها جورج بول ((الملزمات وهي تعبر عما ينويه المتكلم من وعود وتهديدات وتعهدات))[1].

ورد النص المحكي بغير فعل القول قوله تعالى ﴿**نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٣ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ**

(1) التداولية، جورج يول: 90.

﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾[1].

ففي النص المحكي أفعالٌ كلامية تضمنت وعد وتعهد من المخاطِب للمخاطَب مرتبط بعامل القصد وتتحدد بمراعاة مقام الحديث، إذ يمكن أن يكون الوعد إعلانًا عن رغبة في عمل ما، وفعل الوعد سبقته نية أو قصد المتكلم في تحديد ذلك، وإذا سرنا مع النص نجده يتضمن جملة من الوعود، إذ ورد في نص الآية (وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِي ٱلْأَرْضِ) فالتعبير بالمضارع حكاية عن حالة مضت، فهذا وعد للمستقبل وضمان لحياة كريمة فيها القوة بعد الضعف والإستبعاد، أي: ننعم على الذين استضعفوا، وقد حكى النص بـ(جعل)، ولم يحكى بـ(خلق)؛ لأنَّ ((الخلق فيه معنى التقدير، والجعل فيه معنى التضمين، ولذا عبر سبحانه في كثير من الآيات عن إحداث الظلمات، والنور بالجعل))[2].

وفي قوله تعالى عطف الخاص على العام (وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً) ففيها مكانة مرموقة وقيادة متميزة وقدوة حسنة، أمّا في قوله تعالى (وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ) ففيه وعد بالنتيجة الحتمية التي سيصولون إليها في المستقبل أي تمكينهم، وإنَّ البقاء للأصلح في هذه الحياة عبر استعمال الفعل التلفظي (نجعل) الذي يفيد الإنجاز[3].

---

(1) سورة القصص: 3-5.

(2) تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 7/ 8.

(3) ينظر: التحرير والتنوير: 20/ 71.

ومن النصوص المحكية التي حوت أفعالًا تضمنت معنى القول (حَدَّثَ، وأوحى) في قوله تعالى ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾[1]

افتتحت الآية المباركة بأداة ظرفية شرطية غير جازمة تلاها فعل كلامي مبني للمجهول (زُلْزِلَتِ)، و((بُنِي فِعْلُ زُلْزِلَتِ بِصِيغَةِ النَّائِبِ عَنِ الْفَاعِلِ لِأَنَّهُ مَعْلُومٌ فَاعِلُهُ وَهُوَ اللَّهُ تَعَالَى، وَانْتَصَبَ زِلْزَالَهَا عَلَى الْمَفْعُولِ الْمُطْلَقِ الْمُؤَكِّدِ لِفِعْلِهِ إِشَارَةً إِلَى هَوْلِ ذَلِكَ الزَّلْزَالِ، فَالْمَعْنَى: إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالًا، وَأُضِيفَ زِلْزَالَهَا إِلَى ضَمِيرِ الْأَرْضِ لِإِفَادَةِ تَمَكُّنِهِ مِنْهَا))[2]، وقد أفاد هذا التهويل وتعظيم الأمر المراد عرضه، فالزلزلة هي الحركة الشديدة يوم القيامة، أمّا(أثقالها) فهي الكنوز التي تخرجها الأرض من ذهب وفضة، وقيل أمواتها[3].

فالفعل الكلامي (تُحَدِّثُ) الذي حمل معنى القول يخبر عن تنزيل المستقبل الواجب الوقوع، وهذا الفعل الكلامي يصوّر كيفية تحدّث الأرض أو الأخبار عما فعله الإنسان عليها من أعمال سيئة[4]، ثم تلاها فعل كلامي آخر حمل معنى القول (أَوْحَى لَهَا)، جاء لغرض التوكيد و((تحدّث أخبارها بوحي الله تبارك وتعالى،

(1) سورة الزلزلة: 1-8.

(2) التحرير والتنوير: 30/ 491.

(3) ينظر: الكشاف: 4/ 738، وروح المعاني: 9/ 107.

(4) ينظر: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: 2/ 172.

وإذنه لها))[1]، وكذلك بأنَّ الله تعالى هو من أوحى للأرض بالتكلم بالخطاب الإنساني للإخبار عن عمله.

ثمَّ ينتقل النص القرآني ليخبرنا عن اليوم الذي يصدر الناس فرقًا (يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتاتاً لِيُرَوْا أعْمالَهُمْ)، ليبصروا جزاء أعمالهم خيرًا كان أو شرًا فالرؤية بصيرية والكلام على حذف المضاف أو على أنَّه تجوز بالأعمال، عما يتسبب عنها من الجزاء وقدَّر بعضهم كتب أو صحائف، وقال آخر: لا حاجة إلى التأويل والأعمال تجسم نورانية وظلمانية بل يجوز رؤيتها مع عرضيتها وهو كما ترى[2].

ثم ننتقل إلى القوة الإنجازية فيورد النص المحكي مقابلة شيّقة بين الترغيب والترهيب بدأها بفعل كلامي دال على الشرط في قوله تعالى (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهِ)، وجوابه فعل كلامي يخبر على جزاء ذلك الخير، وجاء لغرض الترغيب في عمل الخير، ثمَّ ينتقل النص إلى الشق الآخر من المقابلة ابتدأه بفعل كلامي (وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهَ) وهو من الأفعال الكلامية الدالة على الشرط، لغرض الترهيب في عمل الشر، وجوابه فعل كلامي يخبر على جزاء ذلك العمل، وفي مجمل هذا النص القرآني إنذار بيوم القيامة وهول حسابه، والحث على الخير والتحذير من الشر بصورة عامة، أمّا من ناحية المقاصد القرآنية هي التذكير بأهوال يوم

(1) معاني القرآن للفراء: 3/ 283.

(2) ينظر: روح المعاني: 15/ 436.

القيامة والحث على الخير واجتناب الشر، وإنَّ ظاهر الكلام كل من عمل شيئا رآه من مؤمن وكافر، وأن الكافر يجازى على عمله الحسن في الدنيا من دفع المكروه، والكافر يجازى على حسن عمله في الدنيا، ولا يكون له في الآخرة خير، وأن المؤمن على الضد من ذلك[1].

وكذلك ورد في قوله تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَـٰكَ شَـٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ۝٤٦ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ۝٤٧﴾[2]، ورد في هذا النص المحكي أفعال كلامية حملت معنى القول كالفعل (بَشَر، وأنذر، و دَعا) الذي حملوا قوة إنجازية تمثلت بدعوة المؤمنين وتبشيرهم من قبل الرسول صلى الله عليه وآله بالجنة لقاء الإمتثال لأوامر الله عزوجل، وهذا ما حمله الفعل (بشر، ودعا) وهذه البشرى والدعوة تكون لهم بمنزلة السراج المنير للسماوات والأرض عن طريق القرآن الكريم[3] الذي كان غرضه ترغيبًا لهم، أمّا الفعل الكلامي (أنذر) فجاء لإنذارهم ودعوتهم لترك المعاصي التي تفضي بهم إلى النار، وكان غرض هذا النص الكلامي الترهيب والتخويف لأنَّ هذا الفعل أفاد اضطراب النفس مما ستلاقي لو استمرت بعصيانها ولم تؤمن بالرسول الأكرم، أمّ الفعلان السابقان قد أفادا التقرير للذين آمنوا بالرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وبكتاب الله العزيز، وذلك باستخدام الوعد الذي اعده الله من نعيم يعجز عنه تخيل البشر فضلًا عن وصفه.

(1) ينظر: اعراب القرآن للنحاس: 5/ 172، والتفسير الحديث: 6/ 119.

(2) سورة الأحزاب: 45- 47.

(3) ينظر: التبيان في تفسير القرآن، للطوسي: 349.

ويندرج تحت هذه الأفعال متوالية من الأفعال الصغرى وهي: الأمر، والبشارة، والتعظيم، والدعوة، والتقرير، وقد تنوعت صيغ المنطوق لكي تسهم في تعديل القوة الإنجازية، فتتابع هذه الأفعال في النص القرآني حملت المخاطب على تعظيم منزلة من يتبع أوامر الله ونواهيه، وقد عُلم أنَّ الأعمال الصالحة التي يراد بها وجه الله كلها له، وهو يُجزي من عمل بها.

المطلب الخامس: الإعلانيات في النص المحكي

الأفعال الإعلانية هي أفعال كلامية مباشرة، وهي نادرة الاستعمال في الكلام العادي، كونها تقتصر على أفعال تشريعية كالوصية والتوريث والاجازة ونحوها؛ لأنَّ الأفعال الكلامية إن استخدمت بهذا الصنف بصيغة غير مباشرة فهنا ستؤدي إلى اللبس وضياع الحقوق[1].

ومن النصوص المحكية لأفعال الكلام التي حملت معنى القول قوله تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾﴾[2].

(1) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: 83.

(2) سورة البقرة: 278-280.

افتتحت الآية بالنداء الذي تلاه تنبيه للمخاطبين بأهمية الخطاب الموجّه لهم، ثمَّ تلاها فعل كلامي تأثيري (أيها الذين آمنوا) تتمثل قوته الإنجازية في تنبيه المخاطبين وتهيئتهم للخطاب الذي سيردهم، ثم تبعها فعلان كلاميان طلبيان (ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ) غرضهما الإنجازي الإلتزام بأوامر الله واتباعها، وترك ما نهى عنه من ربا وغيره، ثم تضمن النص المحكي في الآية فعلًا كلاميًا إنجازيًا بصيغة الأمر حمل معنى القول (فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ) تمثلت قوته الإنجازية في إعلان المخاطِب الحرب على الذين لم يطيعوا امره بالإنتهاء عمّا نهاهم –المرابون– عن العمل به، ودليل ذلك أنَّ الله عزوجل قد جاء بلفظ (الحرب) نكرة بقصد تعظيم وتهويل أمرها، وإعلان الحرب يعني ((إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِالشَّرْطِ فَقَدِ انْتَقَضَ الصُّلْحُ بَيْنَنَا، فَاعْلَمُوا أَنَّ الْحَرْبَ عَادَتْ جَذَعَةً))[1].

وقد جاء اصدار الأمر بإعلان الحرب في هذا النص صادرًا من السلطة الإلهية في سياق آيات التشريع الأولى لتغيير حالة سيئة كانت قد تفشت آنذاك في تداول أخذ الربا بين الأشخاص والقبائل، وقد ورد في هذا النص إنذار للذين كانوا يتعاملون بالربا قبل نزول الآيات التي تنهى عن ذلك العمل، وكذلك هذا النص فيه تمثيل و ((تشنيع وإنذار للذين يأخذون ويأكلون الربا. فهؤلاء حينما يقومون من قبورهم ليوم القيامة يقومون يتخبطون كما يتخبط المصروع من مسّ الشيطان. وتعليل لهذا بأنهم استحلوا الربا وقالوا إنَّه كالبيع في

(1) التحرير والتنوير: 4/ 94.

حين أن الله أحلّ البيع وحرّم الربا))[1]، كما ذكر في كثير من النصوص القرآنية.

(1) التفسير الحديث: 6/ 491.

المبحث الرابع

التراكيب التي حملت معنى القول

توطئة

هناك بعض التراكيب التي حملت معنى القول في النّص المحكي في القرآن الكريم نذكر منها قوله: (أسرَّ النجوى)، فالنجوى من الفعل ((نجا نَجْواً ونجوى: سارّه. والنجوى والنجيُّ: السِّرُ. والنّجوُ: السَّرُ بين إثنين، يقال: نَجَوْتُه نَجْواً أي: سارررته، وكذلك ناجيته، والإسم النجوى))[1]، وفي هذا التركيب يمثل فاعل الفعل (أسَرَّ) القائل والمقول له كليهما، ((وأما قوله جل ثناؤه: " وأسَرّوا النجوى الذين ظلموا " فإنما يجيء على البدل، وكأنه قال: انطلقوا فقيل له: مَن؟ فقال: بنو فلان. فقوله جل وعز: " وأسَرّوا النجوى الذين ظلموا " على هذا فيما زعم يونس))[2]، ولم يأتِ هذا التركيب وتكون الجملة بعده محكية به إلّا في موضع واحد من القرآن الكريم سنذكره في مظانه من هذا البحث إن شاء الله.

والتركيب القرآني الآخر الذي حمل معنى القول (وأنطلق الملأ) فقد أُضمر القول بعد التركيب، ومعنى الفعل هنا تضمّن معنى القول. ويرى الآلوسي (1270هـ) بأنّ هذا التركيب متضمّن معنى القول لورود (أنْ) المفسرة بعده بقوله: ((فقيل في الكلام محذوف

(1) لسان العرب: مادة نجا 179/20.

(2) الكتاب: 2/ 41.

وقع حالاً من الملأ أي انطلق الملأ يتحاورون والتفسير لذلك المحذوف وهو متضمن معنى القول دون لفظه، ... وتضمن المفسر لمعنى القول أعم من كونه بطريق الدلالة وغيرها...، وقيل: الانطلاق هنا الاندفاع في القول فهو متضمن لمعنى القول بطريق الدلالة وإطلاق الانطلاق على ذلك الظاهر أنه مجاز مشهور نزل منزلة الحقيقة، وجوز أن يكون التجوّز في الإسناد وأصله انطلقت ألسنتهم والمعنى شرعوا في التكلم بهذا القول))[1].

وبإمعان النظر في النص القرآني نجد أنَّ الأفعال التي حملت معنى القول أو ما في معنى القول في النص المحكي القرآني قد وردت بمواضع عدّة من القرآن، وهي قد توزعت على أفعال قد حملت معنى القول كـ(زَعَم، نادى، أوحى...إلخ)، وأفعال أخر جاءت بتراكيب أجريت مجرى القول وذلك من مثل: (أسَرَّ النجوى، أخذ الميثاق، تمت كلمة ربك...إلخ).

ففي هذا المبحث وقفنا على تراكيب قرآنية تضمنت معنى القول، وهذه التراكيب لم يفرد لها سابقًا موضوع خاص، ولكن وردت ضمنًا مبثوثة في التفاسير القرآنية وبعض كتب معاني القرآن، وهي تراكيب تتألفت من كلمتين أو أكثر، وردت في الكتاب العزيز لتعطي معنى القول وجاءت الجملة بعدها محكية بها.

(1) روح المعاني: 23/ 166.

المطلب الأول: التراكيب التي تألفت من كلمتين:

وورد تركيب قرآني حمل معنى القول بكلمتين قوله تعالى: ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ﴾[1]، إذ جاء لفظ الفعل الكلامي (انطلق الملأ) في كتب اللغة والتفسير معنيين لهذا التركيب الأول: أنَّ في الكلام محذوفًا وقع حالًا من الملأ بمعنى انطلق الملأ يتحاورون، وتفسير ذلك المحذوف متضمن في معنى القول دون لفظه[2]، والثاني: أن يكون (انطلقوا) بمعنى (تكلموا) كما يقال: انطلق زيد في الحديث، كأن خروجه عن السكوت إلى الكلام هو الإنطلاق[3]، فنلحظ الفعل الكلامي الذي ابتدأت به الآية المباركة (انطلق) ليس المراد به الانطلاق أي المشي، وإنما المقصود انطلاق الألسنة بهذا الكلام؛ كما أن المراد بالمشي الاستمرار على الشيء، وليس المشي المعروف لدى البشر[4]، وهنا جاء النص المحكي بقوة إنجازية تضمنت معنى الأمر في الفعل (امشوا) لدعوتهم إلى عدم التسليم للدعوة الإسلامية التي جاء بها الرسول الأكريم صلى الله عليه وآله.

وكذلك ورد تركيب آخر حمل معنى القول (أخذ الميثاق)، وكثيراً ما يفيد القسم ومعه يمثل القائل فاعل الفعل (أخذ)، أما المقول له فيمثله المضاف إلى (ميثاق)، وجاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانٗا وَذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنكُمۡ وَأَنتُم مُّعۡرِضُونَ ٨٣﴾[5]، ابتدأت هذه الآية بعطف ثم

(1) سورة ص: 6.
(2) ينظر: الكشاف: 4/ 73، وروح المعاني: 12/ 160.
(3) ينظر: الكتاب: 3/ 162، وإعراب القرآن المنسوب للزجّاج: 3/ 796.
(4) ينظر: ضياء السالك إلى أوضح المسالك: 4/ 8.
(5) سورة البقرة: 83.

تلاها اسم ظرفي في محل نصب مفعول به لفعل محذوف تقديره (اذكروا) فيكون خطابًا لليهود المعاصرين للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله، ثم جاء الفعل الكلامي (أخذنا ميثاق) فالميثاق هو العهد الموثق المؤكد بأدلة أو شهود، أو بإيمان أو قسَم مأخوذ عليهم بالتوراة، أو هو الميثاق الذي أخذه على بني إسرائيل وجاء على ألسنة أنبيائهم ورسلهم[1]، وهو بمعنى الإستحلاف[2].

ففي الآية المباركة وردت ثلاث جمل تنوعت بين الخبرية والإنشائية، فجاءت الأولى (لا تعبدون إلّا الله) جملة خبرية لفظًا إنشائية معنىً لأنها بمعنى النهي أي (لا تعبدوا إلّا الله) فضلًا عن ورود لفظ تعبدون بتاء الخطاب على الحكاية أي قلنا لهم: قولوا بالله لاتعبدون إلّا الله[3]، والجملتان الثانية والثالثة وردتا إنشائيتين لفظًا ومعنىً فجاءت الثانية على حذف فعل الأمر وتقديرها (وأحسنوا بالوالدين إحسانا)، والجملة الثالثة جاءت انشائية تامة (وقولوا للناس حُسنا)، وهذا التنوّع بموضع الجمل الثلاث اسماه البلاغيون بالتوسط بين الكمالين.

ففي هذ النص القرآني قوة إنجازية توجيهيّة تمثلت بأخذ الله عزوجل ميثاق بني إسرائيل على الوفاء له بأن لا يعبدوا إلّا هو، وأن يعاملوا الآباء والأمهات بالحسنى، ويصلوا الأرحام، ويعطفوا على الأيتام، ويؤدوا حقوق أهل المسكنة إليهم، وأن يأمروا عباد الله

(1) ينظر: الكشاف: 1/ 159، والتحرير والتنوير: 1/ 582.

(2) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الاعاريب: 528.

(3) ينظر: شرح كتاب سيبويه [من باب الندبة الى باب الافعال]: 1071.

بما أمرهم الله به، ويحثوا على طاعته، ويقيموا الصلاة بحدودها وفرائضها، ويؤدوا زكاة أموالهم.

وورد تركيب آخر حمل معنى القول (أسرَّ النجوى)، ولم يأتِ هذا التركيب ويكون النص بعده محكيًا به إلّا في موضع واحد في قوله تعالى ﴿**لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ**﴾[1]، افتتحت الآية بقوله تعالى (لاهية قلوبهم) أي: أنَّ قلوب أهل مكة لاهية عن ذكر الله متشاغلة عن التأمل والتفهم، و (اسروا النجوى) أي أخفوا تناجيهم فيما بينهم، أو أسرّوا التناجي والكلام خفاءً، وكان خلاصة اجتماعهم وتناجيهم لتكذيب الرسول صلى الله عليه وآله،وقد وصفهم الله عزوجل في الآية نفسها باللذين ظلموا الذين اعرضوا عن الرسالة التي جاءتهم، أمّا الحديث الذي أسرّوه بينهم هو إنكار نبوة الرسول محمد صلى الله عليه وآله بقولهم في سورة المؤمنون الآية: (24) ((ما هذا إلّا بشرٌ مثلكم))[2].

ثم تلاه فعل كلامي ورد بتركيب حمل معنى القول (أسرّوا النجوى)، ومعناه قريب من لفظ (يتخافت)، والنجوى ((هي اسم من التناجي لا تكون إلا خفية، فما معنى (أسرُّوا)؟ قلت: معناه: وبالغوا في إخفائها، أو جعلوها بحيث لا يفطن أحد لتناجيهم ولا يعلم أنهم متناجون))[3]، و((نَجَاهُ نَجْواً ونَجْوَى: سارَّه. والنَّجْوَى والنَّجِيُّ: السِّرُّ. والنَّجْوُ: السِّرُّ بَيْنَ اثْنَيْنِ، يُقَالُ: نَجَوْتُه نَجْواً أَي سارَرْته، وَكَذَلِكَ

(1) سورة الأنبياء: 3.

(2) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: 7/ 229.

(3) الكشاف: 3/ 201.

ناجَيْتُــه، وَالِاسْــمُ النَّجْــوى))[3]، وفــي هــذا التركيــب يمثــل فاعــل الفعــل (أسَــرَّ) القائــل والمقــول لــه كليهمــا، و (أَسَــرُّوا): الــواو حــرف اســتئناف (أســروا) فعــل مــاضٍ، و(النَّجْــوَى): مفعــول بــه منصــوب، والَّــذِينَ : اســم موصــول مبنــي علــى الفــتح فــي محــل رفــع بــدل مــن واو الجماعــة فــي أسروا[1].

أمّــا جملــة (هــل هــذا إلاّ بشــر) فــوردت ((فــي محــلّ نصــب مقــول القــول لقــول مقــدّر، وجملــة القــول المقــدّرة اســتئناف بيــانيّ وكأنّــه قيــل: فمــا قــالوا فــي نجــواهم فــالجواب: قــالوا هــل هــذا .. ويجــوز أن تكــون الجملــة بــدلا مــن النجــوى فــي محــلّ نصــب .. أو لا محــلّ لهــا تفســير للنجــوى))[2]، وقــد قــدَّم لفــظ (النجــوى) علــى (الــذين ظلمــوا) بــدلًا مــن القــول: ((وأســروا الّــذين ظلمــوا النّجــوى للاهتمــام والتّوكيــد، ومــا فحــوى النّجــوى: هــي قــولهم هــل هــذا إلا بشــر مــثلكم أفتــأتون السّــحر وأنــتم تبصــرون، وهــذا يســمَّى التّبيــين أو الإيضــاح بعــد الإبهــام))[3]، وقيــل علــى حــذف القــول: أي يقــول الــذين ظلمــوا[4]، وهــذا مــا ذهــب إليــه محمد أبــو موســى بقولــه: ((قــدَّم هاهنــا أنهــم أســروا النجــوى فكأنــه أراد أن يقــول : ان ربى يعلم ما أسروه، فوضع القول موضع ذلك للمبالغة))[5].

---

(3) لسان العرب: مادة نجا 15/ 308

(1) ينظر: اعراب القرآن، الشيخ محمد جعفر الكرباسي: 5/ 164.

(2) ينظر: الجدول في اعراب القرآن: 9/ 4.

(3) تفسير القرآن الثري الجامع: 17/ 3.

(4) ينظر: بحوث ومقالات في اللغة: 68.

(5) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري و أثرها في الدراسات البلاغية: 269.

والانتقال ((من حكاية قولهم السابق إلى حكاية قول آخر مضطرب باطل أي لم يقتصروا على القول في حقه صلى الله عليه [وآله] ... وهذا الاضطراب شأن المبطل المحجوج فإنه لا يزال يتردد بين باطل وأبطل ويتذبذب بين فاسد وأفسد فبل الأولى كما نرى من كلامه عز وجل وهي انتقالية والمنتقل منه ما تقدم باعتبار خصوصه والأخيرتان من كلامهم المحكي وهما ابطاليتان لترددهم وتحيرهم في تزويرهم وجملة المقول داخلة في النجوى))[1].

وقد ورد نص محكي آخر فيه تركيب حمل معنى القول (تصف ألسنتهم) في قوله تعالى ﴿**وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَۚ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰۚ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ**﴾[2]، ثمّة تدبر في الآية يقودنا إلى أنَّها تصف كذباً ما يقوله القائل دون قناعة تامة بصحته، فإمّا أنه يعلم أنَّه يكذب، أو أنَّه في شك من صحة ما يفتي به، وقوله تعالى: (وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰۚ) إنكار عليهم في دعواهم مع ذلك أنَّ لهم الحسنى في الدنيا، وإن كان ثم معاد ففيه أيضا لهم الحسنى، وإخبار عن قيل من قال منهم، بمعنى أنَّهم يقولون عن الملائكة إنَّهم بنات الله وأنَّهم إناث، وهم يكرهون أن يرزقوا بإناث، وكذلك يقولون (بألسنتهم) إنَّ لهم الحسنى في الآخرة، وهم في الحقيقة في شكٍ من كل ذلك وليسوا على يقين[1].

وقوله عزوجل (وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ) فلفظ (ألسنة) جمع لسان، واللسان يُذكّر ويؤنث، فمن ذكّر قال في جمعه ألسنة، ومن أنّث قال في جمعه ألسن، والقرآن أتى

(1) التحرير والتنوير: 9/ 10.

(2) سورة النحل: 62.

بالتذكير[2]، ويرى السيد الطباطبائي ((قوله وتصف ألسنتهم الكذب أي تخبر ألسنتهم الخبر الكاذب وهو ان لهم الحسنى أي العاقبة الحسنى من الحياة وهي أنْ يخلفهم البنون وقيل المراد بالحسنى الجنة على تقدير صحة البعث وصدق الأنبياء فيما يخبرون به))[3]، وتصف ألسنتهم هو من فصيح القول وبليغه، وجعل القول كأنَّه عين الكذب فإذا نطقت به ألسنتهم فقد صورت الكذب بصورته[4]، وفي هذا النص قوة إنجازية أفادت حكاية تنديدية لعقيدة المشركين باتخاذ الله أولادا من صنفٍ يكرهونه، وكذلك قول آخر يزعمون به أنَّ لهم الحسنى وهم كاذبون في زعمهم، فضلًا عن التقرير بأسلوب الجزم والإنذار بأنَّ لهم النار التي سوف يطرحون فيها ويُهملون.

(1) ينظر: البيان في غريب اعراب القرآن، للأنباري: 79/2.

(2) ينظر: لسان العرب: 13/ 386.

(3) تفسير الميزان: 12/ 282.

(4) ينظر: الكشاف: 2/ 641.

المطلب الثاني: التراكيب الثلاثية وما زاد عليها:

وهناك من التراكيب التي زادت على الكلمتين قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾[1]، ورد في النص المحكي تركيب حمل معنى القول في قوله تعالى (تمت كلمة ربك) أي بمعنى ((وصل وحيه ووعيده الذي لا خلاف فيه بتمامه إلى عباده. وقيل: تمت كلمة ربك صدقاً، بأنْ وقع مخبرها على ما أخبر به، عن الجبائي. وقيل: معناه وجب قول ربك))[2]، ويرى السيد الطباطبائي بأنَّها استعملت في النص القرآني في القول الحق الذي قاله الله عزوجل في القضاء أو الوعد[3]، وجملة مقول القول في (تمت كلمة ربك) أي قوله عزوجل للملائكة أفاد الوعد لهم بدلالة لام التوكيد في (لأملأنّ)[4]، وإذا جئنا إلى التركيب القولي نرى أنَّ مفردة (كلمة) تحمل معنيين، المعنى الأول: المعروف هو الحديث واللفظ الحامل للمعنى، ولكن المعنى المورى به هنا هو العقاب والوعد الرباني بالجزاء على الأعمال، والمعنى المخبوء كما نعلم أقوى وأكثر تأثيرا في المتلقي، لأنه لا يتصف بالمباشرة وكذلك لأنه حمل قوة انجازية أفادت الوعد، ونرى أن النص القرآني هنا يحاول اخفاء كل الأساليب المؤثرة في النفوس، فما يكتشفه الإنسان بنفسه عادة يميل إليه ويعتنقه بقوة أكبر، والنص القرآني يريد من المتلقين له أنْ يعتنقوه ويؤمنوا به.

---

(1) سورة هود: 118-120.

(2) تفسير مجمع البيان: 5/ 351.

(3) ينظر: تفسير الميزان: 2/ 398.

(4) ينظر: اعراب القرآن الكريم: 4/ 573.

وهـــذه الثنائيـــة لمعنـــى الكلمـــة أفـــادت أمـــرين الأول: هـــو اللفـــظ كمـــا ذكرنـــا، وهـــو معنـــى غيـــر مقصـــود، والثـــاني: الجـــزاء والعقـــاب والوعـــد الرباني وهو معنى بعيد، وهو المعنى المقصود في الآي.

ومثله قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۝٦﴾[1]، و قوله (كلمت ربك) و(هِيَ أَقْوَالُهُ الَّتِي أَوْحَى بِهَا إِلَى الرُّسُلِ بِوَعِيدِ الْمُكَذِّبِينَ، وعَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا يَتَعَلَّقُ بِ حَقَّتْ. وَقَوْلُهُ: أَنَّهُمْ أَصْحابُ النَّارِ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ بَدَلا من كَلِمَةُ رَبِّكَ بَدَلًا مُطَابِقًا فَيَكُونُ ضمير أَنَّهُمْ عَائِد إِلَى الَّذِينَ كَفَرُوا، أَيْ حَقَّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَكُونُوا أَصْحَابَ النَّارِ)[2]، وفي هذه النصوص وردت مجموعة من الأفعال الكلامية التي تضافرت بإجتماعها مع التركيب القرآني الذي حمل معنى القول، وكان لها قوة إنجازية تضمنت معنى الوعد الذي له أثر في الربط بين اللفظ والدلالة، زدْ عليه ((إنَّ الأثرَ النفسيَّ للصورةِ عند المتلقي يعدُّ أهمَّ شيءٍ فيها، إذ أنّها تقصدُ إثباتَ الخيالِ في النفسِ، والصورة الفنيّة هي العنصر الأساس في تكوين مفهوم واضح للأسلوب، لأنّها مجموعة العلاقات اللغويّة والبيانيّة والإيحائيّة القائمة بين اللفظ والمعنى))[3]، فكل هذه التراكيب تضافرت لتعطي هذه الدلالة للمعنى.

(1) سورة غافر: 6.

(2) التحرير والتنوير: 24/ 88.

(3) الصورة الفنية في المثل القرآنيّ: 37.

الفصل الثالث

التلويح الحواري الحِجاجي في النّص المحكي

- **المبحث الأول: الإطار النظري لمقاصد عنوان الفصل**

المطلب الأول: التلويح الحواري

المطلب الثاني: الحِجاج مفهومه ووسائله التداولية

- **المبحث الثاني: الحِجاج فعلًا كلاميًا**

المطلب الأول: مفهومه

المطلب الثاني: تطبيقاته

- **المبحث الثالث: الحِجاج فعلًا قصديًا**

المطلب الأول: مفهومه

المطلب الثاني: قوانين السلّم الحجاجي

المطلب الثالث: تطبيقاته

الفصل الثالث

التلويح الحواري الحِجاجي في النّص المحكي

توطئة:

فتحت الطريقة التلويحيّة وأبعادها التداولية للدراسات اللسانية الباب الواسع أمام محللي الخطاب، وقد مكّنت من فهم ما لم تستطع الدلالة التعبير عنه، فإذا تغيرت دلالة العبارة على وفق استعمالها، فإنَّ هذا التغيّر يفّسر عن طريق الدلالة الثانوية المتمثلة في الاستلزامات التخاطبيّة، أو الاستلزامات التواضعية المرتبطة بها[1]، لذا يسعى هذا الفصل إلى الكشف عن البعد الإقناعي للتلويح الحواري في النصِ المحكي للقرآن الكريم، وذلك بالاستعانة بما قدّمه بول غرايس من وسائل جديدة تساعد في الوصول إلى المعاني المضمرة في النص المحكي، إذ يعود الفضل في الدراسات اللغوية الحديثة إليه لكونه نحا بالدراسات التداولية منحى آخر متجاوزًا ما قدّمه أوستن وسيرل اللذان وقفا في دراستهما على دراسة الأفعال الكلامية المباشرة، ونشأة هذه الفكرة عند غرايس نتيجة لتفرقته بين المعنى الصريح للجملة، وبين ما تحمله من معنى متضمن فيها، وعبر أبحاث أوستن وسيرل جاءت جهود غرايس بفتحٍ جديد اعتنى فيه بكل أطراف العملية التواصلية، واضعًا قواعد للتواصل بين

(1) ينظر: تداوليات الخطاب السياسي: 80.

المتحاورين ومحاولاً وضع نحو تداولي يضمن تبادل المقاصد بين المتكلم والمخاطَب، واستمرار عملية التواصل بينهما، وعدم حدوث سوء فهم أثناء عملية التأويل متمثلة بقواعد المحادثة التي يخضع لها المتكلم في أثناء انتاج القول، وفي مقابل ذلك يأخذ بها المتلقي في عملية التأويل.

ومن هذا المنطلق ستتكفل هذه الدراسة التطبيقية بالوقوف على مفهوم التلويح الحواري، بوصفه آلية من آليات التحليل التداولي للنص المحكي القرآني المراد تحليله، فالنص القرآني جاء مالكًا لناصية اللغة ما منحه القدرة والمكنة عن القصد أكثر من القول، وهذا القصد في المعنى شحن الملفوظات القرآنية بطاقات حجاجيّة وتأثيرية مكنته من توجيه المتلقي إلى المقاصد الظاهرة والمضمرة، وبهذا يتوجب على المحلل للنصوص القرآنية إحاطته بجوانب العملية التلفظية حتى يستطيع الوصول إلى الاستدلالات الملائمة لذلك النص؛ لأنَّ النص القرآني -حتمًا- يستلزم ويتطلّب قدرًا كبيرًا، وحيّزًا واسعًا من الاستلزامات الحوارية وانماط الحِجاج وأنساقه.

المبحث الأول

الإطار النظري لمقاصد عنوان الفصل

المطلب الأول: التلويح[1] الحواري (Conversational Implicature)

التلـويح الحـواري هـو آليـة مـن آليـات الخطـاب، فهـو يقـدّم تفسـيرًا لقـدرة المـتكلم علـى أن يعـي أكثـر ممّـا يقـول، بمعنـى أكثـر ممّـا تؤديـه العبـارات المسـتعملة، فاسـتعمال جملـة (نـاولني الكتـاب مـن فضـلك) – علـى سـبيل المثـال– المنجـزة فـي مقـام محـدد يخـرج معناهـا مـن الطلـب (الأمر) إلى معنى الإلتماس وهو ما تفيده القرينة (من فضلك)[2].

والتلـويح الحـواري يعـدُّ مـن آليـات التداوليـة التـي اهـتم بهـا غـرايس حينمـا القـى محاضـراته فـي جامعـة هـارفرد عـام 1967م منطلقًـا مـن مسـألة ((إنَّ النـاس فـي حـواراتهم قـد يقولـون مـا يقصـدون، وقـد يقصـدون أكثـر ممـا يقولـون، وقـد يقصـدون عكـس مـا يقولـون... فـأراد ان يقـيم معبـرًا بـين مـا يحملـه القـول مـن صـريح ومـا يحملـه القـول

(1) التلويح هو المصطلح الذي استعمل ترجمته الباحث العراقي هشام عبد الله الخليفة لمصطلح (غرايس)implicature، الذي شاعت ترجمته خطأ بـ(الاستلزام) بحسب قوله؛ لأن (الاستلزام) implication مصطلح منطقي رياضي لا علاقة له بالمتكلم ولا بمقاصده، على العكس من (التلويح) الذي هو من فعل المتكلم، فالمتكلم هو الذي يلوّح، لذا فهو مصطلح (فعلياتي) و (تداولي) pragmatic أي قابل للإلغاء دون الوقوع في التناقض؛ لأنه من معاني المتكلم، بخلاف الاستلزام الذي لا يقبل الإلغاء.
ينظر: نظرية التلويح الحواري: 476-478.

(2) ينظر: الاستلزام الحواري في التداول اللساني: 19.

من معنى متضمن مما نشأ عنه فكرة الاستلزام الحواري))[1]، وجاءت دراسته لنظرية التلويح الحواري ((لسد ثغرة في مجال علم الدلالة والفعليات، فقد زودتنا النظرية بتفسير واضح لمسألة عويصة شغلت اللغويين ألا وهي كيف يتسنى لنا أن نعني أكثر مما نقول فعلًا))[2].

ويظهر أنَّ المعاني ليست دائمًا صريحة بل هنالك حالات سياقية، تستدعي عدم التصريح والكلام المباشر، فاحيانًا يُذكر المعنى مباشرةً، وأحايين أخرى لا يذكر صراحةً، وإنّما يفهم من دلالة ضمنية كالتلميح أو التعريض أو الكناية...الخ.

وهناك سؤال شغل غرايس مفاده: كيف يقول المتكلم شيئًا ويعني شيئًا آخر؟ فكانت نتيجة البحث عن هذا السؤال أن وضع مفهوم مبدأ التعاون بين المتكلم والمخاطب، وهو مبدأ حواري عام يقول: ((ليكن إسهامك في الحوار بالقدر الذي يتطلبه الحوار بما يتوافق مع الغرض المتعارف عليه أو الاتجاه الذي يجري فيه ذلك الحوار))[3].

فالمتحدّث يريد الإبلاغ والإعلام عن مقاصد كلامه، وهذا يتطلب وجود قواعد خطابيّة تتحكّم في فهم وتأويل مقاصد كلامه و

(1) الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة (دراسة دلالية ومعجم سياقي): 9.
(2) التداولية علم استعمال اللغة: 316.
(3) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: 81.

((إنّ القول ليس هو دائمًا القول تصريحيًا، فالنشاط الخطابي يتشابك باستمرار بين المقول وغير المقول، وليس اقل فوائد التداولية إعطاء الجملة التضمنية أحقية كاملة، ابتداءً من المقولة التقليدية عن الحذف في التراكيب، هذه الفائدة من جهة أخرى طبيعية بالنسبة لمتضمنات القول إذا رأينا أنَّ التداولية تضع ثقلها في الاستراتيجيات غير المباشرة للملتفظ وفي عمل تأويل الملفوظات عن التلفظ المشارك))[1].

ونظرية التلويح الحواري عند غرايس تنصّ على أن التواصل الكلامي محكوم بمبدأ عام أطلق عليه (مبدأ التعاون Co-Operative Princiole) بين المتكلم والمخاطب وصيغته: ((أجعل إسهامك الحواري، حين تُدلي به مناسبًا للاتجاه والغاية المتوخاة من المحاورة التي تشارك فيها))[2]، وهذا المبدأ يشتملُ على أربع قواعد توجب تعاون المتكلم والمخاطب على تحقيق الهدف من الحوار، ويمكن أن تطبّق بنجاح على الأقوال كلها، وحتى المتخيلة منها[3]:

أمّا القواعد التي وضعها غرايس لهذه النظرية فهي:

(1) تداولية الخطاب السردي (دراسة تحليلية في وحي القلم للرافعي): 146.
(2) تداولية الخطاب الديني، في كتاب التوحيد للشيخ الصدوق: 71.
(3) ينظر: نظرية التلويح الحواري: 27-28.

أولًا: قاعدة الصلة أو المناسبة: ونصّها (ليكن كلامك مناسبًا أو ذو صلة بموضوع الحديث).

ثانيًا: قاعدة الكمية: وتقسم على قسمين:

أ- أجعل إسهامك في المحاورة مفيدًا بالمعلومات بالقدر المطلوب.

ب- لا تجعل إسهامك بالمعلومات أكثر مما هو مطلوب.

ثالثًا: قاعدة النوعية: وتقسم على قسمين:

أ- لا تقل ما تعتقد أنّه غير صادق.

ب - لا تقل ما ليس عندك دليل كافٍ على صدقه.

رابعًا: قاعدة الأسلوب: وتنص على الآتي:

أ- تجنب الغموض.

ب- تجنب اللّبس.

ت- تكلّم بإيجاز.

ث- ليكن كلامك مرتبًا بالتسلسل.

إنَّ هذه القواعد وإنْ لم يلتزم بها المتحاورون في خطابهم اليومي على المستوى السطحي الظاهر ولكن في ((أغلب الوقت،

يفترض المستمعون بأننا نلتزم بالقواعد على مستوى من المستويات، في الأقل، فقد نخالف أو نستغل القواعد عن قصد معتمدين على افتراض المستمع))[1]، ومن ثمَّ يعمل فكرهم للتوصل إلى مانقصده.

ثمّ قسّم غرايس التلويح الحواري على قسمين:

الأول: التلويح العام: وهو ما يحدث عند خرق المتكلم أحد مبادئ التعاون، ولا يتطلب سياقًا معينًا[2].

الثاني: التلويح الخاص: وهو ما يتولد على وفق سياقات خاصة محددة، لكي يتم التوصّل إليه لأنّه يتعلق بالمناسبة[3]، وإن أغلب حالات الاستخفاف المتعمد بالقواعد أو استغلالها هي من حالات الاستلزام الخاص، وعلى سبيل المثال لا حصر التهكم يتطلب سياقًا خاصًا ومعلومات تؤكّد المعنى المقصود بالكلام، لأنَّ الكلام لا يكون ذا صلة إلّا بالنسبة لموضوع أو قضية محدّدة ضمن سياق محدد[4].

وقد عرّف غرايس التلويح الحواري بأنّه: ((عمل المعنى أو لزوم شيء عن طريق قول شيء آخر، أو قل إنّه شيء يعنيه المتكلم ويوصي به ويقترحه، ولا يكون جزءًا مما تعنيه الجملة

(1) نظرية التلويح الحواري: 30.
(2) ينظر: البراغماتية اللغوية، ستيفن ك. ليفنسون: 187.
(3) ينظر: نظرية التلويح الحواري: 34.
(4) ينظر: المصدر نفسه: 34-35.

بصورة حرفية))[1]، وقد عرفته أرشيوني بأنّه ((عملية قد تطلق على كل قضية مضمرة نستطيع استخراجها من ملفوظ ما، واستنباطها من محتواه الحرفي ونحن ننسق الوضع المتغير))[2].

المطلب الثاني: الحِجاج مفهومه ووسائله التداولية

إنَّ دراسة الحِجاج في الخطاب تقع في صميم الدرس التداولي ((لأنَّ الحِجاج يخضع ظاهريًا وباطنيًا لقواعد وشروط القول والتلقي. ما يعني انتماء القول أو النص الحجاجي إلى مجال التداوليات، فإنَّ كل خطاب حجاجي تبرز فيه مكانة القصدية والتأثير والفعالية ومن ثمَّ قيمة ومكانة وأفعال الذوات المتخاطبة))[3]، ويرى الدكتور صابر الحباشة أنَّ اندراج الحِجاج في المباحث التداولية أمر قد جرى في عُرف الدارسين، ويُعدّ الحِجاج بابًا رئيسًا في المباحث التداولية، إذ كانت المقارنة والمقاربة ضربًا من التنبيه إلى نقاط التقاطع ونقاط التباعد بين الرؤية والتطبيق التراثيين، والرؤية والتطبيق الحديثين المنتسبين إلى التقاليد التداولية، ومن هنا حاز الحِجاج منزلة التداولية بوصفه أحد أهم أركانها إلى جانب نظرية الأعمال اللغوية[4].

(1) نظرية التلويح الحواري: 30.
(2) البراغماتية اللغوية: 187.
(3) الاستدلال والحجاج (عناصر استقصاء نظري): 101.
(4) ينظر: التداولية والحِجاج (مداخل ونصوص): 7.

أولًا: الحِجاج عند القدماء

طوّر علماء الإسلام بلاغة الحِجاج منطلقين من تضمّن الكتاب العزيز على جملة من البراهين والحجج التي عملوا على تتبعها وإحصائها، ومما جاء فيه من جدل وحوارات، ومن أسئلة وأجوبة مدارها الإقناع بحقيقة الرسالات السماوية وغاياتها[1].

ومصطلح الحِجاج عند القدامى يضرب بجذور عميقة، وإذا تتبعنا حدّه من ناحية الاصطلاح نراه لا يبتعد كثيرًا عن معناه اللغوي، مع وجود اختلاف في الجذر اللغوي (ح ج ج)؛ فهناك من يستعمل (الحِجاج) وآخر يستعمل (التحاجّ)، وآخر يفكّ الإدغام فيقول: (المحاججة) وغيرها من التصريفات الاشتقاقية[2].

وأغلب تعريفات الحِجاج تركّز على العلاقة التخاطبية بين طرفين، متكلم ومستمع بشأن قضية معينة، فالمتكلم يدعم أقواله بالحجج والبراهين لأجل إقناع المستمع، وللأخير الحق في الاعتراض على المخاطبة إذا هو لم يقتنع بأقواله، ويعرّفه طه عبد

(1) ينظر: المحاضرة والمناظرة في تأسيس البلاغة العامة مواجهة بين زمن الجرجاني وزمن القزويني: 21-22.

(2) ينظر: لسان العرب: مادة (حجج)، والحجاج مفهومه ومجالاته- دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة: 1/ 3.

الرحمن بقوله: ((كل منطوق به موجّه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها))[1].

أمّا في القرآن الكريم فقد ورد ذكر (الحجة، والتحاجج) عشرين مرة بمعانٍ مختلفة[2]، كقوله تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾[3]، وجاء بذكر لفظ (البرهان) ثماني مرات كقوله عزوجل ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾﴾[4].

وإذا تتبعنا الحِجاج نراه يدل بمفهومه الاصطلاحي في القرآن الكريم على الحوار والخطاب الذي يراد به إبانة الحقائق الإيمانية، وإبلاغها بالأساليب الإقناعية التي ترشد إلى الهداية باستمالة قلب المخاطب إلى الحق. وبرهنتها بالحجج العقلية، والأدلة الكونية المشاهدة، والأقيسة المنطقية، وإزالة الشكوك عنها، وتفند الشبهات المثارة حولها[5]. وقد شاعت بين الناس ألفاظ لها معانٍ متداخلة مع مصطلح الحِجاج وردت في القرآن الكريم بصيغ مختلفة لها علاقة

(1) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: 226.

(2) ينظر: في تأسيس الحِجاج لدى مفكري الإسلام – الرسالة الجوابية للحسن البصري على رسالة عبد الملك بن مروان نموذجًا: 82-83.

(3) سورة آل عمران: 66.

(4) سورة البقرة: 111.

(5) النص الحِجاجي العربي –دراسة في وسائل الإقناع: 42.

بالمفهوم، وهي: الخصام (المخاصمة)، والجدل (المجادلة)، والنزاع (المنازعة)، والمراء (المماراة)، والحوار (المحاورة).

وفي الدرس القديم إشارات واضحة إلى الحِجاج في مؤلفات القدماء وبتسميات مختلفة تبعًا لاختلاف توجهاتهم، ومنهم الجاحظ (255هـ)، إذ تناول كثيرًا مما يتعلق بالحِجاج في كتابه البيان والتبيين، ففي إيضاح مفهوم البلاغة قال: ((أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة. وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش، ساكن الجوارح، قليل اللحظ، متخير اللفظ، لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة ولا الملوك بكلام السوقة. ويكون في قواه فضل التصرف في كل طبقة))[1]، ففي هذا النّص يتضحُ أنَّ غاية الجاحظ هي الخطاب الإقناعي الشفوي، وهو إقناع تقدم فيه الغاية (الإقناع) على الوسيلة (اللغة)، إذ تحدد الأولى طبيعة الثانية وشكلها بحسب المقامات والأحوال، فالخطاب الإقناعي عنده لم يقتصر على جنس ادبي بعينه[2].

ومن الباحثين المحدثين من يرى أنّ القدماء وبعض المحدثين يعدّون الحِجاج مرادفًا للجدل واستعمالهم أحدهما معطوفًا على الآخر بوصفهما مترادفين من شأنه أن يضيّق من مجال الحِجاج؛ وذلك لأنَّ مجال الحِجاج أوسع من مجال الجدل؛ فكل جدل حجاج، وليس كل حِجاج جدل؛ فالحِجاج هو القاسم المشترك بين الخطابة

(1) البيان والتبيين: 1/ 95.

(2) ينظر: استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية): 448-449.

والجدل من حيث إن الخطابة والجدل قوتان لإنتاج الحجج[1]، وبحسب هذا القيد نصل إلى وجود حِجاجين: خطابي وجدلي، أمّا الحِجاج الجدلي فهو ما تحدّث عنه أرسطو في كتابه (الطّوبيقيا) وحدوده اقتصرت على مناقشة الآراء مناقشة نظرية محضة لغاية التأثير العقلي المجرد، وتمثله في التراث العربي الإسلامي مناظرات (علم الكلام) و(المناظرات الفقهية)، وعادة ما يكون هذا النوع من الحِجاج بين طرفين يحاول كل منهما إقناع الآخر بوجهة نظره[2].

أمّا الحِجاج الخطابي فهو من قبيل ما عرض له أرسطو في كتابه (الخطابة)، وهو حِجاج موجّه إلى جمهور ذي أوضاع خاصة في مقامات خاصة، وهو ليس لغاية التأثير النظري العقلي فحسب، وإنما يتعداه إلى التأثير العاطفي وإلى إثارة المشاعر والانفعالات، وإلى إرضاء الجمهور واستمالته ولو كان ذلك بمغالطته وإيهامه بصحة الواقع[3].

ثانيًا: الحِجاج عند المحدثين

يرى أغلب أعلام الحِجاج المحدثين أنَّ للمخاطبِ أثرًا في إنتاج الخطاب الحِجاجي، وتكون النظرة إلى المخاطب في الحِجاج نظرة

(1) ينظر: مفهوم الحجاج في القرآن الكريم، دراسة مصطلحية: 3/ 510- 511.

(2) ينظر: الحِجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية: 17-18.

(3) ينظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: 226، والحِجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية: 18.

مركبة ((فالمخاطَب هو الكائن الإنساني الواقعي الذي يتوجه إليهِ المتكلم بالخطاب في زمان ومكان محددينِ، والمخاطب هو هذا الكائن نفسه وقد انتقل إلى متخيَّل المتكلم ليكون من العناصر المؤسسة لخطابه؛ المخاطب الأول بعديٌّ، أي هو من يتوجه إليهِ المتكلم بعد إنتاج الخطاب، والثاني قبليٌّ، أي هو هذا المخاطب الذي يستحضرهُ المتكلم قبل إنتاج خطابه))[1].

ويعرّفه فان ايمرون وغروتندروست بأنّه عبارة عن فعل كلامي لغوي مركّب، ومعنى ذلك أنّ الحجة فعل تكلمي لغوي مؤلّف من أفعال تكلمية فرعية وموجّه، إمّا إلى اثبات أو إلى إبطال دعوة معيّنة[2].

ونهض الحِجاج في عصرنا الحاضر على يد (بيرلمان وتيتيكاه) ليجمعا شمل الحِجاج الذي توزّع على مباحث الفلسفة والجدل ونظرية الأدب، وليقدما نظرية (الحِجاج) على وفق المنهج الحديث بوصفه آلية للحوار الإقناعي؛ ليتحرر من هيمنة النظرة البرهانية والمنطق الصوري تارةً، والسفسطة والتلاعب بالجمهور تارةً أخرى، فتأثرت هذه الحركة بنهوض(علم الآراء) الذي رفض الاتجاه

(1) الحجاج، مفهومه ومجالاته: 1/ 236 .

(2) ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: 445.

(اليقيني) في الدراسات الإنسانية وبخاصة دراسة الخطاب؛ لأنَّه اتجاه يقصي دور المتكلم والمخاطب في توجيه دلالة الألفاظ[1].

والحِجاج فيه استحضارُ صورة الجمهور المتلقي وهُويته الثقافية يستدعي اختيار منطلقات حجاجية معينة دون غيرها من المنطلقات، واستعمال أنماط من الروابط الحجاجية، والموائمة بين دلالة الكلمة معجميًا مع ما يتطلبه النص.

فغاية النّص هي الإقناع وهو يقتضي أولًا الإفهام، ومن أجل ألّا يحصل سوء الفهم، لابد للمتكلم من أن يأخذ بالحسبان الكفايات اللغوية، والذهنية المخاطبية[2].

في حين عالج (بيرلمان) في الأطر والمحددات تعريف الحِجاج، ومنزلة الحِجاج بين الاستدلال والحمل على الإقناع، وعلاقة الحِجاج بالجدل والخطابة، وما انماز به الحِجاج من هذين الفنين من جهة نوع الجمهور، ونوع النص، إذ تحدَّث في أطر الحِجاج عن قسمين له بحسب الجمهور؛ فإذا كان الجمهور خاصًا فالحجاج إقناعيٌّ، وإذا كان عامًا فالحِجاج اقتناعيٌّ[1].

ومن أظهر قضايا الحِجاج التي طرحها (ديكرو، وانسكومبر) هي فكرتا (السلالم الحجاجية)، و(الأدوات الحجاجية)،

(1) ينظر: في البلاغة الجديدة: 2.

(2) ينظر: الحجاج مفهومه ومجالاته: 1/ 246.

وأهمية(السلالم الحجاجية) تكمن في كونها تعالج تراتب الحجج في النص والبدء من الأضعف فيها وصولا للأقوى[2]، وليس المقام مقام التوسع في مبادئ هذه القضايا الحِجاجية؛ لأن لها نصيبًا من التفصيل سيأتي قريبًا إنْ شاء الله.

إنَّ منطلقات الحِجاج تمثل مجموعة من الأفكار العامة التي تعدُّ الأرضية المشتركة بين فاعل الحِجاج (الخطيب) ومتلقيه، وتمثِّل(الضامن) الذي يربط النتيجة بالحجة، وقد عبَّر عنها(ديكرو) بالمبادئ الحجاجية، وتقابل مسلَّمات الاستنتاج المنطقي في المنطق الصوري أو الرياضي[3].

وتختص المبادئ أو المنطلقات الحجاجية بخصائص متعددة، هي[4]:

إنَّها مجموعة من المعتقدات والأفكار المشتركة بين الأفراد داخل مجموعة بشرية معينة.

العمومية: فهي تصلح لعدد كبير من السياقات المختلفة والمتنوعة.

---

(1) ينظر: الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل: 93.

(2) ينظر: التداولية والحجاج (مداخل ونصوص)، : 20-21.

(3) ينظر: التحاجج، طبيعته ومجالاته ووظائفه: 66 .

(4) ينظر: المصدر نفسه: 66.

التدرجيـــة: أي إنَّهـا تقـيم علاقـة بـين محمـولين تـدرجيين أو بـين سلمينِ حجاجيينِ (العمل- النجاح) مثلًا.

النســـبية: فـإلى جانـبِ السـياقات التـي يـتم فيهـا تشـغيل مبـدأ حِجـاجي مـا، هنـاك إمكـان إبطالـهِ ورفـض تطبيقـهِ بوصـفهِ غيـر وارد، وغيـر ملائـم للسـياق المقصـود، أو يـتم إبطالـه باعتمـاد مبـدأ حِجـاجي آخر مناقض له.

ومـن مفـاهيم الحِجـاج التـي تقـدّم الحـديث عنهـا مفهومـا (ديكـرو، وانسـكومبر)، ويهتمـا أساسـا بمـا يتضـمنه الـنص مـن وسـائل لغويـة كـالروابط والعوامـل الحِجاجيـة التـي تـدخل فـي حِجاجيـة الـنص، ويـرتبط هـذا المفهـوم بنظريـة الفعـل الكلامـي؛ فالحِجـاج بحسـب رأي (ديكـرو) إنجـاز لحـدثين أو فعلـين همـا فعـل التصـريح بالحجـة، وفعـل الاسـتنتاج، ومـن أهـم مـا طرحتـه هـذه النظريـة ونتيجـة لتأثرهـا بنظريـة أفعـال الكـلام هـو عـدُّها الوظيفـة الأساسـية للغـة هـي الحِجـاج بمـا هـو إنجـاز لحـدث الإقنـاع؛ ويـرتبط ذلـك بالهـدف مـن الحِجـاج وهـو توجيـه المتلقي للقبول بنمط معين من النتائج.

فالحِجـاج يتـداخل مـع مفـاهيم أخـرى كالـ(الجدل)، و(البرهـان) فـي دراسـات القـدماء، وهـو مـا يعنـي ضـياع جانـب كبيـر مـن مفهومـه فـي تلـك الدراسـات؛ إذ انحصـر الجـدل وبحسـب مفهومَيـه اللغـوي والاصـطلاحي بـالحوار المنطلـق مـن النـزاع والخصـومة، وبهـذه النظـرة

لعلم الجدل الذي يعد من أقسام علم الكلام انطلق الجاحظ بالتفريق بين الجدل والخصومة، فالحِجاج هو ((هو فن ترتيب الأفكار ترتيبًا دقيقًا بحيث يؤدي إلى الكشف عن حقيقة مجهولة أو إلى البرهنة على صحة حقيقة معلومة))[1]، وقريب من ذلك تداخلُ مفهوم (الحِجاج) مع مفهوم (البُرهان)؛ فقد تطابقا عند القدماء لغة واصطلاحا وهو ما رفضته الدراسات الحديثة؛ إذ ارتبط بحث الحِجاج بـ(الممكن) أمَّا البرهان فقد ارتبط بـ(الضروري)، والبحث في الحجاج (الممكن) يقتضي الإقناع بخلاف البحث في البرهان (الضروري) فإنَّه يقوم على الإكراه في قبول النتائج لأنَّها مبنية على اليقين، ومن أهم ما يميز النص الحجاجي عن البرهاني أنَّه يدرس نصًا متكاملا بخلاف البرهان الذي يدرس جملا يستقل بعضها عن بعض؛ فالحِجاج وتأسيسا على ذلك يختلف من الناحية الجوهرية عن الجدل والبرهان[2].

ويتخذ الحِجاج والإقناع كما يقول غيل دكلارك: ((من العلاقات الإنسانية والإجتماعية حقلًا له، يبرز كأداة لغويةٍ وفكريةٍ تسمح باتخاذ قرار في ميدانٍ يسوده النّزاع، وتطغى عليه المجادلة))[3]، وليس لهذه الأداة اللغوية آلية واحدة لتحقيق الحِجاج في العمل اللغوي والأدبي، بل يمكن الوصول إلى ذلك بطرائق عدّة

(1) أسس الفلسفة: 1/ 562.

(2) ينظر: الحِجاج في روايات اهل البيت عليهم السلام: 67-72.

(3) الحجاج في الشعر القديم من الجاهلية الى القرن الثالث الهجري: 24.

تتنوّع بتنوّع وسائل الحِجاج والإقناع، ولذلك فإنَّ ((التحليل الحجاجي لابدَّ أن يتنوّع في النصوص، وتحليل البنية يكاد أن يكون العنصر الوحيد الذي يمكن أن يختلفَ من نصٍّ إلى آخر اختلافً تامًا، مما يجعل من التحليل الحِجاجي أمرًا مشوّقًا))[1].

لذلك نرى أنَّ هذا التنوّع بعث التشويق بمختلف أنماط النص، وهذا التنوّع يهدف إلى الإقناع بالنص الذي يحمله، كما نجده في الشواهد القرآنية للنّص المحكي قد وظّف توظيفًا حِجاجيًا، ليحقق أوسع وأعمق الإستدلالات الدلالية، لتكون أقوى في البرهنة والحجة.

وعن دراسة النصوص القرآنية وتحليلها حِجاجيّا يقول عبد الله صولة: ((إنَّنا بدراسة اللغة القرآنية حجاجيًا نكون من ناحية أولى في صميم تداولية الخطاب أي في مجال بلاغة التأثير التي وقفوها (أي العرب) على دراسة الشعر و نكون من ناحية ثانية خارج مجال بلاغة النظم التي جعلوها لدراسة القرآن))[1].

والنصوص المحكية الحِجاجية في أغلبها جاءت ردًا على نصوص اعتمدت على مناهج وعقائد فاسدة، أو لإيضاح وإيصال فكرة يطلبها النص القرآني من باب الاستئناس بهذه الفكرة، أو لإلزام الحجة لفئة خاصة أو عامة؛ فهذه النصوص المحكية طرحت أمورًا

(1) الحجاج في المقام المدرسي، كورنيليا فون راد: 34.

مفصلية مهمة تمثل معظمها بالتوحيد، إذ قدّمت حُججًا بمستويات عدّة ردًا على اعتقاد المشركين والملحدين والمجادلين والمعاندين[2].

(1) الحجاج في القرآن من خلال أهم مظاهره الأسلوبية: 59.

(2) ينظر: الأبعاد التداولية في الخطاب القرآني – سورة البقرة انموذجًا–: 129.

المبحث الثاني

الحِجاج فعلًا كلاميًا

المطلب الأول: مفهومه:

للنص القرآني على النفوس سلطة وقدرة على توجيه المتلقي نحو الغاية التي يطلبها الله عزوجل في كلامه، فهو يحمل صفات النص الموجّه من المتكلم إلى متلقٍ مقصود؛ لأنَّ النص القرآني هو حدث يحمل قوة إنجازية معينة، ويفضي إلى إحداث أثر ما، فالتواصل الإنساني جملة قائم على الحِجاج إلى حدٍ أنّ المرء ليسلِّم بأنَّ لا تواصل من غير حِجاج، فالنص القرآني هو تعبيري تأثيري، وإنَّ مفهوم الحِجاج إن لم يكن يقوم عليه أساسًا فهو أداء كلامي يعتمد ضروبا من الصور الفنيّة الإقناعيّة لنقل صورة أو موقف من جهة، ويهدف إلى التأثير العاطفي من جهة أخرى[1].

فالحِجاج يُعدُّ فِعلًا كلاميًا؛ لأنّه يبحث عن أداء عمل الأفعال بالأقوال، وبه يمكن للمتكلم أن ينجز أفعالًا بوساطة اللغة، وهذه الأفعال لها قوة فاعلة في الواقع، ومؤثرة فيه، فالكلام يتضمّن متكلّمًا وملفوظًا ومتلقيًا، فالمتكلم لا ينجز أصواتًا فقط أثناء كلامه، بل ينجز بعض الأفعال التي تصدر عنها بعض الحُجج التي من شأنها التأثير في المتلقي وإقناعه[2].

(1) ينظر: مصطلح الحجاج بواعثه وتقنياته: 228.

(2) ينظر: الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي: 41.

والحِجاج اللغوي اللساني يعدّ من أهم النظريات التداولية، وفي مباحثه ركّز على دراسة الآليات والأساليب التي يستعملها المتكلم لإقناع المتلقي بالموضوع الذي يريد إصاله إليه، لغرض استمالة المتلقي واستهوائه والتأثير فيه، ويكون هذا التأثير عن طريق عرض الحجج والأدلة المقنعة والمتماسكة، ولهذا فهو لا يقتصر على متلقٍّ فردٍ، بل قد يكون مجموعةً أو شعبًا أو الإنسانية قاطبةً؛ لأنّه يطمح إلى إقناع أكبر عدد من المتلقين[1]، وهذا ما تعتمده النصوص المحكية في القرآن الكريم.

والأفعال الكلامية الحِجاجية لا يمكنها إنجاز غاياتها التي تريدها إلّا ببعض الأدوات والوسائل الواجب توافرها لإتمام العملية الحجاجية؛ لأنَّها تعدُّ المؤشر الأبرز على وجود الحِجاج في بنية اللغة[2]، ومن أدوات اللغة الحِجاجية الروابط، وهذه الروابط عبارة عن وحدات لغوية (مورفيمات) تربط بين قولين أو وحدتين دلاليتين أو أكثر في اطار إستراتيجية حِجاجية واحدة[3]، فالروابط التي جاء بها ديكرو وأنسكومبر كثيرة ومتعددة فهي تقوم بالربط بين الحجج وبالانتقال من إحداها إلى الأخرى في تسلسل معيّن باستعمال هذه الروابط؛ لهذا فإنَّ الحجة التداولية تضطلع بدور كبير في تثمين

(1) ينظر: الحجاج في الشعر العربي القديم: 35.
(2) ينظر: اللغة والحجاج: 55.
(3) ينظر: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب: 26.

قيمة العمل سواء في وضعها الحالي أو المستقبلي، ولا يقتصر دورها على ذلك بل يتجاوز إلى توجيه السلوك والفعل المستقبلي[1].

الروابط الحجاجية يمكن تصنيفها إلى فئات وأنماط هي[2]:

- **الروابط المدرجة للحجج:** كالـ(أما، لا، لولا، لام التعليل، أن، بل، مع ذلك...)، وهي الروابط التي تقوم على إدراج الحجج بعدها وتكون على قسمين، الأولى: روابط الحجج الضعيفة، والثانية: روابط الحجج القوية.
- **الروابط المدرجة للنتائج:** كالـ(لأن، إذا، لو، لولا، اللام، إذن، لهذا، من ثمَّ...)، وهي تقوم بإدراج النتائج المدعمة بالحجج بعدها.
- **روابط التعارض الحجاجي:** كالـ(بل، لكن، في المقابل، على العكس...)، وهي التي تقوم بدحض الحجج التي قبلها بالحجج التي ترد بعدها.
- **روابط التساوق الحجاجي:** كالـ(ثم، الواو، الفاء، ...).

ووجود هذه الروابط له بالغ الأثر في إنتاج العملية الحِجاجية، ومثال لتلك الروابط قولنا: (عليٌّ مجتهد إذن سينجح)، فإذا تمعنّا هذا المثال نجد أنَّ الحجة (عليٌّ مجتهد)، وقد حوى على نتيجة (سينجح)، أمّا الرابط الذي ربط الحجة بالنتيجة (إذن)[3].

(1) ينظر: استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية): 481.

(2) ينظر: اللغة والحجاج: 30.

(3) ينظر: الحجاج مفهومه ومجالاته: 435.

المطلب الثاني: تطبيقاته:

ومن النصوص المحكية التي حملت فعلًا كلاميًا حجاجيًا قوله تعالى: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾﴾[1].

ومن الأفعال الإخبارية الحِجاجية قول الهدهد لنبي الله سليمان عليه السلام ناقلًا له حال مملكة سبأ وملوّحًا في خطابه الإخباري إلى أمور عدّة، منها أنّه رأى قوم تحكمهم امرأة أوتيت من كل شيء من متاع الدنيا، ولها عرش عظيم مرصع بالجواهر والدر تجلس عليه، كما وجدها وقومها يسجدون للشمس في النهار والمساء[2]، وفي حديث الهدهد مع نبي الله سليمان عليه السلام تلويح حواري بأنَّ هؤلاء القوم ابتعدوا عن سبيل الحق والصواب لعبادتهم غير الله عزوجل، وفي حديثه أيضًا أنجز فعلًا اخباريًا؛ لأنّ المتلقي لم يكن لديه خبر معلوم عمّا رآه الهدهد، وهذا الإخبار دلّت عليه الدلالة الحرفية للملفوظ، فقصد المرسِل كان لأبلاغ المتلقي ما رآه بدلالة تكرار بعض الضمائر الإحالية الدالة على المتكلم كـ(التاء، والهاء) في (وجدت، وجدتها، تملكهم، قومها، لها).

(1) سورة النمل: 22-24.

(2) ينظر: تفسير مجمع البيان: 7/ 372.

والنص المحكي في هذه الآيات نراه قد حوى على حجج متساوقة خدمت نتيجة مضمرة مفادها وحدانية الله وعبوديته من خلال احتوائه على أفعال حِجاجية كان لها بالغ الأثر في تقوية النتيجة، فقوله تعالى(**إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةً تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ**) والنص حوى ثلاث حجج ربطت بينها الواو، وهذه الحجج جاءت على نسق متسلسل وصولًا إلى النتيجة المطلوبة:

الحجة الأولى: وجود امرأة تملكهم.

الحجة الثانية: أوتيت كل شيء.

الحجة الثالثة: لها عرش عظيم.

النتيجة المضمرة: سلطان ملكة سبأ وعظمة ملكها.

وكذلك قوله تعالى (**وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ**) قد تضمن ثلاث حجج ربطت بروابط التساوق الحجاجي (الواو، والفاء):

الحجة الأولى: سجودهم للشمس من دون الله.

الحجة الثانية: تزيين الشيطان أعمالهم.

الحجة الثالثة: صدهم عن سبيل الله.

النتيجة: فهم لا يهتدون.

وهنا نلاحظ أنَّ المتكلم استطاع إقناع المتلقي بتصديق الخبر الذي جاء به، ودلالة تصديق المتلقي بالخبر هو ردّ فعل نبي الله سليمان عليه السلام، وطلبه من الهدهد بقوله تعالى ﴿ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ﴾[1]، فهذا النص قد حوى أفعالًا كلامية توجيهية مباشرة منجزة (أذهب، ألقه، تولّ، أنظر) دلّت عليها الصيغة الأمرية للمتكلم لسلطته ومكانته[2].

ففي هذا النص تجسدت تقنية الحِجاج في محاججة الهدهد لنبي الله سليمان عليه السلام مستدلًا ومبرهنًا له سبب تأخره، بطريقة الاستدلال وإنَّه جاء بعلمٍ لم يكن المتلقي على درايةٍ به.

وجاء في قوله تعالى: ﴿إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ۝٥٢ قَالُواْ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ۝٥٣ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ۝٥٤ قَالُواْ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ۝٥٥ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ۝٥٦﴾[3]، فهذا النص أعلاه يتحدّث عن ضيف إبراهيم (الملائكة) الذين دخلوا عليه وسلّموا عليه، فرد عليهم (قالوا سلاما قال سلام)، فقالوا له جئناك ببشارة من الله (إبراهيم عليه السلام) بغلام عليم أي ذي علم كثير، وقد جاء النص القرآني بلفظ نكرة (غلام)، وأُريد بالنكرة تعظيم هذا الغلام إشارة إلى أنه يكون نبيًا[4]، فتعجب من إمكانية حصول ذلك بعد أن أصبح شيخًا كبيرًا، فأجابوه ونهوه عن استبعاد ذلك؛ لأنَّ في استبعاده يأسًا من رحمة الله ورضوانه، وفي نهيهم له تأدب

(1) سورة النمل من الآية: 27.

(2) ينظر: الأفعال الكلامية في القرآن الكريم سورة البقرة دراسة تداولية: 68.

(3) سورة الحجر: 52-56.

(4) ينظر: التفسير الكاشف، الشيخ محمد جواد مغنية: 4/ 481.

معه، إذ لم يفترضوا أنْ يكون قانطًا، لأنّه نبيٌ منزهٌ، ولكنه تعجبٌ من غير إنكار، ومن أدنى تنبيه استدرك فقال: ((ومن يقنط من رحمة ربه إلّا الضالون))[1]، فإنَّ تقدير المتكلم أو المُرسِل لردود أفعال المخاطَب أو المرسل إليه، يجعله يستنبط حججًا افتراضية بناءً على ذلك التقدير، ولأنَّ خطابه الحجاجي في هذا يكون دومًا في مواجهة خطاب ضدي آخر سواء كان طرحًا واقعًا وهو من ثمَّ مرفوضًا، أو مقدرًا يتوقعه المتكلم ويفترض وجوده في ذهن المتلقي، فإنّه يسهم في تحقيق النشاط التواصلي الذي قد ترفضه البنية اللغوية نفسها، أو السياق النصي، وقد يتعيّن بطريقة مباشرة عن طريق الروابط الحِجاجية[1]، فنلحظ من هذا النص أنّ نبي الله إبراهيم عليه السلام قد قصر القنوط من رحمة الله ورضوانه على الضالّين، وفي ذلك إشارة إلى تنزيه المؤمنين من القنوط عامةً وهو خاصةً، فقصر القنوط وحصره على الضالين أي نفيه عن غيرهم، وهنا نرى بأنّ القصر قد حدَّ من احتمالات توجيه الخطاب، وقوّى من وجهتها نحو نتيجة واحدة.

فالحجة الأولى: **(قَالُواْ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ)**

الحجة الثانية: **(قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ)**

النتيجة المتوخاة: إنّ المؤمن لا يقنط من رحمة الله.

وكذلك ورد في قوله تعالى: ﴿**قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ**

(1) ينظر: التحرير والتنوير: 8/ 70.

ٱللَّهَ بِدِينِكُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٦ يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٧﴾[2].

فالنص القرآني اعلاه يتحدّث عن إسلام الأعراب، فابتدأ الآية بفعل القول (قالت، وقل، وقولوا) وهل القول إلّا باللسان فكأنَّ القضية قول في قول، ويرى الطبري بأنَّ أولى الأقوال بالصواب أنَّ الله تقدم إلى هؤلاء الأعراب الذين دخلوا في الملة إقرارًا منهم بالقول، ولم يحققوا قولهم بعملهم أن يقولوا بالإطلاق آمنّا[3].

وفي قوله تعالى (قل لم تؤمنوا) تلويح حواري ((روعي في هذا النوع من التكذيب أدب حسن حين لم يصرّح بلفظه، فلم يقل: كذبتم، ووضع لَمْ تُؤْمِنُوا الذي هو نفى ما ادعوا إثباته موضعه، ثم نبه على ما فعل من وضعه موضع كذبتم في قوله في صفة المخلصين أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ تعريضا بأن هؤلاء هم الكاذبون))[4]، ففي هذا النص إشارة إلى مبدأ التأدب في الحوار والمحادثة.

وكذلك الآية تبيّن نفي الإيمان عن الذين ادّعو ذلك وغالطوا النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلّم ظنّاً منهم أنّه لنْ يعلم ذلك، فهم جاءوا مظهرين الإيمان وكانت قلوبهم غير مطمئنة لعقائد الإيمان، وقوى حجة هذا الآية ورود أداة النفي (لمّا) والتي تكون

(1) ينظر: البعد الحجاجي في الأعمدة الأدبية -مجلة دبي الثقافية نموذجًا-: 161-162.

(2) سورة الحجرات: 14-17.

(3) ينظر: تفسير الطبري: 22/ 316.

(4) الكشاف: 4/ 376.

دلالتها على إنَّ النفي بها متصل بزمن المتكلم، وهي تدل أيضا على استمرار النفي إلى زمن المتكلم[1]، وأفادت أداة النفي (لم) إثبات الكفر للأعراب وعدم الإيمان مطلقًا؛ لأنَّ الإيمان هو إيمان القلب لا اللسان، إذ نفى الإيمان و أفاد ضده، فهو رد فعل على إدعائهم الإيمان.

وعليه فإنَّ الغاية التي أراد النفي تحقيقها قد تحققت، فهو قد أوصل المتلقي إلى النتيجة التي يريدها وهي بيان إنَّ الإيمان لا يكون باللسان، فتطهير قلب الإنسان من الظن والشك ثم تصديق دعوى الرسول (صلى الله عليه وآله) ثم بعد ذلك الإيمان وهذا يعد الإيمان الحقيقي الذي يريده الله جل علاه.

فضلًا عن ورود رابط التعارض الحجاجي في النص المحكي (لكن) الذي قام بدحض الحجة الأولى للأعراب (الإيمان) بالحجة الثانية التي وردت بعدها (الإسلام).

وكذلك قوله تعالى **(إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ)** قد حوى حجتين وردتا متسلسلتين بحسب السياق، وقد ربط بينهما برابط التساوق الحجاجي (ثمَّ)، بعد ذلك تلاه رابط النتائج (أولئك) إذ قام بإدراج النتائج المدعمة بالحجج بعده، ممّا يقوي من أثر الخطاب في نفس متلقيه ويدفعه إلى الإقتناع والتسليم[2].

(1) ينظر: المصدر نفسه: 22/ 314، والكشاف: 4/ 376.

(2) ينظر: الكشاف: 4/ 376.

الحجة الأولى: المؤمنون الذين آمنوا بالله والرسول.

الحجة الثانية: ثم لم يرتابوا. وهي لتقوية الحجة الأولى، ودلت على رسوخ إيمانهم وعدم دخول قلوبهم الشك والريب.

الحجة الثالثة: الذين جاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله.

النتيجة: هم الصادقون الفائزون برضوان الله عزوجل.

وورد في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُواْ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُواْ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ۝١٣ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ۝١٤﴾[1].

ينقل النص المحكي حديث المنافقين مع المؤمنين يبيّنوا بأنَّهم كانوا في الدنيا مشاركين لهم أعمالهم، يأتي يوم الحساب لتجزي كل نفس بما عملت ظاهرًا، وما نوت وأضمرت باطنًا، وفي يوم الحساب يجعل الله للمؤمنين بين يديهم وجوانبهم نورًا يرشدهم إلى الجنة، أمّا المنافقون فيسيرون في الظلمات، ويطلبون من المؤمنين أنْ ينتظروهم ويأخذوا بأيديهم إلى الجنة (قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً) أي ((ارجعوا إلى صاحبكم الشيطان، واقتبسوا منه نورا، فهو وراءكم اليوم كما كان وراءكم بالأمس . . إنَّ هذا النور لمن عمل

(1) ينظر: سورة الحديد: 13-14.

في دنياه لآخرته ، أما من اشترى الحياة الدنيا بالآخرة فما هو بخارج من الظلمات إلا إلى ما هو أشد))[1].

ففي سؤالهم للمؤمنين تلويح حواري غير مباشر مفاده سؤالٌ تقريري (أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ) جاء كناية عن طلب اللحاق بهم في المسير، لأنهم كانوا معهم في الدنيا، فتجيء إجابة المؤمنين لهم تقريرًا أيضًا (بلى) لتهيئة متلقي هذه الإجابة أنّ لهم من النور والجزاء الحسن ما للمؤمنين؛ لأنهم كانوا معهم في أعمالهم في الدنيا، ففي هذه الإجابة حجة للمنافقين تفضي إلى جزائهم جزاء المؤمنين، ففي النص المحكي ورد رابط حجاجي (لكن) مستدركًا على ما قبله بحجج أقوى تقود إلى نتيجة مغايرة، وتوجه الخطاب بأكمله نحو الوجهة التي تريدها، إذ أُتبع الرابط بحجج أربعة تضافرت وترتبت بوساطة (الواو)، لتصل إلى النتيجة المطلوبة التي تمثلت بعدم استحقاق المنافقين للنور والجزاء الحسن يوم القيامة كما للمؤمنين يوم القيامة، وجاء ذلك بمجموعة من الحجج المتساوقة[2]:

الحجة الأولى: (**أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ**) ⟵ النتيجة: استحقاقهم الجنة.

إذ (ح1) = (بلى) كانوا مع المؤمنين في أعمالهم في الدنيا، وهي نتيجة إيجابية جاءت لخدمة الخطاب الأول للكافرين.

الحجة الثانية: (**فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ**)

(1) التفسير الكاشف: 7/ 246.

(2) ينظر: التحرير والتنوير: 27/ 386.

الحجة الثالثة: (وَتَرَبَّصْتُمْ)

الحجة الرابعة: (وَٱرْتَبْتُمْ)

الحجة الخامسة: (وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ)

النتيجة الثانية: (جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ)، ومفادها عدم استحقاقهم دخول الجنة مع المؤمنين. سنوضّح التوجيه الحجاجي في المخطط أدناه، وكيف ربطت (لكن) بين نوعين من الحجج، إذ يخدم إحداهما نتيجة ما، ويخدم النّوع الآخر النتيجة المضادة التي مفادها عدم دخول الكافرين الجنة.

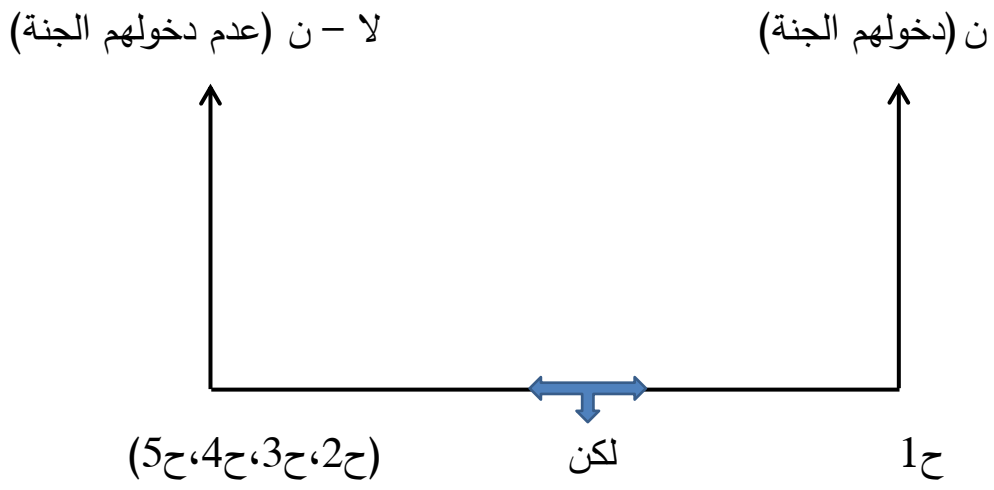

وقد تجلى البعد الحجاجي الكلامي بنحو واضح في بعض النصوص المحكية القرآنية، عبر مجادلة النبيين المشركين محاولين إقناعهم بدعوتهم، فيبدأ النبي بدعوتهم إلى الهداية، وتمر عبر عرض دعوى المخالفين المناقضة التي يتبناها المشركون، مستعملًا عرض دعواه بالحِجاج معهم بشكل حجج منطقية تتضافر معها

بعض الأفعال الكلامية كالأساليب الإنشائية كالنداء والاستفهام والأمر والنهي...، وينتهي النص المحكي القرآني بدحض حجج المشككين بوحدانية الله وقدرته، وفي النهاية يتخذ النص شكل فعل قوي يدعم الحجج اللغوية والمنطقية، يظهر الله فيه صدق نبيه إمّا بمعجزة من المعجزات أو بتدمير الكفار وعقابهم نتيجة لشركهم وتكذيبهم، ثمَّ بعد ذلك يحدث تحوّل مفاجئ لم يكن يتوقعه المتلقي (المعاند) فتكتمل النتيجة بعد أنْ مرّت بمراحل من السجال اللغوي[1].

ففي النص المحكي الوارد بقوله تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝١٥ إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى ۝١٦ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝١٧ فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ ۝١٩ فَأَرَىٰهُ ٱلۡأٓيَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ۝٢٠ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ۝٢١ ثُمَّ أَدۡبَرَ يَسۡعَىٰ ۝٢٢ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ۝٢٣ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٢٤ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ ۝٢٥ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰٓ ۝٢٦﴾[2].

ففي الآيات المباركة أعلاه حِجاج نبي الله موسى عليه السلام مع فرعون، إذ بدأت بالدعوى التي أمر الله بها نبيه موسى (ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ) وهي آية تستبطن دعوى فرعون أي (الشرك بالله والطغيان)، وتمر عبر البرهنة (فَأَرَىٰهُ ٱلۡأٓيَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰ)، ثم يتنقل فرعون إلى إظهار بعض الحجج التي تظهر قوته بالأفعال (كَذَّبَ وَعَصَىٰ ثُمَّ أَدۡبَرَ يَسۡعَىٰ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ)، ثم

(1) ينظر: بلاغة التصوير الفني في القرآن الكريم مقاربة معرفية تداولية: 237-238.

(2) سورة النازعات: 15-26.

يختتم النص المحكي بعقاب الله عزوجل لفرعون بقوله (فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰ)، وقد نقل هذا النص ليكون عبرة لغيره من المعاندين (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰٓ).

ففي هذا النص تحوّل كبير لفرعون من الجبروت وإدعاء الألوهية، إلى هلاكه نتيجة لسقوطه برفض دعوى نبي الله موسى عليه السلام، فنجد فيه –النص– تساوق الحجج وتتابعها بين موسى وفرعون، وقد تطابق ذلك التساوق مع الترتيب الذي أشار إليه أرسطو، فهناك استهلال تعرض فيه الدعوى والدعوى المخالفة، وهناك عرض للحجج والحجج المضادة، وهناك نتيجة تحسم الخلاف حجاجيًا[1]، وكأنّ نبي الله موسى في حجاجه مع فرعون وقومه يُجري خطابه على أربعة مراحل: إيجاد الحجج المناسبة وترتيبها وفق خطة معينة، وثمَّ صياغة الحجج وفق أسلوب معيّن، ثم إلقاؤها وعرضها أخيرًا[2].

ومن الروابط الحجاجية المهمة في هذا النص المحكي روابط التساوق الحجاجي (الفاء، ثم) الذي كان لهما الحضور الفاعل على جميع السياق، ووجود هذه الروابط له بالغ الأثر في إنتاج العملية الحِجاجية.

وقد ترتبت الحجج على النحو الآتي:

الحجة الأولى: ذهاب نبي الله موسى إلى فرعون.

(1) ينظر: الخطابة، أرسطو طاليس: 240–255.

(2) ينظر: بلاغة التصوير الفني في القرآن الكريم مقاربة معرفية تداولية: 241.

الحجة الثانية: دعوته إلى تزكية نفسه وتطهيرها.

الحجة الثالثة: كذب بدعوة موسى عليه السلام.

النتيجة: شرك فرعون وطغيانه وهلاكه.

وفق ما عرض من نصوص محكية نصل إلى نتيجة مفادها إنَّ الحِجاج قد حمل فعلًا كلاميًا إنجازيًا في أغلب النصوص القرآنية، فقد خرجت العديد من الأفعال الكلامية فيها عن قوتها الإنجازية المباشرة إلى معانٍ إنجازية غير مباشرة لتعبّر عن أغراض شتى وتخاطب متلقين مختلفين، ثمَّ برزت أهمية العوامل الحجاجية التي قامت على تجلية الخطاب ووضوح مقاصده، وتبيّن أثرها في إقناع المتلقي وتحقيق المقاصد التي أرادت النصوص المحكية إيصالها، فضلًا عن الأثر الواضح والمميّز للروابط التي ربطت بين الحجج والنتائج ممّا سهل على متلقي النص القرآني الاقتناع به، زدْ على ذلك فإنّها ساعدت في انسجام الخطاب وتكامله في توالد النّص، وهو ما امتازت بها الروابط الحجاجية.

المبحث الثالث

الحِجاج فِعلًا قصديًا

المطلب الأول: مفهومه:

اللغة التي نستعملها لابدّ لها أن ترتبط بقصد؛ لأنَّ غاية المتكلِّم في عملية التواصل اللساني هو إيصال قصده للمتلقي، وإنَّ فهم المتلقي للنص وتأويله أصبح هو أيضًا مرتبطًا بمعرفة مقاصد المتكلم، لذا وجب على المتكلم أن يجتهد في اختيار مفرداته اللغوية التي تعينه في تحقيق مراميه ومقاصده بوضوح.

لو تتبعنا الدراسات اللغوية التي اهتمت واشتغلت بمجال تحليل النصوص سواء كانت غربية أو عربية لوجدنا أنَّ مفهوم القصد قد شكّل محور أبحاثهم، فعلماء اللغة الغربيون قد أعلَوا من شأن القصد وعدّوه الغرض الأساس الذي يرجوه المتكلم من الخطاب والذي يروم إبلاغه للمتلقي، أمّا في الدراسات العربية فنرى اهتمام العلماء العرب بمفهوم القصد؛ لأنّه المحور الأساس لفهم النص القرآني وتأويله، وعليه لا يمكن أن يكون هناك نصّ من دونه، وكلُ له طريقه في فهم القصد وغرضه.

فالقصد هو الاستقامة والسهولة، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ**﴾[1]، ((أَي عَلَى اللَّهِ تَبْيِينُ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ والدعاءُ

(1) سورة النحل: 9.

إليه بالْحُجَجِ وَالْبَرَاهِينِ الْوَاضِحَةِ، ...وطريقٌ قَاصِدٌ: سَهْلٌ مُسْتَقِيمٌ. وسَفَرٌ قاصدٌ: سَهْلٌ قَرِيبٌ))[1].

فالقصد هو أصل النظرية التداولية الحِجاجية؛ لأنَّ التواصل اللغوي في عُرف العلماء لا يمكن أن يتم دون وجود تفاعل بين المتكلم والمتلقي، بوساطة إنتاج المتكلم اللفظ من قبل المتكلم وتأويل المتلقي له[2]، وقد بيّن علماء التداولية أنَّه يجب التراجع عن دراسة بنية اللغة إلى دراستها على أنّها أفعال قصدية؛ لأنَّ المتكلم يرمي إلى تحقيق ما يسعى من خلالها أي أنّه بكلامه يقصد شيئًا وعندما يعرف المتلقي هذا الشيء يكونان قد توصلا إلى اللغة؛ لأنَّ القيمة القصدية للغة تظهر في قصديتها، فالحِجاج أيضًا يُعدّ عملًا تواصليًا؛ لذا نحصل على ثلاثة نماذج تواصليّة للحُجَّة[3]، وهي:

1ــ الأُنموذج الوصلي للحُجّة: وهو الأُنموذج الذي تكون فيه الوظيفة التواصليّة للحُجَّة وظيفة ايصال، فتُعامل معاملة البناء الاستدلاليّ المستقل الذي تمتاز عناصره بوصلها وصلًا تامًا، فالحُجَّة تُجرد من الفعاليّة الخطابيّة نحو بنية دلاليّة مجردة ويقع تجريده من هذه الفعالية بطريقتين إحداهما: (محو الوظائف الخطابيّة) للمتكلم، وللمستمع، مثل: أسماء الإشارة، وأسماء الضمائر، وتُستبدل بهذه الأسماء السياقيّة، والمقاميّة أسماء، وأوصاف للمخاطِب، والمخاطَب تغني عن الحاجة إلى الرجوع إلى

(1) لسان العرب: مادة قصد : 3/ 353.

(2) ينظر: البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني: 17.

(3) ينظر: الظاهراتية وفلسفة اللغة تطور مباحث الدلالة في الفلسفة النمساوية: 22.

أي سياق، ومقام، والأخرى (اظهار المعاني المضمرة)؛ لوجود معارف مشتركة بين المستدلين بها.

2ـ الأُنموذج الايصالي للحُجّة[1]: وهو الأُنموذج الذي تكون فيه الوظيفة التواصليّة للحُجَّة وظيفة ايصال؛ لأنه يجعل من الحُجَّة فعلا استدلاليّا يتوجه به المخاطِب (المتكلم) إلى المخاطَب (السامع)، فهذا الأنموذج من الحُجّة يتعلق بـ: (المخاطِب)؛ وذلك لأنّها تُعدّ فعلا قصديّا متميزًا، ويظهر تميز قصديّة الحُجَّة الموجهة في أمرين:

الأول: عدم انفكاك القصديّة عن اللغة.

الثاني: تراتب القصديّة.

مستندا في ذلك إلى نظرية الأفعال اللغويّة، فتكون نتيجة لهذا الانشغال الواقف عند المخاطِب، جعل الحِجاج، بنية دلاليّة موجهة[2].

3ـ الأُنموذج الاتصالي للحُجّة: وهو الأُنموذج الذي تكون فيه الوظيفة التواصليّة للحُجَّة وظيفة اتصال؛ لأنّها فعلٌ مشتركٌ بين المخاطِب (المتكلم)، والمخاطَب (المستمع) جامعًا بين توجيه المخاطِب، وتقويم المخاطَب، فيركز في علاقة التفاعل الخطابي بين المخاطِب، والمخاطَب، مسوغًا أهمية التزاوج في القصد، والوظيفة (التكلّم، والاستماع)، والسياق ودور الممارسة

(1) ينظر: أهمية الحجاج اللغوي (بحث منشور): 3.
(2) ينظر: اللسان والميزان: 255-256.

الحية التي تورث الحُجّة بنية مجازية، وخلقية يتسع معها العمل، والعقل، مستندا في ذلك إلى نظرية الحوار مع تطويرها، وإنّ ثمرة الفعل المشترك في الفعاليّة الخطابيّة بين المخاطِب، والمخاطَب، هو: إحياء الحِجاج، وجعله بنيّة تداوليّة يجتمع فيها التوجيه المقترن بالافعال الكلاميّة، والتقويم المقترن بالاخلاق[1].

لذا تُعدّ السّلالِم الحِجاجية من الأفعال القصدية التي وصفت بها بعض أنظمة اللغة الدلالية والتداولية؛ لأنّها عولجت من خلالها[2]، ويعدُّ السُلّم الحِجاجي من أهم مرتكزات نظرية ديكرو وأنسكومبر، إذ تقوم على علاقة تراتبية، ويخضع لمجموعة من القوانين، ولقد ذكر ديكرو في كتابه (السلالم الحجاجية) الذي نشره عام 1980 بأنَّ هناك خصائص أساسية تتميز بها الحجج من البراهين، فالحجج نسبية ولا تقطع قطعًا نهائيًا في اثبات النتيجة التي تساندها مثلما هو الحال في الأدلة البرهانية مثلًا (حل المعادلة الرياضية)[3]، لذلك نجد في بعض الخطابات الحجاجية أكثر من حجة تسند النتيجة، كقولنا:

الحجة الأولى: الصدقة تدفع البلاء.

الحجة الثانية: الصدقة تطفئ غضب الرب.

الحجة الثالثة: الصدقة تطفأ غضب الرب.

---

(1) ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: 47.

(2) ينظر: العوامل الحجاجية في اللغة العربية: 122.

(3) ينظر: المظاهر اللغوية الحجاجية: 108- 109.

فكل الحجج التي ذكرت أعلاه يمكن إدراجها تحت فئة حجاجية واحدة؛ لأنها تقبل الحضور في ملفوظ واحد بوصفها حججًا تتجه لمساندة نتيجة واحدة، مثلما هو الحال في الملفوظ الآتي[1]:

(الصدقة مستحب مؤكَّد في الشريعة؛ لأنّها تدفع البلاء، وتجلب الرزق، وتطفأ غضب الرب).

ولاحظ ديكرو عند تحليله للملفوظات الحجاجية التي فيها حجج متعددة تنتمي لفئة حجاجية واحدة كما في مثال الصدقة أعلاه، بأنّ هذه الحجج مرتبة من الأضعف إلى الأقوى فالأقوى، فهناك تدرّج بين الأقوال والحجج في علاقتها بالنتائج باستلزام بعضها بعضًا[2].

لذا يعرَّف السّلّم الحِجاجي بأنَّه: (علاقة ترتيبية للحجج)[3]، ويمكن أن نرمز لهذه الحجج بـ (ب) و (ج) و (د)، فهذه حجج تخدم النتيجة (ن)، فالحجج تنتظم تحت السلَّم الحِجاجي الذي يشكل بدوره ما يسمى بفئة حجاجية، تتمتع بسمة توجيهية في المقام الأول؛ ذلك أنَّ السّلالم الحجاجية وثيقة الصلة بمفهوم الوجهة؛ إذ تنشأ علاقة ترتيبية محددة بين الحُجج التي تنضوي تحت فئة حِجاجية معينة، وبالتالي سيعود انتماء الحجج إلى السلّم الحِجاجي

(1) ينظر: الحجاج في روايات أهل البيت عليهم السلام: 346-347.

(2) ينظر: نظرية الحجاج في اللغة في الدراسات العربية المعاصرة (الاستيعاب والممارسة): 364.

(3) التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه: 59.

ذاته؛ وهذا يقودنا إلى القول بصحة الفكرة التي مفادها أنَّ السّلم الحِجاجي إنَّما هو في جوهره فئة حجاجية موجهة[1].

ويصف ديكرو بعد هذا التعريف علاقة الحجتين بالنتيجة، وذلك عبر اقراره بأنَّ (ح1) أقوى حجاجيًا في الوصول إلى النتيجة (ن) وأيسر إقناعًا بها من (ح) فكلاهما موصل إلى نتيجة لكن ليس الطاقة الحجاجية نفسها؛ لأنَّ الحجة الأولى في قاعدة السُلّم مساعدة للحجة الثانية بل أنّها أصل لها، ومنطلق للأخذ بها، ولتمثيل علاقة الحجج في السُلّم بالنتيجة ونجاح بعضها في سرعة الظفر بالنتيجة نضع الشكل الآتي[2]:

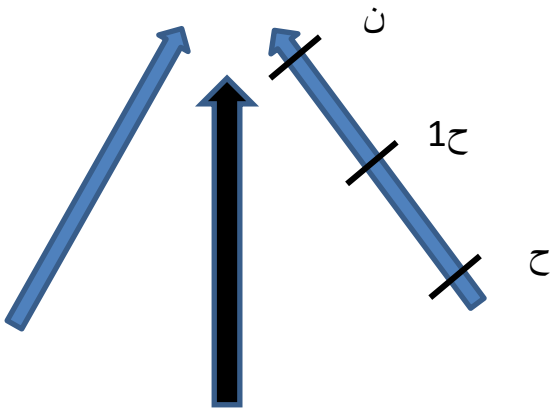

وكما يوضح المخطط أعلاه نلحظ أنّه كلما كانت الحجة أقرب إلى النتيجة كانت أكثر تأثيرًا في المتلقي، وكلّما كانت أقرب إلى القاعدة كانت أقل حجة وتأثيرًا في ذهن المتلقي.

إنَّ السلّم الحجاجي يجب أن يتسم بالشرطين الآتيين:

(1) ينظر: اللغة والحجاج: 21.

(2) ينظر: النظرية الحجاجية (من داخل الدراسات البلاغية واللسانية): 96-97.

1-كل قول يقع في درجة ما من السُلَّم، يكون القول الذي يعلوه أقوى منه بالنسبة إلى النتيجة.

2-إذا كان القول (ب) يؤدي إلى النتيجة (ن)، فهذا يستلزم أنَّ (ج) أو (د) الذي يعلوه درجة يؤدي إليها، والعكس غير صحيح[1]، فإذا أخذنا أقوال مثال الصدقة السابق فيكون ترتيبها:

النتيجة: الصدقة مستحب مؤكَّد في الشريعة.

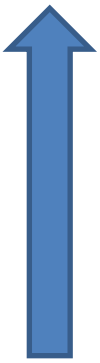

د = ق3 (الصدقة تدفع البلاء).

ج = ق2 (الصدقة تجلب الرزق).

ب = ق1 (الصدقة تطفئ غضب الرب).

فهذه الجمل تتضمن حُججًا تنتمي إلى الفئة الحِجاجية نفسها، وتنتمي كذلك إلى السُلّم الحِجاجي نفسه، فجميعها تؤدي إلى نتيجة مضمرة هي (الصدقة مستحب مؤكد في الشريعة) ولكن القول الأخير هو الذي سيرد في أعلى درجات السُلّم الحِجاجي، كون الصدقة تدفع البلاء هو بالنتيجة أقوى دليل على استحباب الصدقة[2].

والجدير بالذكر في هذا المقام أنَّ الحُجج ليست مطلقة بتعبير آخر لا تتساوى الحجج فيما بينها، بل تتدرج قوة وضعفاً[3]؛ لأنَّ

(1) ينظر: السلالم الحجاجية وقوانين الخطاب مقاربة تداولية: 2.

(2) ينظر: الحجاج في روايات أهل البيت عليهم السلام: 348.

(3) ينظر: بلاغة الإقناع في المناظرة: 102.

الحجج في السّلم الحِجاجي تنتظم في علاقة تراتبية، تتكئ هذه العلاقة بصورة رئيسة على القوة الحِجاجية لتلك الحُجج بحيث تفضي إلى نتيجة نهائية ما، أو ما يُعرف بالحجة القوية؛ فقوة الحجة في السّلم تزداد باقترابها من النتيجة؛ فكلما كانت أقرب إلى النتيجة كانت أقوى، وتتعمق بالضرورة فعاليتها التأثيرية، ووقعها في نفس المتلقي[1].

وإذا امعنا النظر في ظاهرة السلالم الحجاجية نراها لا ترتبط باللسانيات الحجاجية حصرًا، فقد تنوعت اختصاصات الدارسين الذين اشتغلوا بهذه المسألة، فمنهم اللساني والمنطقي والفلسفي والرياضي، وقد اتخذ تصور المراتب عند هؤلاء الباحثين أشكالًا ثلاثة[2]:

1- المراتب الموجّهة توجيهًا كميًّا: ونجد هذه المراتب في الألفاظ الدالة على معانٍ تقبل التدرج في اتجاه واحد، إمّا بمقتضى تزايدي أو تناقصي، ومثال ذلك أسماء معايير الوزن (مثقال، أوقية، رطل)، وأبرز من اشتغل في هذه المراتب اللسانيان هورن وفوكوبني.

2- المراتب المتضادة: وفيها تكون الألفاظ دالة على معانٍ يمكن ترتيبها بين طرفين متباينين، ومثال ذلك (الرمضاء، الحر، الدفء، الفتور، البرد، القرس)، وهذه الالفاظ تتضمن

(1) ينظر: الحجاج في القرآن الكريم السور القصار مثالًا: 75.

(2) ينظر: اللسان والميزان: 273.

(الرمضاء، والقرس) اللذين هما بمنزلة طرفين أعلى وأسفل متباينين بينهما مراتب أربع، وأبرز من أشتغل في هذه المراتب اللساني إدوارد سابير.

3-**المراتب الموجّهة توجيهًا قصديًا: وهذا القسم سيكون محور دراستنا في النّص المحكي القرآني**، إذ يُعدُّ هذا القسم الأوسع أفقًا في الاستعمال اللغوي والخطاب الحجاجي[1]، وتدخل هذه المراتب على الألفاظ والجمل، ويكون قصد المتكلم عاملًا في اتجاه تحديد المراتب التي ترتبها هذه الجمل.

وقد اختص بالنظر في هذا النوع من المراتب اللسانيان الفرنسيان (ديكرو وانسكومبر)، وقد عمل كلٌ منهما على صياغة ملامح هذه النظرية وادراجها ضمن نظريتهما[2]، وتنطلق هذه النظرية من مبدأ إقرار التلازم في عمل المحاجة بين القول والنتيجة، فالتلازم: هو ألّا تكون الحجة حجة بالنسبة للمتكلم إلّا إذا أضيفت إلى نتيجة مصرّح بها أو مضمرة، ولا يمكن إقرار النتيجة بغض النظر عن الحجة، فهو مبدأ عكسي تنتجه اللغة في سياقات، ومقامات محددة[1].

(1) ينظر: التداولية أصولها واتجاهاتها: 148.

(2) ينظر: الحجاج مفهومه ومجالاته: 1/ 144.

المطلب الثاني: قوانين السُلَّم الحِجاجي:

وللسّلّم الحِجاجي ثلاثة قوانين رئيسة صاغها ديكرو ضمن كتاباته وعدَّها بمنزلة قواعد تدعم هذا السُلَّم، وهي: قانون تبديل السُلَّم (النفي)، قانون القلب، وقانون الخفض[2].

1-**قانون تبديل السُلَّم (النفي)**: ويفضي هذا القانون إلى أن يكون القول دليلًا على مدلول معيّن، فإنَّ نقيض هذا القول دليل على نقيض مدلوله بمعنى إذا استعملنا الملفوظ (ب) للدلالة على مدلول ما فإنَّ نفيه (ليس ب) ستكون دليلًا على نقيض المدلول بمعنى إذا كانت (ب) تنتمي إلى الفئة الحجاجية المحددة بالمدلول (ج) فإنَّ (ليس ب) تنتمي إلى الفئة الحجاجية المحددة بالمدلول (ليس ج)[3]، ومثال ذلك:

- زيدٌ يواظب على قراءة دروسه؛ لقد نجح في الإمتحانات.
- زيد لا يواظب على قراءة دروسه؛ إنَّه لم ينجح في الإمتحانات.

فإذا قبلنا الحجاج الوارد في المثال الأول وجب أن نقبل كذلك الحجاج الوارد في المثال الثاني[1].

2-**قانون القلب**: يرتبط هذا القانون أيضًا بالنفي، ويُعدُّ تتميمًا للقانون الأول، ويبيّن هذا القانون أنَّ السلّم الحجاجي للأقوال

(1) ينظر: البعد التداولي والبعد الحجاجي في الخطاب القرآني: 34.

(2) ينظر: اللسان والميزان: 277.

(3) ينظر: اسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي تنظير وتطبيق على السور المكية: 119.

المنفيـــة عكـــس سُـــلّم الأقـــوال الإثباتيـــة، فـــإذا كانـــت احـــدى الحجتـين أقـوى مـن الأخـرى فـي الدلالـة علـى نتيجـة معينـة، فـإن نقـيض الحجـة الثانيـة يكـون أقـوى مـن نقـيض الحجـة الأولـى في الدلالة على النتيجة المضادة[2].

3- **قـــانون الخفـــض:** ويقصـد بهـذا القـانون أنّـه إذا صـدق القـول فـي مراتـب معينـة مـن السُـلّم، فـإنَّ نقـيض هـذا القـول يصـدق فـي المراتـب التـي تقـع تحتهـا، فعنـدما نقـول: (مصـر لـيس بلـدًا نفطيًـا) فإنهـا صـادقة ولا تنـاقض مـع الحجّـة التـي بعـدها بـأنَّ: (مصـر بلـد زراعـي)، وتصـدق النتيجـة بأنّـه لـيس غنيًـا، بـل هـو متوسـط الاقتصـاد مـثلًا، ولا يمكـن أن يكـون غنيًـا؛ لـذا فهـو يحيـل إلـى سُـلّميّة حِجاجيـة تتميـز بالتـأرجح وعـدم الثبـات، بعكـس مـا يتضـمنه القانونـانِ السـابقانِ اللـذانِ يَتَّسـمانِ بالوضـوح القائد إلى التأثير ثمَّ الإقناع[3].

المطلب الثالث: تطبيقاته:

ومن النصوص المحكية التي حوت فعلًا قصديًا حجاجيًا قوله تعالى: ﴿**وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيۡنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ نَجۡعَلۡهُمَا تَحۡتَ أَقۡدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ**

(1) ينظر: اللسان والميزان: 277.

(2) ينظر: اللسان والميزان: 278.

(3) ينظر: الحجاج في روايات أهل البيت: 352.

ٱلۡأَسۡفَلِينَ ۝٢٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ۝٣٠﴾[1].

فنلحظ اضافة الآية الكريمة الوضوح والبيان في الدلالة والسياق، وعمّقت المعنى، وضخت طاقات حجاجية بوصفها استراتيجية إقناعية توجيهية، موظفة لتحقيق وظائف مقصودة، وقد سجّل الجابري بهذا الصدد أنَّ النّص القرآني ((ليس مجرد حكاية أخبار، بل هو بيان وبرهان: وسيلة في الإقناع تدعو للاحتكام إلى العقل بعيدًا عن أساليب اللاعقل))[2]، فنلاحظ تتابع الحجج في السُلّم الحجاجي في الآية الكريمة الموظفة في النصّ المحكي، وتوالت وفق تراتبية تُسلِّم فيها كل حجة الحِجاج إلى الحجة التي تليها في السُلّم، لينتهي المطاف إلى نتيجة عامة تنضوي تحتها الحجج، وتؤدي إليها في آن واحد، ويمكن إيضاح ذلك كما يلي:

الحجة الأولى: الذين قالوا ربنا الله.

الحجة الثانية: استقاموا.

النتيجة: نتيجة إيمانهم بالله واستقامتهم كانت نزول الملائكة حاملة البشارة لهم بالجنة وطمأنتهم من الخوف، وذلك أفضى الفوز بالجنة.

(1) سورة فصلت: 29-30.

(2) مدخل إلى القرآن الكريم: 1/ 394.

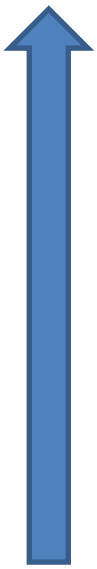

الفوز بالجنة (ن)

استقاموا (ح2)

الذين قالوا ربنا الله (ح1)

ووفقًا لقانون تبديل السلم سيفضي إلى نفي المقولات التابعة لهذا السلّم إلى خدمة النتيجة المضادة (- أ) وهي خسارة الجنة، وتكون كالتالي:

نفي الحجة الأولى: الذين لم يقولوا ربنا.

نفي الحجة الثانية: لم يستقيموا:

النتيجة (-أ) خسران الجنة.

وبهذا تستحكم الحجة عليهم وتعجزهم عن المعارضة بتوظيف الرابط الحجاجي (ثم) الذي استمد النص المحكي قوته منه، والربط هنا قد استلزم فائدة الترتيب والتراخي في الزمن.

فالهدف الأساس من توظيف الآية المباركة هو إقناعي حجاجي بالدرجة الأولى؛ إذ تضافرت الطاقات الحِجاجية للنّص مع السياق، وتضاعف تأثيره لما يتمتع به النّص من قدرة تأثيرية إقناعية عالية لمنزلتها الرفيعة، ومكانتها العالية في نفس المتلقي،

مّمـــا يحملـــه مـــن صـــاخة الســـمع، والاســـتجابة لمـــا يمليـــه الـــنّص مـــن مضـــامين تســـتهدف التـــأثير فـــي ســـلوكيات المتلقـــي بعـــد إقناعـــه؛ لأنَّ منبعها في المقام الأول هو القرآن الكريم.

وبهـــذا نصـــل إلـــى نتيجـــة مفادهـــا أن التلـــويح الحـــواري المتحصـــل مـــن الـــروابط الحجاجيـــة والتـــي تعـــد أدوات مهمـــة فـــي توجيـــه الكـــلام مـــن أجـــل إيضـــاح عمليـــة اخبـــار المتلقـــي وتقـــديم المعلومـــات ونستشـــفه مـــن التـــأثير والإقنـــاع وإيصـــال المقاصـــد الحجاجيـــة المســـتهدفة والمســـتلزمة من النص المحكي القرآني.

ومن النصوص المحكية التي اتّخذت السّلّم الحجاجي طريقةً لها ما جاء بخطاب نبي الله إبراهيم عليه السلام مع قومه في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ

لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾[1].

فإذا وقفنا بتأمل في حوار نبي الله إبراهيم عليه السلام مع قومه نلاحظه عرض بصورة مناظرة بينه وبينهم، يبتدأ تراتبيًا بالاستهلال ثم ينتقل إلى عرض الدعوى والدعوى المخالفة، ثم بعدها ينتقل إلى عرض الحجج والحجج المضادة وصولًا إلى النتيجة النهائية لحسم الخلاف[2]، فيبدأ نبي إبراهيم بمناظرته لقومه بطريقة تسلسليّة في عرض الحجج وفق أسلوب قصدي معيّن ثم إلقاؤها عليهم وفق الترتيب الآتي:

- الاستهلال وهي بعرض دعوى نبي الله إبراهيم عليه السلام، وهي استنكاره عبادة قومه للأوثان بطريقة الإستفهام **(مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ)**، وفي طيات هذا الاستفهام رفض نبي الله إبراهيم لهذا السلوك الذي يجلي الشرك بالله، ويجلي دعواه القائمة على الإيمان بالله وحده لا شريك له.
- اطلاق الحجج إذ ابتدأ الحِجاج برد قوم إبراهيم عليه، في أنَّ عبادتهم للتماثيل تستمد حجيتها من شبه التقليد الأعمى **(قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ)**، وهي حجّة ضعيفة لا

(1) سورة الأنبياء: 51-71.

(2) ينظر: بلاغة التصوير الفني في القرآن الكريم (مقاربة معرفية تداولية): 240.

تستند على مسوّغ عقلي، وسرعان ما فنّدها إبراهيم عليه السلام بقوله **(قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ)**؛ فالتقليد لا يدفع ((البراهين القواطع على التوحيد، واتفاق الجمع الغفير على الباطل ليس ممتنعًا في العادة، بل هو بعيد بشرط استناده إلى حجّة))[1]، فبذلك يدفع نبي الله إبراهيم دعواهم في التقليد ويثبت وحدانية الله عزوجل **(قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ)**.

ثمَّ يأتي بعد ذلك سؤالهم لإبراهيم عليه السلام لتبدأ مناظرة جديدة، وهي تحطيمه لآلهتهم **(قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ)**، فيرد عليهم بأنَّ من فعل هذا الصنم الكبير **(قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ)**، وقد استبطن هذا الجواب الذي ساقه إبراهيم عليه السلام للتشكيك بالحجة القاطعة، بأنَّ من لا يتحدّث ولا يجيب هو مجرد جماد لا يستحق أن يكون إلهًا[2] إضافة إلى الرابط الحجاجي (بل) ويمكن توضيح ذلك في السُلّم الحجاجي الآتي:

النتيجة: البرهنة على وحدانية الله وقدرته وعظمته.

ح4: ربكم رب السماوات والأرض الذي فطرهنَّ.

ح3: أنتم وآباؤكم في ضلال مبين.

(1) عَلَمُ الجَدَل في عِلم الجَدَل، للطوفي: 161-162.

(2) ينظر: مفاتيح الغيب: (تفسير الرازي): 22/ 155-156.

ح2: وجدنا آباءنا لها عاكفين.

ح1: ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون.

نلاحظ من خلال التماسك والتعالق الذي شكّل الاستفهام مع السلّم الحجاجي في النّص المحكي وفق تراتبية حِجاجية أفادت إنَّ خلق الله عزوجل أعظم من كل شيء، ثمَّ يظهر الله غلبة نبي الله إبراهيم بالحُجج القاطعة التي تدرجت في السُلَّم.

لذا نجد أنَّ العرض الحجاجي يأخذ شكلًا محكيًّا قصديًا، فيكون في نهاية النص الحجاجي في الآية المباركة حجج دامغة تدعو إلى الاعتبار، فلا يسعنا إلّا أن نؤكد أنَّ للقرآن إعجازه اللغوي القصدي الذي جمع بين الحِجاج والبلاغة في ربقة واحدة، إذ تتفاعل الأبعاد الدلالية والاسلوبية والتداولية لتحقيق الغاية الدينية العليا التي يضطلع بها، وهي البرهنة على وحدانية الله وقدرته وعظمته[1].

(1) بلاغة التصوير الفني في القرآن الكريم: 245.

الخاتمة

الخاتمة

لقد سعت الدراسة في فصولها الثلاثة إلى الكشف عن إيضاح مفهوم النّص المحكي، وعن القيمة التداولية له وأثره في ترابط النص القرآني المحكم، فتتبعت الدراسة النصوص المحكية في القرآن الكريم، وبيّنت ملامحها التداولية، وذلك عبر تسليط الضوء على هذا النص المعجز في ألفاظه ومعانيه وأساليبه، وهنا أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة:

1. جاء النص المحكي القرآني مخاطبًا جميع الناس باختلاف فئاتهم، ومستوياتهم، وأشكالهم، وتعدد نزعاتهم؛ إذ لم تقتصر دعوته جيلًا معينًا أو زمنًا محددًا؛ بل جاء ينفع جميع الناس بما فيه من الحجج والأدلة العقلية.
2. تنوّع الأساليب الإخبارية في النص المحكي بفعل القول وقد تصدرت باقي الأساليب الأخرى من ناحية العدد، إذ مثَّل أسلوب الأمر والاستفهام أكثر الأساليب ورودًا في النصوص المحكية؛ لأنّها من أكثر الأساليب تداولًا بين المرسل والمتلقي لتحقيق الغرض القرآني في الخطاب، فمثلًا النداء جاء مدخلًا إلى الأفعال الإنجازية، ومن ثم جاء بعده الأمر والاستفهام؛ فمجيء الفعل القولي على صيغة النداء (يا+ المنادى) لتنبيه المتلقي إلى ما سيعرض عليه، ولا يحمل محتوى قضويًا؛ لأنّ الطلبيات محتواها القضوي يتضمن فعل السامع شيء مستقبلًا، والنداء لا يتطلب سوى جلب انتباه المتلقي لما سيأتي من أفعال كلاميّة بعده والتي تمثل المحتوى القضوي.

3. الأساليب التوجيهية كانت بالمرتبة الثانية من ناحية عدد النصوص المحكية، وقد اهتمت بتوجيه المخاطَب إلى فعل أشياء، أو الالتزام بأمور ما، وقد جمع هذا الصنف بين أغراض مختلفة أهمّها العبرة والتشويق، والتحقيق والتوجييه والإرشاد والتهكم وغيرها.

4. عملت الأفعال الكلامية التعبيرية في النص المحكي على إظهار مشاعر المتكلمين، وقد جاءت أغلب التعابير الانفعالية التي وردت فيها غير صادرة عن المتكلم فقط، وإنّما استعملها المخاطب ليستحث عند المتلقي مشاعر وتعابير معينة باستخدام الفعل الكلامي وتدفع به لإبداء استجابة معينة.

5. تجاوزت الأفعال الكلامية في النص المحكي صيغتها المباشرة إلى معنى غير مباشر، وذلك في سياق الإشارة إلى إمكانية مخالفة ظاهر اللفظ لمراد المتكلم، فتتحول الأفعال الكلامية بوجود جملة من القرآئن يختارها المرسِل لتحقيق قصد معين، وقد أدى ذلك إلى كثرة تلك الأفعال التي تخرج عن حقيقتها وتتجاوز ظاهرها إلى مقاصد أخرى يرمي النص المحكي إلى تحقيقها وإيضاح غايتها.

6. وقفت على تجليّات الأفعال الكلاميّة للنصوص المحكيّة بفعل القول المباشر وغير المباشر، فأسهم فعل القول في ضوء الأفعال الكلاميّة إلى تحقيق الفهم والإبانة والتواصل بين المتكلّم والمتلقي.

7. تنوعت الأفعال الإنجازية في النص المحكي، وتعددت صيغها وطرائقها، وخرجت كثير من الأفعال إلى معانٍ إنجازية غير مباشرة، يفسرها السياق التي وردت فيه.

8. جاءت الأفعال التي حملت قوة إنجازية غير المباشرة في الأفعال الكلامية المنجزة في النص المحكي أقل من الأفعال التي جاءت بشكل مباشر.

9. أوضحت الدراسة التطبيقيّة أنّ الفعل الكلاميّ لم يرد عفوًا في النصّ المحكي، بل كان قصديًا، لتوظيفه في التأثير والتفاعل والتغيير ودعم القضيّة الرئيسة.

10. التلويح الحواري الحجاجي سلط الضوء على قضية محورية وهي أن نعني أكثر ممّا نقول في حواراتنا، لذا وجدنا كثيرًا من المعاني الملوّح بها في النص المحكي في القرآن الكريم، عبر مجموعة من الأساليب وأهمها الإستفهام إذ وظّف ليخرج إلى معانٍ تداولية، وكان ذلك بأسلوب غير مباشر يخرق قوانين التخاطب؛ لإثراء النص دلاليًا وتداوليًا؛ ولأنَّ الوصول إلى المعنى المقصود يتطلب استنتاجاً استدلالياً يمر بمراحل متعددة، وهذا ما يجعله أبلغ من التصريح.

11. ساعدت الروابط الحِجاجية في النص المحكي بالوصل بين الحجج والنتائج، وتتابعها وبيان ترتيبها أو تعارضها أو تأكيدها، أو سببيتها أو تثبيت النتيجة وتوجيه القول، مما يسهل على المخاطَب تلقي الخطاب وفهمه، وبذلك يصل إلى النتيجة المرجوة وهي التأثير والإقناع.

12. جميع الدراسات السابقة عرضت للبحثِ في جزئيةٍ من جملةِ مقولِ القولِ، أمّا هذا البحثُ فكانَ أعمَّ وأشملَ؛ لأنَّ ميدانهُ هو النّصُّ المحكيُّ، وعليهِ يفترقُ هذا البحثُ عن تلكَ البحوثِ بكونهِ أوسعَ من جملةِ مقولِ القولِ، وغيرها من الجُمل الأخرى التي حملتْ معنَى القولِ مجازاً.

ثبت المصادر والمراجع

ثبت المصادر والمراجع

خير ما نبتدئ به القرآن الكريم.

أ- الكتب

1. الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي، نادية رمضان النجار، مؤسسة حورس الدولية، ، ط1، الإسكندرية 2012م.
2. الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيأة المصرية العامة للكتاب، 1974م.
3. اثر البواعث في تكوين الدلالة البيانية، د. صباح عباس عنوز، دار الضياء، (ط2) 2012م.
4. الإحكام في أصول الأحكام، أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت- لبنان، (د.ط)(د.ت).
5. اساسيات المنهج والخطاب في درس القران وتفسيره، محمد مصطفوي، مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي- بيروت، (ط1) 2009م.
6. الاستدلال البلاغي، شكري المبخوت، دار الكتاب الجديد، ط2، 2010م.

7. استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، ليبيا 2004م.
8. الاستلزام الحواري في التداول اللساني، العياشي ادراوي، دار الأمان، ط1، المغرب 2011م.
9. أسرار العربية، أبو البركات عبد الرحمن الأنباري، تحقيق: فخر صالح قدارة، دار الجيل، بيروت، ط1، 1999م.
10. أسس الفلسفة، توفيق الطويل، دار النهضة الإسلامي، ط3، الرياض (د ت).
11. اسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي تنظير وتطبيق على السور المكية، د. مثنى كاظم صادق، كلمة للنشر والتوزيع، ط1، لبنان 2015م
12. الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، محمد بن علي الجرجاني، تحقيق عبد القادر حسين، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، (د.ط).
13. إشكالات النّص- دراسة لسانية نصيّة، جمعان عبد الكريم، النادي الأدبي - المركز الثقافي الأدبي، ط1، الرياض- الدار البيضاء، 2009م.
14. الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان – بيروت.

15. إعـــراب الجمـــل وأشـــباه الجمـــل، د. فخـــر الـــدين قبـــاوة، دار القلم العربيّ، ط5- حلب1989م.

16. اعـــراب القـــرآن الكـــريم، بهجـــت عبـــد الواحـــد الشـــيخلي، دار الفكر، ط1، بيروت 1427هـ.

17. اعـــراب القـــرآن، الشـــيخ محمد جعفـــر الكرباســـي، دار ومكتبـــة الهلال، ط1، بيروت 1437هـ

18. إعـــراب القـــرآن المنســـوب للزجّـــاج، أبـــو الحســـن البـــاقولي، تحقيـــق ودراســـة: إبـــراهيم الإبيـــاري، دارالكتـــاب المصـــري – القـــاهرة ودارالكتب اللبنانية – بيروت، ط4، 1420 هـ.

19. آفـــاق جديـــدة فـــي البحـــث اللغـــوي المعاصـــر، محمـــود أحمـــد نحلة، دار المعرفة الجامعية، 2002م.

20. الأفعـــال الإنجازيـــة فـــي العربيـــة المعاصـــرة (دراســـة دلاليـــة ومعجـــم ســـياقي)، علـــي محمـــود حجـــي الصـــراف، مكتبـــة الآداب، ط1، 2010م.

21. الألســـنيّة التوليديّـــة والتحويليّـــة وقواعـــد اللغـــة العربيّـــة (الجملـــة البســـيطة)، الـــدكتور ميشـــال زكريـــا، المؤسســـة الجامعيّـــة للدراسات والنشر والتوزيع، ط2- بيروت 1986م.

22. الانتصـــاف علـــى هـــامش الكشـــاف، لابـــن منيـــر، دار الكتاب العربي، ط3، بيروت 1987م.

23. أنـــوار التنزيـــل وأســـرار التأويـــل، للبيضـــاوي، تحقيـــق: محمد عبـــد الـــرحمن المرعشـــلي، دار احيـــاء التـــراث العربـــي، ط1، بيروت 1418هـ.

24. الإيضاح والبيان في تحقيق عبارات قصص القرآن، لأبن الأمير الصنعاتي، تحقيق: الدكتور عبد الوهاب الديلمي، مكتبة الارشاد، ط1، صنعاء – اليمن، 1992م.

25. الإيضاح في علوم البلاغة، للقزويني، دار الجيل، ط3، بيروت 1431هـ.

26. البحر المحيط في اصول الفقه، محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، دار الكتبي –القاهرة، ط1، 1994م.

27. بحوث ومقالات في اللغة، الدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، ط1، القاهرة 1982 م

28. البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصّية ، جميل عبد المجيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، 1998م.

29. البراغماتية اللغوية، ستيفن ك. ليفنسون، ترجمة: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، ط1، القاهرة 2015م.

30. البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، قدور عمران، عالم الكتب الحديث، ط1، الأردن 2012م.

31. بلاغة الإقناع في المناظرة، عبد اللطيف عادل، دار الأمان، ط1، الرباط 2013م.

32. بلاغة التصوير الفني في القرآن الكريم مقاربة معرفية تداولية، د. عبد الرحيم وهابي، دار كنوز المعرفة، ط1، الأردن 2023م.

33. بلاغة الخطاب وعلم النص، د. صلاح فضل، عالم المعرفة، ط1، الكويت 1992م

34. البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري و أثرها في الدراسات البلاغية، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة 1988م.

35. بناء الجملة العربية، محمد حماسة عبد اللطيف، دار غريب، ط1، القاهرة 2003م.

36. البيان في غريب اعراب القرآن، أبو البركات بن الأنباري، مؤسسة دار الهجرة، ط1، ايران 1362هـ.

37. البيان والتبيين، أبو عثمان الجاحظ، دار ومكتبة الهلال، ط1، بيروت 1423هـ.

38. التأويل اللغوي في القرآن الكريم، حسين حامد الصالح، دار ابن حزم، ط1، بيروت 2005م.

39. التبيان في اقسام القرآن، ابن القيم، دار الكتب العلمية، تحقيق: علي محمد دندل، لبنان 20001م.

40. التبيان في تفسير القرآن، الشيخ ابو جعفر الطوسي، تحقيق: احمد حبيب قصير العاملي، دار احياء التراث العربي، ط1.

41. التحرير والتنوير، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد ، محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر – تونس، (د.ط) 1984م.

42. تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص، عبد القادر شرشار، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، (د.ط) دمشق

43. تحليل الخطاب الحواري في نظرية النحو الوظيفي، الدكتورة سعيدة علي زيغد، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 2014م

44. تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، عمر بلخير، منشورات الإختلاف، ط1، الجزائر، 2003م

45. التحليل اللغوي عند مدرسة اكسفورد، صلاح اسماعيل عبد الحق، دار التنوير، ط1، بيروت 1997م

46. التحويل في النحو العربي: مفهومه، أنواعه، صوره، للدكتور رابح بو معزة، ط1، عالم الكتب الحديث- الأردن، 2008م

47. تحويلات الطلب ومحددات الدلالة مدخل الى تحليل الخطاب النبوي الشريف، حسام احمد قاسم، دار الآفاق العربية، ط1، القاهرة 2006م

48. تداوليات الخطاب السياسي، نور الدين اجعيط، عالم الكتب الحديث، ط1، الأردن 2012م

49. التداوليات علم استعمال اللغة، د. حافظ اسماعيل علوي، عالم الكتب الحديث، ط1، الأردن 2011م

50. التداولية اصولها واتجاهاتها، جواد ختام، كنوز المعرفة، ط1، عمان 2016م

51. تداولية الخطاب الديني، في كتاب التوحيد للشيخ الصدوق، د. محمد صادق الأسدي، مركز عين للدراسات والبحوث المعاصرة، ط1، العراق 2018م

52. تداولية الخطاب السردي (دراسة تحليلية في وحي القلم للرافعي)، محمود طلحة، عالم الكتاب الحديث، ط1، الأردن 2012م

53. التداولية اليوم علم جديد في التواصل، آن روبول وجاك موشلار، ترجمة: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، دار الطليعة، ط1، 2003م

54. التداولية علم استعمال اللغة، الدكتور حافظ اسماعيلي علوي، منشورات عالم الكتب الحديثة، ط1، الأردن 2011م

55. التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، د. مسعود صحراوي، دار الطليعة، ط1، بيروت 2003م

56. التداولية من اوستن الى غوفمان، فليب بلاشيه، ترجمة: صابر حباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، سوريا 2007م

57. التداولية والحِجاج (مداخل ونصوص)، صابر الحباشة، مطبعة صفحات، ط1، دمشق 2008م

58. تفسير روح المعاني، شهاب الدين الآلوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت 1415هـ

59. التفسير الكاشف، الشيخ محمد جواد مغنية، دار العلم للملايين، ط3، بيروت-لبنان 1981م

60. مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، تحقيق: لجنة من العلماء والمحققين، ط1، بيروت 1995م

61. الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ط1.

62. التلقي والتأويل مقاربة نسقية، د. محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت 1994م

63. التماسك باللغة الإنجليزية، هاليداي مايكل ألكسندر ورقية حسن، لونجمان، لندن 1978م

64. الجدول في اعراب القرآن، محمود صافي، دار الرشيد، ط3، بيروت 1995م

65. الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، ابن الأثير، تحقيق: مصطفى جواد، مطبعة المجمع العلمي، 1375هـ

66. جمالية الخطاب في النص القرآني قراء تحليلية في مظاهر الرؤية وآليات التكوين، د. لطفي فكري محمد الجودى، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع –القاهرة، (ط1)، 2014م

67. الجمل المحتملة للاسميّة والفعليّة، للدكتور محمد رزق شُعير، مكتبة جزيرة الورد– المنصورة، (د.ت)

68. الجمل النحويّة، كمال بسيوني، مكتبة النهضة المصريّة، ط1، 1982م

69. الجُمَـــل، للزجّـــاجي، إعتنـــى بـــه وشـــرحه الشـــيخ ابـــن ابـــي شنب، مطبعة جول كربونل، الجزائر 1926م

70. الجمـــل، لعبـــد القـــاهر الجرجـــاني، تحقيـــق: علـــي حيـــدر، دمشق، 1972م

71. الجملـــة الاســـمية، للـــدكتور علـــي أبـــو المكـــارم، ط1، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع- القاهرة 2007م

72. الجملـــة الـــدنيا والجملـــة الموسّـــعة كتـــاب ســـيبويه دراســـة وصـــفيّة تحليليّـــة، د. عـــلاء إســـماعيل الحمـــزاوي، مكتبـــة لســـان العرب، كليّة الآداب- جامعة المنيا، (د.ت)

73. الجملـــة العربيّـــة تأليفهـــا وأقســـامها، للـــدكتور فاضـــل صـــالح السامرائيّ، منشورات المجمع العلميّ العراقيّ- بغداد 1998م

74. الجملـــة العربيـــة دراســـة لغويّـــة نحويّـــة، للـــدكتور محمد إبـــراهيم عبادة، منشأة المعارف- الإسكندريّة 1988م

75. الجملـــة النحويّـــة نشـــأةً وتطـــورًا وإعرابًـــا، للـــدكتور فتحـــي عبـــد الفتاح الدجّني، مكتبة الفلاح، ط2، الكويت 1987م

76. الجنـــى الـــداني فـــي حـــروف المعـــاني، للمـــرادي، تحقيـــق: فخـــر الـــدين قبـــاوة- محمد نـــديم فاضـــل، دار الكتـــب العلميـــة، ط1، 1992م

77. حاشـــية محـــي الـــدين شـــيخ زادة علـــى تفســـير البيضـــاوي، محمد بـــن مصـــلح الـــدين مصـــطفى القـــوجري الحنفـــي، تحقيـــق: محمد عبـــد القـــادر شـــاهين، دار الكتـــب العلميـــة- بيـــروت (ط1) 1999م

78. الحاوي في تفسير القرآن الكريم، عبد الرحمن بن محمد القمّاش، طبعة المكتبة الشاملة، آذار 2012م

79. الحجاج في الشعر العربي القديم، سامية الدريدي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط1، الأردن 2011م

80. الحجاج في الشعر القديم من الجاهلية إلى القرن الثالث الهجري، سامية الدريدي، عالم الكتب الحديث، ط1، الأردن 2007م

81. الحِجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، عبد الله صولة، دار الفارابي، ط1، بيروت 2001م

82. الحجاج في المقام المدرسي، كورنيليا فون راد، وحدة البحث وتحليل الخطاب، كلية الآداب، تونس 2003م

83. الحجاج مفهومه ومجالاته- دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة (الحجاج حدود وتعريفات)، اعداد: حافظ اسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، ط1، عمان 2010م

84. حروف المعاني، عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، تحقيق: علي توفيق الحمد، دار الأمل، مؤسسة الرسالة، بيروت، (ط1) 1984م

85. حفريات المعرفة، ميشال فوكو، ترجمة: سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، بيروت- لبنان. الدار البيضاء- المغرب (ط2)، 1987م

86. الحوار آدابه وضوابطه في الكتاب والسنة، يحيى بن محمد بن حسن زمزمي، دار التربية والتراث، ط1، مكة المكرمة 1994م

87. الحوار القرآني تداوليته وحجاجيته، الدكتورة منتهى علي العبودي، دار كنوز المعرفة، ط1، الاردن 2022م

88. الحوار القرآني طريقة للإتصال والتثقيف، د. جواد كاظم البيرماني، مكتبة الصادق، ط1، العراق- الحلة، 2003م

89. الخصائص، ابن جني، الهيأة المصرية العامة للكتاب، ط4 (د.ت)

90. الخطاب العربي المعاصر، د. محمد جابر العابدي، دار الطليعة، ط1، بيروت 1982م: 9.

91. الخطابة، أرسطو طاليس، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، دار الشؤون الثقافية العامة، ط2، العراق 1986م

92. دائرة الأعمال اللغوية مراجعات ومقترحات، الدكتور شكري المبخوت، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، ليبيا 2010م

93. دراسات في اللسانيّات العربيّة، للدكتور عبد الحميد السيّد، دار الحامد، ط1- عمّان 2004م

94. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق

95. دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة ابن ليلاي لمحمد العبد، عبد الملك مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية، ط1، 1992م

96. دراسات نقديّة في النحو العربيّ، د. عبد الرحمن أيوب، مؤسسة الصباح- الكويت 1957م

97. الدرس النحوي النصي في كتب اعجاز القرآن الكريم، د. أشرف عبد البديع، مكتبة الآداب، ط1، القاهرة 2008م

98. الدلالة الزمنيّة في الجملة العربيّة، للدكتور علي جابر المنصوريّ، الدار العلميّة الدوليّة، ودار الثقافة للنشر والتوزيع، ط1- عمّان 2002م

99. دليل الناقد الأدبي، ميجان الرويلي، سعد البازعي، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت 2002م

100. ديوان عمر بن ابي ربيعة، تصحيح وتحقيق: بشير يموت، المطبعة الوطنية في بيروت، ط1، 1934م

101. سر الفصاحة، لابن سنان الخفاجي، دار الكتب العلمية، ط1، 1402هـ_1982م

102. شرح عقود الجمان، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الفكر، لبنان، (د.ط) 1983م

103. شرح الكافية الشافية، لابن مالك (ت672هـ)، تحقيق علي محمد معوّض، وعادل أحمد عبد الموجود، ط1، دار الكتب العلميّة- بيروت 2000م

104. شرح كتاب الحدود في النحو، لعبد الله بن أحمد الفاكهي (ت972هـ)، تحقيق: المتولي رمضان أحمد الدَّميريّ، ط2، مكتبة وهبة- القاهرة 1993م

105. شعر الكميت بن زيد الأسدي، جمع وتحقيق: داود سلوم، عالم الكتب، ط2، بيروت 1997م

106. الصورة الفنية في المثل القرآنيّ، محمد حسين الصغير، دار الرشيد للنشر،(د.ط)، بغداد 1981م

107. ضياء السالك إلى أوضح المسالك، محمد عبد العزيز النجار، مؤسسة الرسالة، ط1، 2001م

108. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلوي، المكتبة العنصرية – بيروت، (ط1)، 1423هـ

109. الظاهراتية وفلسفة اللغة تطور مباحث الدلالة في الفلسفة النمساوية، عز الدين حكيم بباني، دار أفريقيا الشرق، المغرب 2003م

110. عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، بهاء الدين السبكي، مطبعة السعادة، مصر، 1342هـ

111. العقل واللغة والمجتمع الفلسفة الى العالم الواقعي، جون سيرل، ترجمة: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، ط1، المغرب

112. العلامة الإعرابيّة بين القديم والحديث، د. محمد حماسة عبد اللطيف، مكتبة أمّ القرى، ط1- الكويت 1984م

113. علم التخاطب الإسلامي دراسة لسانية لمناهج علماء الأصول في فهم النص، الدكتور محمد محمد يونس، دار المدار الإسلامي، ط1، بيروت 2006م

114. عَلَمُ الجَذل في عِلم الجَدَل، نجم الدين سليمان الطوفي، تحقيق: فولفهارت هاينريشست، دار النشر فرانز شتاينر –المانيا، الأردن 1308هـ

115. علم الدلالة السيمانتيكية والبرجماتية في اللغة العربية، د. شاهر الحسن، دار الفكر، ط1، عمان– الأردن، 2001م

116. علم الدلالة، ف– بالمر، ترجمة: مجيد عبد الحليم الماشطة، الجامعة المستنصرية، العراق، 1985م

117. علم لغة النص المفاهيم والإجراءات، سعيد حسن بحيري، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، لبنان 1997م

118. علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق – دراسة تطبيقية على السور المكية، د. صبحي إبراهيم الفقي، دار قباء، ط1، القاهرة 2000م

119. علم المعاني، أحمد محمود نحلة، دار العلوم العربية، بيروت، (د.ط)، 1990م

120. علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، فان دايك، ترجمة: سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، ط1، القاهرة 2001م

121. العوامل الحجاجية في اللغة العربية، عز الدين الناجح، مكتبة علاء الدين، ط1، تونس 2011م

122. عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي، تحقيق: الشيخ حسين الحسيني، دار الحديث، القاهرة، (ط1)، (د.ت)

123. الفعل اللغوي بين الفلسفة والنحو عرض وتأصيل لمفهوم الفعل اللغوي، ضمن كتاب التداوليات علم استعمال اللغة لعيد السلام اسماعيل عليوي، يحي بعطيش، دار عالم الكتب الحديث، ط1، الاردن 2011م

124. الفلسفة واللغة، نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، الدكتور زواوي بغورة، دار الطليعة، ط1، بيروت 1998م

125. فنون النص وعلومه، فرانسوا راستي، ترجمة: إدريس الخطاب، دار طوبقال للنشر، ط1، المغرب 2010م: 60.

126. في التطبيق النحويّ والصرفيّ، للدكتور عبد الراجحي، دار المعرفة الجامعية- الإسكندرية 1992م

127. في اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، الدكتور خليفة بوجادي، بيت الحمة للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر 2009م

128. في اللسانيات المعاصرة نقد وبناء، الدكتور كريم حسين ناصح الخالدي، دار صفاء، الأردن (د.ت)

129. في النحو العربيّ نقد وتوجيه، للدكتور مهدي المخزوميّ (ت1991م)، ط2، دار الشؤون الثقافيّة العامة – بغداد2005م

130. في نحو اللغة وتراكيبها منهج وتطبيق، الدكتور خليل أحمد عمايرة، عالم المعرفة، ط1-جدّة 1984م

131. في نحو النص، عثمان أبو زنيد، عالم الكتب الحديث، ط1، عمان 2010م

132. كتاب الإيضاح، لأبي علي الفارسي، تحقيق: الدكتور كاظم بحر المرجان، عالم الكتب، ط2- بيروت 1996م

133. كتاب التعريفات، الشريف الجرجاني، تحقيق: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت -لبنان، ط1 - 1983م

134. كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال (د.ط)(د.ت)

135. الكتاب، عمرو بن عثمان الملقب سيبويه، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1408 هـ - 1988 م

136. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، دار الكتاب العربي، ط3، بيروت- 1407 هـ

137. الكلام والخبر مقدمة للسرد العربي، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء 1997م

138. لـــذة الـــنص، رولان بـــارت، ترجمـــة: د. منـــذر عياشـــي، مركز الإنماء القومي، ط1، الرباط 1992م

139. لســـان العـــرب، ابـــن منظـــور محمد بـــن مكـــرم، دار الكتـــب العلمية، بيروت، (ط1)، 2005 م

140. اللســـان والميـــزان أو التكـــوثر العقلـــي، طـــه عبـــدالرحمن، المركـــز الثقـــافي العربـــي، ط 1، الـــدار البيضـــاء، المغـــرب، 2007م

141. اللســـانيات والدلالـــة، د. منـــذر عياشـــي، مركـــز الإنمـــاء الحضاري، ط2، سوريا 2007م

142. لســـانيات الـــنص، محمد خطـــابي، المركـــز الثقـــافي العربـــي، ط2، المغرب 2006م

143. اللســـانيات النصّـــية فـــي الدراســـات العربيـــة الحديثـــة، خالـــد حميد صبري، منشورات الإختلاف، ط1، 2015م

144. اللغـــة والحجـــاج، أبـــو بكـــر العـــزاوي، العمـــدة للطبـــع والتوزيع، ط1، المغرب 2006م

145. اللغـــة، فنـــدريس، تعريـــب عبـــد الحميـــد الـــدواخلي، ومحمد القصّـــاص، مكتبـــة الأنجلـــو المصـــريّة، مطبعـــة لجنـــة البيـــان العربيّ- القاهرة 1950م

146. اللمـــع فـــي العربيـــة، أبـــو الفـــتح عثمـــان بـــن جنـــي الموصـــلي، تحقيق: فائز فارس، دار الكتب الثقافية - الكويت

147. مبـــادئ اللســـانيّات، د. أحمـــد محمد قـــدور، دار الفكـــر، ط3- دمشق 2008م

148. المبسّط في علوم البلاغة، محمد طاهر اللادقي، المكتبة العصرية، بيروت، (د.ط)، 2009م

149. المحاضرة والمناظرة في تأسيس البلاغة العامة مواجهة بين زمن الجرجاني وزمن القزويني، محمد العمري، أفريقيا الشرق، ط1، الدار البيضاء 2017م

150. مدخل إلى دراسة الجملة العربيّة، للدكتور محمود أحمد نحلة، دار النهضة- بيروت 1988م

151. المدخل إلى علم أصول الفقه، معروف الدوالبي، مطابع دار العلم للملايين، بيروت، (ط5)، 1965م

152. مدخل إلى علم لغة النص، محمد الأخضر الصبيحي، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، الجزائر 2008م

153. مدخل إلى القرآن الكريم، محمد عابد الجابري، دار النشر المغربية، ط2، المغرب 2007م

154. المدهش، أبو الفرج جمال الدين بن عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: مروان قباني، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، (ط2)، 2005م

155. المرتجل، لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن الخشّاب، تحقيق علي حيدر، دار الحكمة- دمشق 1972م

156. المسائل العسكريات في النحو العربيّ، ابو علي الفارسي، تحقيق: د. علي جابر المنصوري، الدار العلمية الدولية للنشر والتوزيع ودار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان 2002م

157. المستصفى، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، (ط1) 1413هـ - 1993م

158. المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، دومينيك مانغو، ترجمة: محمد يحياتن، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر 2008م

159. معاني القرآن، ابو زكرياء الفرّاء، تحيقق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة، ط1، مصر (د ت)

160. معاني النحو، للدكتور فاضل السامرائيّ، شركة العاتك لصناعة الكتاب، ط2- القاهرة 2003م

161. المعايير النصية في السور القرآنية، يسري نوفل، دار النابغة للنشر والتوزيع، ط1، 2014م

162. معجم الأفعال المتعدية بحرف واحد، موسى بن محمد الأحمدي، دار العلم للملايين، ط1، بيروت 1979م

163. معجم المصطلحات العربية في اللغة الادب، مجدي وهبة/ كامل المهندس، مكتبة لبنان، ط2، بيروت 1984م

164. معجم مقاييس اللغة، أحمد ابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1979م.

165. المعجم الوظيفي لمقياس الأدوات النحوية الصرفية، عبد القادر عبد الجليل، دار صفاء، ط1، الاردن 2006م

166. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، جمال الدين، ابن هشام، تحقيق: د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله، دار الفكر – دمشق، ط6، 1985م

167. مفتاح العلوم، للسكاكي، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، 1987م

168. المفصّل في علم العربية، لجار الله الزمخشري (ت538هـ)، دار الجيل- بيروت، (د.ت)

169. مفهوم الجملة عند سيبويه، للدكتور حسن عبد الغني جواد الأسديّ، دار الكتب العلميّة- بيروت 2007م

170. المقاربة التداولية، لفرانسواز أرمينكو، ترجمة: د. سعيد علوش، مركز الإنماء القومى، ط1، المغرب 1986م

171. مقالات في التداولية والخطاب، عمر بلخير، دار الأمل- تيزي وزو، الجزائر 2013م

172. المقتصد في شرح رسالة الإيضاح؛ لأبي بكر عبد القاهر الجرجانيّ (ت471هـ)، تحقيق: الشربيني شريدة، دار الحديث- القاهرة 2009م

173. المقتضب، أبو العباس، المعروف بالمبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب – بيروت

174. مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، محمد محمد يونس علي، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، ليبيا 2004م

175. من أساليب التعبير القرآني، طالب محمد اسماعيل الزوبعي، دار النهضة، بيروت ط1، 1996م

176. من أسرار اللغة، الدكتور إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط8، القاهرة 2003م

177. منطق العرب في علوم اللسان، الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح، موفم للنشر، الجزائر، 2012م

178. الموافقات في أصول الشريعة، أبو اسحاق الشاطبي، دار المعرفة، بيروت، 1994م

179. موسوعة اصطلاحات كشاف الفنون والعلوم، محمد علي الفاروقي التهانوي، تحقيق: د.علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت- لبنان، (ط1)، 1996م

180. نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، أحمد عفيفي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة 2001م

181. النحو الوافي، عباس حسن، مكتبة المحمدي، ط1، بيروت 2007م

182. النص القرآني من الجملة إلى العالم، وليد منير، المعهد العالمي، المفكر الاسلامي، ط1، القاهرة 1997م

183. النص والخطاب قراءة في علوم القرآن، د. محمد عبد الباسط عيد، مكتبة الآداب، ط1، 2009م

184. النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، ترجمة: تمام حسان، عالم الكتب، ط2، القاهرة 2007م

185. نظرات في التراث اللغويّ العربيّ، للدكتور عبد القادر المهيري، ط1، دار الغرب الإسلاميّ- بيروت 1993م

186. نظـــرات فـــي الجملـــة العربيّـــة، للـــدكتور كـــريم حســـين ناصح، دار صفاء للنشر والتوزيع، ط1- عمّان 2005م

187. نظريـــة أفعـــال الكـــلام العامـــة: كيـــف ننجـــز الأشـــياء بـــالكلام، أوســـتن، ترجمـــة: عبـــد القـــادر القنينـــي، أفريقيـــا الشـــرق، ط2، المغرب 2008م

188. نظريـــة الأفعـــال الكلاميـــة بـــين فلاســـفة اللغـــة المعاصـــرين والبلاغيـــين العـــرب، طالـــب ســـيد هاشـــم الطبطبـــائي، منشـــورات جامعة الكويت، ط1، 1994م

189. النظريـــة البراغماتيـــة اللســـانية (التداوليـــة) دراســـة المفـــاهيم والنشـــأة والمبـــادئ، محمـــود عكاشـــة، مكتبـــة الآداب، ط1، القـــاهرة 2013م

190. نظريـــة تراســـل الحـــواس: الأصـــول – الأنمـــاط – الإجـــراء، الـــدكتور أمجـــد حميـــد عبـــد الله، المركـــز العلمـــي العراقـــي، ط1، بغداد 2010م

191. نظريـــة التلـــويح الحـــواري، هشـــام عبـــد الله الخليفـــة، مكتبـــة لبنان ناشرون، بيروت 2013م

192. نظريـــة الحجـــاج فـــي اللغـــة فـــي الدراســـات العربيـــة المعاصـــرة (الاســـتيعاب والممارســـة)، شـــكري المبخـــوت، ضـــمن كتـــاب أهـــم نظريـــات الحجـــاج فـــي التقاليـــد الغربيـــة مـــن ارســـطو إلـــى اليـــوم، فريـــق البحـــث فـــي البلاغـــة والحجـــاج.، جامعـــة الاداب والفنـــون والعلـــوم الإســـلامية، عـــالم الكتـــب الحـــديث، ط1، الأردن 2008م

193. النظريـــة الحجاجيـــة (مـــن داخـــل الدراســـات البلاغيـــة واللســـانية)، محمد طـــروس، دار الثقافـــة للنشـــر والتوزيـــع، ط1، المغرب 2005م

194. نظريـــة الفعـــل الكلامـــي، هشـــام عبـــد الله خليفـــة، مكتبـــة لبنان ناشرون، ط1، 2007م

195. نظريـــة الـــنص، د. حســـين خمـــري، الـــدار العربيـــة للعلـــوم ناشرون، ط1، الجزائر 2007م

196. النكـــت والعيـــون (تفســـير المـــاروردي)، أبـــو الحســـن المـــاروردي، تحقيـــق: الســـيد ابـــن عبـــد المقصـــود، دار الكتـــب العلمية، بيروت 1431هـ

197. همـــع الهوامـــع فـــي شـــرح جمـــع الجوامـــع، لجـــلال الـــدين الســـيوطي (ت911هـــ)، تحقيـــق أحمـــد شـــمس الـــدين، ط2، دار الكتب العلميّة- بيروت 2006م

198. لوظـــائف الدلاليّـــة للجملـــة العربيّـــة، دراســـة لعلاقـــات العمـــل النحـــوي بـــين النظريّـــة والتطبيـــق، للـــدكتور محمد رزق شُـــعير، تقـــديم الـــدكتور عبـــده الراجحـــي، مكتبـــة الآداب، ط1- القـــاهرة 2007م

ب- الرسائل والأطاريح

1. الأبعـــاد التداوليـــة فـــي الخطـــاب القرآنـــي – ســـورة البقـــرة انموذجًـــا-(ماجســـتير)، عيســـى تـــومي، قســـم اللغـــة العربيـــة/ كليـــة الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر- بسكرة/ الجزائر

2. الاتجاه التوافقي بين لسانيات التراث واللسانيات المعاصرة" الدكتور عبد الرحمن صالح إنموذجاً" (دكتوراه)، معالي هاشم علي أبو المعالي، جامعة بغداد/ كلية التربية للبنات/ قسم اللغة العربية، 2014م

3. الأفعال الكلامية في القرآن الكريم سورة البقرة دراسة تداولية(دكتوراه)، محمد منـدور، قسم اللغة العربية، كلية الآداب واللغات /جامعة الحاج لخضر باتنة 2014م

4. البعد الحجاجي في الأعمدة الأدبية –مجلة دبي الثقافية نموذجًا– (ماجستير)، جليلة بنت سعيد بن سليم القاسمية

5. تجليات مفاهيم التداولية في التراث العربي تفسير الرازي لسورة المؤمنون(دكتوراه)، موسى جمال، جامعة الجزائر، 2009م

6. تداولية الأفعال الكلامية في سورة طه (ماجستير)، سهام لبادة/ ساسية بلحلو، جامعة محمد بن صديق بن يحي – جيجل–، كلية الآداب واللغات، الجزائر 2019–2020م

7. تلقي الخطاب القرآني في ضوء علم اللغة النصي(دكتوراه)، صافية دراجي، جامعة محمد الأمين دباغين– سطيف2– الجزائر، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والادب العربي

8. الجملة بين النحو العربيّ واللسانيّات المعاصرة: مفهومها وبنيتها(ماجستير)، كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة- جامعة الحاج لخضر- باتنة 2010م

9. جملة مقول القول في القرآن الكريم دراسة نحوية دلالية (بحث)، خالد موسى سيد أحمد موسى، مجلة بحوث كلية الآداب، جامعة المنوفية، العدد 105، ابريل 2016م

10. الحجاج في القرآن الكريم السور القصار مثالًا(ماجستير)، مروة خضير عباس الغزالي، قسم اللغة العربية/ كلية العلوم الإسلامية/ جامعة كربلاء، 2019م

11. الحوار في مشاهد القيامة في القرآن الكريم ، دراسة بيانية دلالية (ماجستير)، هالة سعيد محمد مقبل، جامعة الشرق الاوسط/ كلية الآداب والعلوم، 2010-2011م

12. الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي (دكتوراه)، مؤيد عبيد ال صوينت، الجامعة المستنصرية/ كلية الآداب/ اللغة العربية/ 2009م

13. خطاب المؤنث في القرآن الكريم -دراسة بلاغية-(ماجستير)، الباحث حسنين عماد جاسم، جامعة كربلاء/ كلية العلوم الإسلامية/ اللغة العربية، 2009م

14. شرح كتاب سيبويه [من باب الندبة إلى باب الافعال(أطروحة)، علي بن عيسى الرماني، سيف بن عبد الرحمن العريفي، كلية اللغة العربية، جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض- السعودية 1998م

15. عناصر الخطاب القرآني ووظائفه في سورة هود دراسة تفسيرية، علي سوادي ظاهر، (ماجستير) جامعة الكوفة 2013م

16. في تأسيس الحِجاج لدى مفكري الإسلام – الرسالة الجوابية للحسن البصري على رسالة عبد الملك بن مروان نموذجًا، التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، تنسيق حمو النقاري، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 134، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، المغرب

17. المباحث الصرفيّة والنحويّة في كتاب الحماسة ذات الحواشي لفضل الله الراوندي (ت571هـ)(دكتوراه)، عباس علي اسماعيل، جامعة كربلاء/ كليّة التربية للعلوم الإنسانيّة/ قسم اللغة العربيّة، 2015م

18. مقاصد الخطاب القرآني بين الوقف والإبتداء(دكتوراه)، أحمد ابو صبيعات، جامعة ابي بكر بلقايد، الجزائر، 2012م

19. النظام الاشتقاقيّ في الجملة العربيّة(دكتوراه)، لأمين لقمان محمد أمين، كليّة التربية– جامعة الموصل 2004م

20. نظام الجملة في شعر الحماسة(ماجستير)، علي جمعة عثمان، كليّة اللغة العربيّة– جامعة أمّ القرى 1986م

ج– البحوث والدوريات

1. الأفعال الكلامية عند الأصوليين دراسة في ضوء اللسانيات التداولية(بحث)، مسعود صحراوي، مجلة اللغة العربية، المجلد السادس/ العدد الثاني، 2014، السعودية–الرياض

2. الأفعال الكلامية ونماذجها التطبيقية في القرآن الكريم، الدكتور دلخوش جار الله، جامعة صلاح الدين / كلية اللغات.
3. البحث اللغوي بين نحو الجملة والنص – سورة الفاتحة أنموذجا(بحث)، د. حنان سعادت عبد المجيد، مجلة العلوم العربية/ العدد السادس والثلاثون/ رجب 1436هـ
4. التداولية عند علماء العرب: 27، والحجاج في التداولية مدخل إلى الخطاب الاقناعي(بحث)، د. صابر حباشة، مجلة ثقافات، كلية الاداب، جامعة البحرين، 2011م
5. تفسير القرآن الكريم بين المنهجين اللغوي والمقاصدي، الدكتور عبد الهادي الخمليشي، دار الحديث الحسنية – الرباط:3 (بحث) https://2u.pw/9OwCu
6. دراسة الأفعال الكلامية في القرآن الكريم مقاربة تداولية (بحث)، أ. بفرومة حكيمة، مجلة الخطاب، العدد الثالث: ماي 2008م
7. الاستدلال والحجاج (عناصر استقصاء نظري)، أحمد عراب، مجلة عالم الفكر، المجلد (30)، العدد (01) 2001م.
8. السلالم الحجاجية وقوانين الخطاب مقاررربة تداولية، د.حمدي منصور جودي، مجلة مقاليد العدد 13، ديسمبر الجزائر 2007م
9. شعرية النص بين جديلة المبدع والمتلقي (بحث)، السعيد بوسقطة، مجلة التواصل/ جامعة عنابة/ العدد الثامن سنة 2001م

10. في التداول والتواصل الافتتاحية قراءة في العدد(بحث)، الدكتور محمد بلواهم، مجلة التواصل الأدبي، كلية الاداب/ جامعة باجي مختار/ الجزائر، العدد الثاني، جوان 2008م

11. كيربرات-أوريشيوني، كاترين "من أجل مقاربة براغماتية للحوار المسرحي"، (بحث) في مجلة باراكتيك (تطبيقات)، عدد 41، مارس 1984م

12. مفهوم الجملة في اللسانيات والنحو العربي(بحث)، محمد خير الحلواني، مجلة المناهل، العدد 26/ 1983م

13. مفهوم الخطاب في النظرية النقدية المعاصرة(بحث)، عبدالرحمن حجازي، مجلة علامات في النقد،، العدد 12 المجلد الحادي عشر، سبتمبر، 2001م

14. مصطلح الحجاج بواعثه وتقنياته، عباس حشاني، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة ولأدب الجزائري، جامعة بسكرة- الجزائر، العدد التاسع 2013م

15. مفهوم الجملة بين نحوي الجملة والنص(بحث)، حسن محمد مفرق، مجلة العربية للعلوم ونشر الأبحاث، المجلد الخامس، العدد الثالث، سبتمبر 2019م

16. مفهوم الحجاج في القرآن الكريم، دراسة مصطلحية(بحث)، مهابة محفوظ ميارة، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، المجلد (81)

17. من قضايا فعل القول قال في العربية(بحث)، د. عمر يوسف عكاشة، مجلة مجمع اللغة العربية في الاردن، العدد 74 .

18. من نحو الجملة إلى نحو النص، الدكتور سعد عبد العزيز مصلوح، عالم الكتب، ط1، القاهرة 2004م

19. النص الحِجاجي العربي –دراسة في وسائل الإقناع (مقال)، محمد العيد، مجلة فصول للنقد الأدبي، العدد 9، لسنة 2002م

20. نظرية الأفعال الكلامية في البلاغة العربية(بحث)، الدكتور ملاوي صلاح الدين، مجلة كلية الاداب والعلوم الإنسانية والإجتماعية، العدد الرابع/ جانفي 2009، جامعة محمد خيضر بسكرة

المصادر الأجنبية

1. Halliday Michael Alexander and Ruqaiya Hassan, 1978, Cohesion in English, Longman London
2. Kerbrat-Orecchioni, Catherine, Pour une approche pragmatique du dialogue théâtral, in Pratiques, N° 41, mars 1984
3. Le dictionnaire ancyclopedi`ues de pragmatique. J. Moeschler et A. Reboul Ed-1 de seuil القاموس الموسوعي للبراغماتية، ج. موشلر، و أ.ريبول، مطبعة دي ساي، ط1

Abstract

The Quranic discourse is one of the most important means used to achieve an objective، and that is what we are dealing with in this thesis which is entitled (**The Narrate text in the Holy Qur'an is a Pragmatic Study**). In this thesis، we study this discourse as an instance of strategies for the science of rhetoric and investment of science. In the acquisition of the miraculous privacy، this Holy discourse has stood up defying the owners of language، rhetoric and grammar and Arabic language. This speech has actually addressed the direct influence in the arts of the Arabic language and has brought about an unprecedented leap and became a standard pillar of creativity. In this way Muslims brought the ages in their attempts to clarify the homeland of miracles in it.

Our study aimed at explaining (**The Narrate text in the Holy Qur'an is a Pragmatic Study**) and home rhetoric intervened through the knowledge of the statement in formulation of miraculous and expressive exegesis in the method of feminine discourse led its religious، informational and descriptive functions. The research has been based on the mechanisms of the analytical approach to monitor the employment stations of these methods as well as rhetorical and semantic approaches.

The Republic of Iraq
Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kerbala
College of Islamic Sciences
Department of Arabic Language/Qur'an Language and Literature

The Narrate text in the Holy Qur'an is a Pragmatic Study

A Dissertation thesis submitted to the Council of the Faculty of College of Islamic Sciences/ University of Kerbala in Partial Fulfillment of the Requirements for the (Ph.D) Degree in the language and literature of Qur'an

Written By

Hasanein Emad Jassim

Supervised by

Assistant Professor Dr. Maaly Hashim Abo Al Maaly

2024 A.D 1445 A.H.